حســـن أبو هنيـــّة • د. محمد أبو رمّان

تنظيم "الدولة الإسلامية"

الأزمة السُّنيَّة
والصراع على الجهاديّة العالمية



FRIEDRICH EBERT STIFTUNG

الأزمَة السُّنيّة
والصِّراع على الجِهاديّة العالميّة

تنظيم "الدولة الإسلامية"

تنظيم "الدولة الإسلامية": الأزمَة السُّنيّة والصِّراع على الجهاديّة العالميّة

تأليف: حسن محمود أبو هنيّة، محمد سليمان أبو رمّان

الطبعة الأولى ٢٠١٥م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: ٢٠١٥/٢/٦٢٦

ردمك: ٩٧٨ ٩٩٥٧ ٤٨٤ ٥٠ ٧ :ISBN

مؤسسة فريدرش إيبرت (مكتب عمان)

ص.ب ٩٤١٨٦ عمان ١١١٩٤ الأردن

www.fes-jordan.org
fes@fes-jordan.org

مراجعة لغوية وتحرير:

أمل أبو جريس (مديرة البرامج بمكتب فريدرش إيبرت – عمان)،

بنان ملكاوي، محمد أيوب.

تصميم الغلاف: محمد أيوب mohayyoub@gmail.com

الإخراج الفني: دار الجيل العربي للنشر والتوزيع – قسم الإنتاج.

تنفيذ الطباعة: دار الجيل العربي للنشر والتوزيع (عمان – الأردن).

تنظيم "الدولة الإسلامية"

الأزمَة السُّنّيّة
والصِّراع على الجِهاديّة العالميّة

حسن أبو هنيّة

د. محمد أبو رمّان

FRIEDRICH EBERT STIFTUNG

تقديــم

آنيا فيلر- تشوك

المديرة المقيمة، مؤسسة فريدريش إيبرت/ مكتب الأردن والعراق

تعد سنة ٢٠١٣ نقطة تحول للجهاد العالمي وذلك نظرا للصعود التدريجي لتنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق والشام. حيث ابتكر هذا التنظيم الإرهابي أشكالا غير معهودة من التجنيد والدعاية والتشغيل، مكنته في عام ٢٠١٤ من تجاوز تنظيم القاعدة، وجعلت منه اللاعب الأكبر في ساحة الجهاد العالمي. وقد تجلى تفوق التنظيم على تنظيم القاعدة بقدرته الفائقة على تجنيد عناصره من داخل العالم العربي وخارجه، بما في ذلك المعتنقون الجدد للإسلام من العديد من الدول الغربية. وقد حظي التنظيم، بعد اجتياح الموصل واحتلالها في شهر حزيران/ يونيو ٢٠١٤، باهتمام إعلامي واسع، وباتت أخباره تلقى اهتماما ومتابعة متزايدة في جميع أنحاء العالم. وبينما أثار قرار التنظيم إعلان "الخلافة" والتوسع في الأراضي التي يسيطر عليها، والوحشية المتطرفة في قتل الرهائن والجنود المستسلمين، قلق وتوجس المجتمع الدولي، والدول العربية، فإنه منح التنظيم زخما إضافيا وجاذبية ساهمت في تزايد أعداد المنضمين إليه من الشباب العربي والأجانب.

ولما كان الخطاب العام غالبا ما يتأثر بالإثارة ونظرية المؤامرة. فقد ارتأت مؤسسة فريدريش ايبرت أن تقدم مساهمة في خطاب علمي حول واقع الحركة الجهادية، والتطورات الجديدة في الجهاد العالمي. حيث قام مؤلفا هذا الكتاب، الأستاذ حسن أبو هنية، والدكتور محمد أبو رمان، بتتبع

مسار تنظيم "الدولة الإسلامية" وعلاقته بالتنظيمات "الجهادية" وعلى رأسها القاعدة، إضافة إلى علاقته مع التنظيمات التي أنتجتها الأزمتان العراقية والسورية، وذلك بالعودة إلى مصادر تنظيمي القاعدة و"الدولة الإسلامية" في العراق والشام، وتحليل أوجه التشابه والاختلاف فيما بين هذه التنظيمات الإرهابية، من حيث الأيديولوجيا والاستراتيجية، فضلاً عن الهيكل التنظيمي والقيادة. كما يبين المؤلفان تاريخ نشأة الصدع بين تنظيمي القاعدة و"الدولة الإسلامية"، الذي تطور من مجرد اختلافات أيديولوجية إلى نزاع عسكري كامل. وعلى خلفية التطورات السياسية في سوريا والعراق في السنوات القليلة الماضية، يبين الكاتبان قدرة تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق والشام على اكتساب قدرات هائلة بوقت سريع.

يعد الإسلام السياسي واحدا من اهتمامات مكتب فريدريش إيبرت- عمان المتعددة، وذلك من خلال تسليط الضوء على مختلف اتجاهات وتيارات الحركات الإسلامية، وتأسيس خطاب تعليمي في مجال الحركات الإسلامية. حيث أطلقت المؤسسة سلسلة منشورات حول الإسلام السياسي بدءاً من عام ٢٠٠٧ بهدف توفير المعلومات التي تتفق والمعايير الأكاديمية وتكون متاحة ومفهومة في الوقت ذاته. ومنذ ذلك الوقت، نشرت مؤسسة فريدريش إيبرت ثمانية كتب في هذه السلسلة تم تداولها على نطاق واسع.

ويود فريق مؤسسة فريدريش إيبرت- عمان التعبير عن امتنانه لمؤلفي هذا الكتاب، الدكتور محمد أبو رمان والسيد حسن أبو هنية، الذين يقدمان بخبرتهما وعملهما الدؤوب في مجال الإسلام السياسي مساهمة لا تقدر بثمن لمناقشة هذا الموضوع المهم.

والشكر موصول لقرائنا الأعزاء على اهتمامهم المتواصل بمنشورات مؤسسة فريدريش ايبرت ونأمل أن يضيف هذا الكتاب لهم قيمة إضافية حول تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، والأزمة السنية وصراع الجهاد العالمي.

إهداء

إلى الذين يحلمون بغدٍ أفضل وأجمل، ويؤمنون بأنّ أمل الشعوب العربية يتجاوز حدود الأنظمة الاستبدادية والميليشيات الطائفية، ولا تقع خياراتهم على تخوم الفوضى الداخلية والحروب الأهلية، أولئك النفر المتحققون بأنّ الطريق الوحيد لبلوغ مستقبل واعد منشود هو الكفاح لإقامة أنظمة ديمقراطية تعددية، قيمها الأساسية احترام حقوق الإنسان وحرياته وكرامته، وركيزته الأولى هي: العدالة والمواطنة ودولة القانون.

فهرس المحتويـات

الفصل الثالث

الطريق إلى "إعلان الخلافة"

الفصل الرابع

انشطار القاعدة: السجالات والتداعيات

الفصل الخامس

الصراع على أيديولوجيا السلفية الجهادية

الفصل السادس

تطوّر البناء الهيكلي لتنظيم "الدولة الإسلامية"

خاتمة الكتاب

اليوم التالي: الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية

الملاحق

المقدّمة

"نحن نتعرّض لغزو خارجي"، لم يجد مسؤولٌ عراقي، كان يتحدث لوسائل الإعلام، غير تلك الكلمات لتبرير التقدّم العسكري المفاجئ والسريع، الذي أحرزه "تنظيم الدولة الإسلامية" باجتياحه لمدينة الموصل في حزيران/يونيو ٢٠١٤، وسيطرته، خلال أيام معدودة، على محافظات عراقية أخرى، وانهيار القوات المسلحة العراقية أمامه بسرعة خاطفة. والطريف في الأمر أنّ الفصائل السُنيّة المسلّحة في سورية كانت، هي الأخرى، ترى في تنظيم "الدولة الإسلامية" لعبة بيد أطراف خارجية تسعى لتقويض الثورة والتآمر عليها، أي غزو خارجي أيضاً.

قبل أحداث الموصل، وما نجم عنها من صدمة، ليس فقط للعراقيين، بل حتى للرأي العام العربي والعالمي، لم يكن موضوع "تنظيم الدولة الإسلامية" يحظى بإهتمام كبير، لكنه منذ تلك الفترة بات يتصدّر العناوين الإخبارية عن المنطقة العربية، وموضوعاً ساخناً في الندوات والمناظرات، التي تؤمّها جماهير غفيرة تبحث عن أجوبة مقنعة حول حجم قوة التنظيم الحقيقية، وعن حلّ للألغاز المرتبطة بانهيار الجنود العراقيين والسوريين أمامه، وعن تفسير لهذا السلوك الدموي العنيف في تعامله مع الخصوم، ومشاهد الفيديو المصوّرة، التي تبثّها مؤسساته الإعلامية على شبكة الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي.

لم يتراجع "الهوس" الإعلامي والشعبي بمراقبة أخبار التنظيم ومتابعتها، مع مرور الوقت، إذ وسّع الإعلان عن قيام "الخلافة الإسلامية"

من مساحة التساؤلات وزاد الحيرة حول هذا "الكائن العنيف" الجديد في المشهد المحلي والإقليمي، الذي قلب المعادلات الإقليمية والمحلية، فنظرت إليه الدول الكبرى كتهديد لمصالحها، ودفع بالإدارة الأميركية لأن تقود تحالفاً دولياً وإقليمياً كبيراً ولتتدخل، مرّة أخرى، عسكرياً في المنطقة (وإن اكتفت بالقصف الجوي حتى اللحظة الراهنة)، مخالفة لجميع التحليلات التي كانت تؤكد عدم رغبتها في ذلك في حقبة الرئيس الأميركي الحالي باراك اوباما.

وبالرغم من الكم الكبير من المتابعة الإعلامية والمؤتمرات والندوات والنقاشات السياسية والفكرية التي حظي بها هذا التنظيم، إلاّ أنّه ما يزال محاطاً بـ"هالة" من الغموض، تضفي طابعاً عجائبيّاً سحريّا على طبيعة التحليلات والتفسيرات التي تتناوله على المستويين الشعبي والنخبوي. ولأنّ المثقف العربي واقع – غالباً– في غرام نظرية "المؤامرة"، فقد انبجست تحليلات وتفسيرات متضاربة تربط صعود هذا التنظيم وأعماله بأجندات دولية وإقليمية؛ فأخذ البعض يتحدث عنه بوصفه "أداة إيرانية"، فيما اجتهد آخرون لتقديم تحليلات وقراءات تربط التنظيم بأجندة أميركية مبيّتة؛ تهدف إلى تقسيم المنطقة على أسس طائفية– دينية– عرقية، مستندين في ذلك إلى تصريحات مختلقة ومزوّرة ومفبركة منسوبة لوزيرة الخارجية الأميركية السابقة، هيلاري كلينتون، تصف فيها التنظيم بأنّه "صناعة أميركية"، ومرددين لقصص خيالية عن تلقي "الخليفة البغدادي" لتدريبات خاصة على أيدي جهاز الموساد الإسرائيلي، مفردين لهذه "الأخبار" صفحات بارزة تتصدرها عناوين ضخمة، في وسائل إعلامية عربية وإقليمية، من دون تدقيق وتمحيص لمدى صحتها أو موثوقية مصادرها، غير عابئين لتأثير ذلك على مصداقية هذه المؤسسات ومهنيتها.

صَاحَب هذه الحالة الواسعة من الاختلاق والتزوير، حالة إنكار وإغفال

مقصودة للسياق السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي الذي أسس لهذه الانهيارات الكبيرة في البنية الفكرية والسلوكية العربية، حيث أصرّ الكثير من التفسيرات على ربط التنظيم بما هو خارج السياق المجتمعي أو السياسي العربي الراهن، سواء أكان ذلك في العراق أم في سورية، كما تبرأ المثقفون والوعّاظ والسياسيون والتيار العام في الشارع العربي من هذا "التيار المتوحّش" بوصفه غريباً عن البيئة العربية؛ منكرين أن يكون نتاجاً للواقع الراهن، ومغفلين دور الأنظمة السلطوية الفاسدة، والسياقات الاجتماعية المتردّية، والمنظومة الفقهية والفكرية الجامدة، واختلالاتها العميقة، التي تجلت في الحالتين العراقية والسورية، وأذكت نار النزاعات الطائفية والعرقية، فاتخذ الصراع منحى هويّاتيًّا، أسست له ومارسته هذه الأنظمة واتخذته طابعا لحكمها، فتحوّلت العملية السياسية فيها إلى صراع مجتمعي، بدلا من أن تكون تنافساً سياسياً أو حزبياً صرفاً. مما عزّز من النزعات الطائفية والعرقية والمذهبية، وما نتج عنها من حالة إقصائية لمكونات كبيرة في المجتمع، وصراعات مسلحة.

ولعل ما حاولت تلك التفسيرات تجنّبه هو الإقرار والخروج من حالة الإنكار هذه، والاعتراف بأنّ هذا التنظيم هو، فعلاً غزو، ولكنه داخلي، أكثر منه خارجي.

هذا الرأي غير المتداول كثيراً في أوساطنا السياسية والإعلامية يضعنا مباشرةً أمام الفرضية التي نسعى إلى مناقشتها عبر هذا الكتاب، وما نطرحه فيه من قراءة تحليلية لهذا التنظيم، ومساره وتحولاته ودور الشروط الموضوعية الواقعية في تفسير انبثاق هذا "الكيان الشرس" وكشف أسباب صعوده في الفترة الأخيرة.

ولأنّ هذا التنظيم في جذوره ومساره اشتبك مع التيار السلفي الجهادي العالمي، وارتبط بتنظيم القاعدة المركزي، فإنّ انقلاب تلك العلاقة من

"الوحدة والأخوة" إلى الخصام والشقاق والصراع الأيديولوجي والمسلّح، سواء مع القاعدة نفسها أم مع جبهة النصرة شكّل بدوره صدمة أخرى لأبناء التيار السلفي الجهادي عموماً، الذين كانوا يرون بأن أي حديث عن الخلافات داخل التيار إنما يأتي من باب الحرب النفسية والدعاية المضادة، حتى دخلوا هم أنفسهم في حالة الاستقطاب الحادّ في أوساط التيار، بين مؤيد لتنظيم الدولة الإسلامية وخليفته أبي بكر البغدادي أو للقاعدة المركزية بقيادة الظواهري وجبهة النصرة بزعامة الجولاني، وهو الصراع الذي امتدّ وتمدّد إلى مختلف المناطق والمجتمعات التي ينتشر فيها أبناء التيار، ليشعل حرباً أخرى داخلية، في أوساط هذا التيار، بعد انشطار القاعدة نفسها، بين اتجاهين يكفّران ويبدّعان بعضهما ويقتتلان بشراسة وقوة مميتة.

تقودنا هذه "التطورات الداخلية" إلى فرضية ثانية نسعى إلى تفكيكها ومناقشتها في هذا الكتاب، وتتمثّل في الزعم بأنّ جذور الخلاف فيما بين تنظيم الدولة الإسلامية وتنظيم القاعدة تمتد إلى مرحلة أبي مصعب الزرقاوي، الأب الفعلي والروحي المؤسس لهذا التنظيم، بالرغم من بقائها غير معلنة، وبأنها تطورت في المراحل التالية بصورة متدرجة، إلى أن انفجرت مع رفض أبي محمد الجولاني، مسؤول جبهة النصرة، إعلان أبي بكر البغدادي، زعيم تنظيم الدولة الإسلامية، عن دمج التنظيمين في تنظيم واحد باسم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" (في نيسان/ أبريل ٢٠١٤).

وعليه، فما نسعى إليه من خلال هذا الكتاب هو الإجابة عن جملة من الأسئلة والإشكالات والتساؤلات الرئيسة المثارة حول تنظيم الدولة الإسلامية أولاً، وعلاقته بتنظيم القاعدة وجبهة النصرة ثانياً، ومن أبرز هذه الأسئلة:

- ما هي المعالم الرئيسة لأيديولوجيا هذا التنظيم؟

- كيف نفسّر صعوده السريع وتحقيقه انتصارات عسكرية سريعة في كل من العراق وسورية قبل أن يتشكّل التحالف الدولي والإقليمي لمواجهته؟

■ هل لصعود التنظيم علاقة بشبكة علاقاته، وما يتوارى خلف المشهد من مصالح إقليمية، أم أن صعوده جاء حصيلة عوامل ذاتية، أم نتيجة لظروف واقعية موضوعية أخرى، أم لأسباب مركّبة ومتعددة؟

■ هل للخلافات بين تنظيم الدولة والقاعدة المركزية صلة بالصراع على النفوذ والقوة والسيطرة؟ أم أنّها ناجمة عن اختلافات أيديولوجية وسياسية جوهرية بين التنظيمين؟

■ ما هي طبيعة التركيبة الداخلية لتنظيم الدولة الإسلامية؟ وما مدى خبرته العسكرية والإدارية في التعامل مع التحديات الكبيرة التي تواجهه؟ وهل يمكن تقدير حجم التنظيم بشكل تقريبيّ؟

■ ماذا تخبرنا الاحتمالات والمؤشرات الحالية حول مستقبل التنظيم وخياراته في المرحلة القادمة في ظل التحالف الدولي والإقليمي ضده؟

للإجابة على هذه التساؤلات وتبديد هالة الغموض، ومواجهة القراءات المتضاربة حول تنظيم الدولة الإسلامية، سنقوم في الفصول التالية برصد وتحليل مسار تطور تنظيم الدولة الإسلامية والمراحل والتحولات التي مرّ بها، والأسباب التي أدت إلى تراجعه في الأعوام الماضية، قبل صعوده الثاني الأخير، كما سنحاول استنطاق المساحات المشتركة والخلافات الحقيقية والمفترضة بينه وبين تنظيم القاعدة المركزية، والأسباب التي أدت إلى انشطار القاعدة والصراع بين التيارين.

وسوف نتناول جبهة النصرة، في سياق المشهد السوري، ونقف على الخلافات الداخلية بينها وبين تنظيم الدولة الإسلامية، وسنحاول تمييز البناء الأيديولوجي لتنظيم الدولة مقارنة بجبهة النصرة وبالسلفية الجهادية عموماً.

وسنتطرق في الفصل الأخير إلى البنية الداخلية والهيكلية لتنظيم

الدولة الإسلامية، وكيف تطوّر عبر الأعوام الماضية من جماعة بسيطة إلى تنظيم يحاكي نظام الدولة المعاصرة، ومقاربة ذلك مع الميراث الفقهي الإسلامي.

في الخاتمة، سنحاول استنطاق المؤشرات الرئيسة التي يمكن أن تقدم لنا رؤية حول طبيعة المرحلة القادمة، على صعيد التحالف الدولي والإقليمي والحرب الراهنة، وعلى صعيد تنظيم الدولة الإسلامية. وكذا مستقبل الخلافات في أروقة القاعدة وداخل التيار السلفي الجهادي عموماً.

في غياب المنشورات الرسمية والكتابات الصحفية، والحصار الإعلامي المفروض على رواية هذه التنظيمات للأحداث، ولمعرفة الرؤية السياسية والمرجعية الفكرية التي تحكم عمل هذه التيارات، فقد اعتمد الكتاب بدرجة رئيسة على تحليل نصوص هذه الجماعات وخطابها الأيديولوجي، بالعودة إلى المصادر الرئيسة، التي لا تتوفر إلا عبر شبكة الانترنت، إلا أن هذا بحد ذاته يخلق صعوبة منهجية كبيرة، إذ أنّ معظم هذه المواقع الإلكترونية تتعرض لأنواع مختلفة من الحرب الإلكترونية والقرصنة، تجعل أرشيفها عرضة لاحتمالات التلف والمسح والضياع، وهو ما واجهه الباحثان في هذه الدراسة، إذ تفاجأ الباحثان بعد الفراغ من الدراسة بأن العديد من الروابط التي اعتمدا عليها في هوامش الدراسة قد اختفت أو لا يمكن الوصول إليها، مما دفعهما إلى إعادة البحث عن مصادر أخرى، وهي مشكلة قد تتكرر لاحقاً مع روابط أخرى.

تجلّت مشكلة الاعتماد على المصادر الإلكترونية بوضوح في التعامل مع المواقع الإلكترونية للتنظيمات الجهادية كتنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة وغيرهما والمنتديات الخاصة بهم، إذ أن الجهاديين يخوضون حرباً أخرى مع القوى المضادة لهم عبر الفضاء الإلكتروني، تشبه لعبة القط والفأر، حيث تدور هذه الحرب الأمنية الإلكترونية بدون توقف، فكلما أسس

الجهاديون موقعا لا يلبث أن يتعرض للإزالة أو القرصنة، فيغيرون الأسماء والعناوين والروابط إلى حين أن تكتشف الجديدة منها، وهكذا دواليك.

ولعل ما يخفف من وطأة هذه المشكلة هي القدرة الإلكترونية المقابلة للجهاديين، إذ يمكن الحصول على المادة في موقع آخر لهم، بمجرد إدراج عنوانها ومؤلفها على محرك البحث، لكنها مشكلة ستبقى تواجه الدارسين والباحثين في ميدان هذه الحركات والجماعات، على الأقل في سياق الظروف الدولية والإقليمية الراهنة.

الفصل الأول

تنظيم "الدولة الإسلامية": الجذور، المسار والتحولات

الفصل الأول

تنظيم "الدولة الإسلامية": الجذور، المسار والتحولات

مقدّمة

بينما كانت الإدارة الأميركية تحتفل (في ٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣) بإسقاط نظام صدام حسين وهزيمة جيشه ونهاية العمليات العسكرية، كان هنالك شابٌّ أردني، يدعى أحمد فضيل الخلايلة (أبو مصعب الزرقاوي)، في بغداد، منهمكا في ترتيب أوضاع مجموعته الصغيرة لبدء مرحلة جديدة مع الاحتلال الأميركي في العراق منذ اليوم الأول له.

لم يكن أبو مصعب معروفاً إلاّ في أوساط محدودة، بالرغم من أنّ وزير الخارجية الأميركي قد ذكر اسمه في سياق ربط الرئيس العراقي السابق صدام حسين بالإرهاب، لكنّ هذا الشخص المغمور أصبح خلال أعوام معدودة قائداً لأهم الجماعات المناهضة للاحتلال الأميركي في العراق، ومن أبرز المطلوبين على قائمة الإرهاب في الولايات المتحدة، بعد أن تمكّن من توسيع نطاق مجموعته والقيام بعمليات نوعية ضد القوات الأميركية والمؤسسات الأمنية والعسكرية العراقية الجديدة والسفارات والمصالح الغربية.

ثمّة عاملان رئيسان ساعدا الزرقاوي على بناء التنظيم الشرس؛ الأول: هي السياسات الأميركية خلال المرحلة الأولى، كحل الجيش العراقي ومغازلة المكوّن الشيعي على حساب السنّي، والثاني: هو التمدد الإيراني عبر الهيمنة على القوى السياسية الشيعية، التي أصبحت بمثابة الفاعل الأهم

في النظام السياسي الجديد. فقد خلقت تلك السياسات مناخاً مؤاتيا للزرقاوي في القدرة على التجنيد واكتساب الحاضنة الاجتماعية في المجتمع السُنّي، الذي كان يشعر بقلق شديد من التحولات الجارية، إذ كانت دفتها تسير في الاتجاه المعاكس لمصالحه ومكتسباته السياسية والمجتمعية خلال العقود السابقة.

استثمر الزرقاوي جيّداً حالة الفراغ السياسي السُنّي، وضمّ إلى جماعته، أيضاً، مئات العرب والأجانب القادمين من خارج الحدود، سواء من جاءوا للقتال إلى جانب صدام حسين، فتفاجأوا بالانهيار السريع الخاطف لجيشه وقواته، أو أولئك الذين قدموا بعد الاحتلال عندما بدأ نجم الزرقاوي ومجموعته يصعد في العراق، ويكتسب سمعة طيبة قوية في أوساط السلفية الجهادية العالمية وشبكة القاعدة في العالم. ولأنّ دول المنطقة، مثل سورية وإيران والخليج العربي، كانت بدورها متخوفة من المشروع الأميركي ومن خطاب المحافظين الجدد الذي يتحدث عن تغيير المنطقة بأسرها عبر نشر "الديمقراطية"، فقد تواطأت تلك الأنظمة وتساهلت مع ظاهرة المتطوعين العرب ليصبح العراق خلال أعوام قليلة مركزاً إقليمياً جديداً وفاعلاً للقاعدة، بل ومصدّراً للخلايا الموالية لدول المنطقة وأوروبا(١).

وبالرغم من أنّ الزرقاوي أعلن مبايعته لأسامة بن لادن وانضمام جماعته للقاعدة في العام ٢٠٠٤، إلاّ أنّ الأوضاع الصعبة للتنظيم المركزي والمشكلات التي كان يواجهها بعد الحرب الدولية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية على نظام حكم حركة طالبان الأفغانية نهاية عام ٢٠٠١، أدّت إلى صعود نجم الزرقاوي ليصبح في مرتبة موازية في الأهمية والمكانة للقيادات

(١) انظر: نعومي كلاي، السنة الصفر؛ نهب العراق سعياً إلى "يوتوبيا" للمحافظين الجدد، مجلة المستقبل العربي، ع (٣٠٨)، اكتوبر ٢٠٠٤ وقارن ذلك بأنتوني كورديسمان، العراق ما العمل، مجلة المستقبل العربي، ع (٣٠٤)، حزيران/يونيو ٢٠٠٤، ص٥٨-٦٤ .

التاريخية في القاعدة، وهو ما دفعهم إلى التغاضي عن الاختلافات الأيديولوجية مع الزرقاوي، والعمل على تجاوزها وعدم كشفها على الملأ، من دون الوصول إلى رؤية توافقية بين الطرفين حولها، فبقيت تتراكم وتتدحرج حتى أصبحت خطّاً فاصلاً بين رؤيتين مختلفتين ومنهجين متباينين لمفهوم الصراع وأولوياته ومساراته.

لم يأتِ تنظيم الدولة الإسلامية في العراق صُدفةً، إذاً، ولم يظهر فجأة مع اقتحام الموصل في حزيران/ يونيو ٢٠١٤؛ بل هو محصلة لمسار متراكم متطوّر يجمع في طيّاته عوامل متعددة، منذ العام ٢٠٠٣ إلى ٢٠١٤، الأول: هو العامل الموضوعي المتمثل بواقع الاحتلال الأميركي وتوسع النفوذ الإيراني وهيمنة القوى الشيعية الموالية لطهران على النظام السياسي الجديد، أما العامل الثاني: فهو شخصية أبي مصعب الزرقاوي وما يحمله من رؤية أيديولوجية مختلفة ومتباينة عن القاعدة المركزية بالرغم من انضمامه رسمياً لها، والثالث: يتمثّل في المجتمع السُنّي والشعور بقلق شديد من الإقصاء والتهميش بعد احتلال العراق وبحالة من الفراغ السياسي وغياب المشروع الجامع.

لتتبّع المرحلة الأولى المؤثّرة في جذور هذا التنظيم وتحولاته سنتناول، في هذا الفصل، نشوء تنظيم الدولة والعوامل التي أثّرت على صعوده وهبوطه، خلال الأعوام (٢٠٠٣-٢٠١٠)، التي شهدت بداية الاحتلال الأميركي للعراق ونهايته بالخروج والانسحاب، كما سنتناول الأفكار الأيديولوجية التي أسست للتنظيم، والمسار الذي تشكّلت عبره رؤيته للصراع السياسي، وسنتوقف عند مرحلة التراجع والانكماش، التي حدثت مع استراتيجية تدفق القوات الأميركية ونشوء الصحوات السُنيّة ضده، ونؤجّل الحديث عن المرحلة الجديدة من الصعود بالتزامن مع حقبة الثورات العربية إلى الفصل الثالث من الكتاب.

١- إرث الزرقاوي: الأب الروحي والفعلي لتنظيم الدولة الإسلامية

لم يكن أحد من أصدقائه أيام الطفولة والشباب، ولا حتى من ضباط الأمن الأردني، الذين حققوا معه، يتخيّل بأن يصبح أحمد فضيل الخلايلة، الشاب الطائش والمشاكس والمغمور في حيّ معصوم الشعبي في مدينة الزرقاء الأردنية المكتظّة بالسكان، من أهم الشخصيات الجهادية في العالم، والأب الروحي والمؤسس لتنظيم الدولة الإسلامية، الذي غدا حديثاً مثيراً للإعلاميين والسياسيين في مشارق الأرض ومغاربها.

ثمّة العديد من القصص والروايات حول هذا التحوّل الدراماتيكي الذي حدث في حياة الشاب أحمد الخلايلة؛ ودفعه للسفر إلى أفغانستان عن طريق بيشاور للمشاركة في الجهاد في أفغانستان في العام ١٩٩٨، حيث استقر في مدينة جلال آباد، إحدى ضواحي بيشاور، التي تعتبر القاعدة الخلفيّة للمجاهدين العرب والأفغان، ويوجد فيها "بيت الأنصار"، الذي يتبع تنظيم القاعدة بزعامة بن لادن، وكذلك "مكتب الخدمات" ويتبع لعبد الله عزام، وهي محطّات أولى لاستقبال المتطوعين العرب.

بعد ذلك (في ربيع عام ١٩٩٨) انتقل الزرقاوي مع عددٍ آخر من المقاتلين الجدد من بيشاور إلى منطقة خوست شرق أفغانستان، لكنّه لم يشارك في القتال، لأنَّ الحرب ضدّ السوفييت كانت قد انتهت قبل وصوله، إلا أنَّه شارك في بعض المعارك التي قامت بين الأحزاب الإسلاميّة ضد الأحزاب الموالية للشُيوعيّة حتى عام ١٩٩٣.

في تلك الأثناء تعرَّف الزرقاوي للمرة الأولى على عبد الرحمن العلي (مصري الجنسية) والملقب بأبي عبدالله المهاجر، وعلى عصام البرقاوي الملقب بأبي محمد المقدسي(*) في بيشاور، عن طريق أبي الوليد الأنصاري

(*) أبو محمد المقدسي: هو عصام بن محمد بن طاهر البرقاوي، وكنيته أبو محمد، ويشتهر بالمقدسيّ، ويعود نسبه إلى عتيبة، من مواليد قرية برقة من أعمال نابلس في فلسطين، ولد عام ١٩٩٥، ثم انتقل وهو ابن ثلاث أو أربع سنين مع عائلته إلى الكويت حيث أكمل بها دراسته الثانوية، ثم درس العلوم في جامعة الموصل شمال العراق، وكانت له صلات ببعض الحركات والجماعات الإسلامية، وخصوصاً السّلفية السُّرُورية التي تنتسب إلى الشيخ محمد سرور، وله علاقة مع جماعة جهيمان، وبعددٍ من مشايخ

الفلسطيني المقرَّب من أبي قتادة الفلسطيني[٢]، وتأثر بهذه الشخصيات التي أصبحت تُعدّ، لاحقاً، من أبرز منظّري تيار السلفية الجهادية في العالم[٣].

بعد عودته إلى الأردن في العام ١٩٩٣، بدأ الزرقاوي الاتصال بالمقدسيّ (الذي عاد قبله إلى الأردن) ليعملا سويّاً على نشر الدّعوة السلفية الجهاديّة، وتأسيس جماعة جهادية عُرفت إعلامياً باسم "بيعة الإمام"[٤]،

القُطبيِّين، تنقل بعدها بين الكويت والسعودية حيث ترسخت معرفته بالسّلفية الوهابية، وأطلع على تراث أئمة الدَّعوة النَّجدية. سافر إلى باكستان وأفغانستان عدَّة مرات، حيث برز توجهه السلفي الجهادي، وكتب في هذه المرحلة أول كتاب له وأشهرها بعنوان: "ملّة إبراهيم"، واستقر في الأردن مع عائلته عام ١٩٩٢، بعد حرب الخليج الثانية، حيث بدأ نشاطه بالدّعوة إلى السلفية الجهادية، وبرزت توجهاته بشكل جليٍّ حيث ألف كتاباً في كفر الديمقراطية بعنوان: "الديمقراطية دين"، ودخل في سجال مع أتباع المدرسة السَّلفية التَّقليدية، وعمل على نشر دعوته في كافة المدن الأردنية. اعتقل أول مرةٍ في ١٩٩٣ على خلفية الانتماء إلى تنظيم "بيعة الإمام"، وكان معه في التنظيم أبو مصعب الزرقاوي، وحكم عليه ١٥ سنة، إلا أنه خرج بعفو ملكيٍّ في عام ١٩٩٩، وتعرض لعدّة اعتقالات، واتهم بالانتساب إلى عدَّة تنظيمات، وقد أفرج عنه مؤخرًا. وتعتبر كتاباته مرجعاً للسَّلفية الجهادية في الأردن والعالم، وله مؤلفاتٌ ورسائل وفتاوى عديدة؛ منها: "ملة إبراهيم"، و"الكواشف الجليّة في كفر الدولة السعودية"، و"إمتاع النظر في كشف شبهات مرجئة العصر"، و"الديمقراطية دين"، و"إعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس"، و"الرسالة الثلاثينيّة في التّحذير من الغلوِّ في التفكير"، و"وقفات مع ثمرات الجهاد"، و"كشف النقاب عن شريعة الغاب"، و"مشروع الشرق الأوسط الكبير". وله موقعٌ على شبكة الإنترنت بعنوان "منبر التوحيد والجهاد".

(٢) أبو محمد المقدسي، الزرقاوي؛ مناصرة ومناصحة: آمال وآلام، ص1، على الرابط: http://www.tawhed.ws/r?i=dtwiam56

(٣) من المفيد هنا الإشارة إلى أنّ تسارع الأحداث (بدءاً من انسحاب السوفييت من أفغانستان، وبدء الحرب الأهليّة بين فصائل المجاهدين، وانتهاء حرب الخليج الثانية، وبداية ملاحقة الأفغان العرب في بيشاور) عمل على تبلور خياراتٍ مختلفة لدى الشخصيات السابقة؛ فقد اختار أبو قتادة الفلسطيني اللُّجوء إلى بريطانيا، وقرر المقدسي الاستقرار في الأردن، أما المهاجر والزرقاوي فقد شاركا في الموجة الثانية من معارك الحرب الأهليّة، والتحق الزرقاوي بمعسكرات قلب الدين حكمتيار، وتحديداً إلى جانب جلال الدّين حقاني، وكان الزرقاوي قد تدّرب في عدة معسكرات، بخاصة معسكر "صدى". انظر: محمد أبو رمان وحسن أبو هنيّة، السلفية الجهادية في الأردن بعد مقتل الزرقاوي، مقاربة الهوية - أزمة القيادة - ضبابية الرؤية، مؤسسة فريدريش أيبرت، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص ١٢- ٢٩ .

(٤) اعتقلت الأجهزة الأمنيّة الأردنيّة أعضاء التّنظيم وتمكنت من تفكيكه قبل القيام بأيِّ عمل عسكريٍّ، حيث قامت بسلسلة من المداهمات، وقامت بإلقاء القبض مبكراً على عبد الهادي دغلس، وباعتقاله بدأت تتضح معالم التّنظيم وأعضاءه الأساسيين، وهم: أبو محمد المقدسي، وأبو مصعب الزرقاوي، ومصطفى حسن موسى، وخالد مصطفى العاروري (أبو القسام)، وسليمان طالب ضمرة (أبو المعتصم)، ومحمد وصفي عمر (أبو منتصر)، ونصري عز الدين الطحاينة (أبو العز)، ونبيل يوسف أبو حارثية (أبو مجاهد)، وشريف إبراهيم عبد الفتاح (أبو أشرف)، وأحمد عبد الله يوسف الزيتاوي، ومحمد عبد الكريم أحمد الرواشدة، ومحمد فخري موسى الصالح، وعلاء الدين عاطف، وسعدات عبد الجواد، وطلال كايد البدوي، وعبد المجيد المجالي (أبو قتيبة).

لكن الأمن اكتشف التنظيم واعتُقل الزرقاوي (في ٢٩ آذار/ مارس عام ١٩٩٤)، وحُكم عليه مع المقدسي ومجموعتهم بخمسة عشرة عاماً من السجن. بيد أنّ مرحلة السجن نفسها كانت نقطة تحول جديدة في مسار الزرقاوي، فقد بدأ يفرض نفسه أميراً للجماعة، وبرزت شخصيته الصلبة (في نظر أبناء التيار السلفي الجهادي، الذي بدأ ينمو في الأردن) من خلال مرافعته أمام المحكمة(٥).

نجح الزرقاوي بانتزاع صورة الزعيم، وتمكّن من استقطاب عددٍ كبير من أبناء السلفية الجهادية، وأخذ يبلور خياراته (على خلافٍ مع شيخه المقدسي) باتّجاه ضرورة العمل الميداني العسكري المباشر، فيما كان اهتمام المقدسي ينصبّ على نشر الفكرة الجديدة على الساحة الأردنية، ونقلها إلى فلسطين، كما صرّح هو لاحقاً.

وفور خروجه من السجن بعفو ملكي شمل السُّجناء الأردنيين كافّة (في ٢٣ آذار/ مارس ١٩٩١)؛ باشر الزرقاوي الاستعداد للرَّحيل إلى أفغانستان، فأقام في مدينة جلال آباد في محيط بيشاور بالقرب من الحدود الأفغانية، وهناك عمل على بناء شبكة من المؤيدين والأنصار، في مدةٍ قصيرة، ساعده على ذلك علاقته السّابقة بابن لادن وبأعضاء القاعدة وبأبي قتادة الفلسطيني وأبي عبدالله المهاجر.

إلاّ أنّ الحملات الأمنية الباكستانية كانت قد تصاعدت عقب قيام القاعدة بتأسيس "الجبهة العالميّة لقتال اليهود والصليبيين" في العام ١٩٩٨، وكذلك استهداف السفارتين الأميركيتين في كينيا وتنزانيا في آب/ أغسطس من العام نفسه؛ فقرّر الزرقاوي الدخول إلى أفغانستان وبدأ العمل

(٥) أبو مصعب الزرقاوي: إفادة أسير: يا قوم مالي أدعوكم إلى الجنة وتدعونني إلى النار، "الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أسد الإسلام الشيخ أبو مصعب الزرقاوي". ومما قاله الزرقاوي وكشف عن مدى تغلغل الفكرة السلفية الجهادية في شخصيته للقاضي "أيها القاضي بغير ما أنزل الله: إذا عرفت هذا وظهر لك أن الكفر البواح والشرك الصراح اتخاذ غير الله مشرّعًا سواء كان هذا المشرّع عالمًا أو حاكماً أو نائباً أو شيخ عشيرة"، ص ٨ .

على إنشاء معسكره الخاص في منطقة "هيرات" (على الحدود الأفغانية الإيرانيّة)، ونُظِرَ له حينها كزعيم للجهاديين من الأردن وفلسطين وبلاد الشام، وتمكن من نسج علاقات واسعة مع مختلف الأطراف المشاركين في الدوائر المحيطة بالقاعدة ومعسكرات العرب هناك(٦).

لم تمض سوى أشهر معدودة حتى هاجمت مجموعة تنتسب لتنظيم القاعدة الولايات المتحدة (في ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١)، فقامت الأخيرة بغزو أفغانستان عبر تحالف دولي للقضاء على نظام حكم طالبان وتنظيم القاعدة (في عام ٢٠٠٢)، وسرعان ما نظّم الزرقاوي عمليّة خروجه وأتباعه إلى إيران، ثم العراق.

خلال تلك الحقبة؛ بدأ الزرقاوي بإنشاء شبكة جهادية عالمية، وأسس قواعد له في سورية، وتمكن من تجنيد عددٍ من السوريين واللبنانيين والفلسطينيين، وكان ينشط في تفعيل شبكته في العراق، وتحديدا في منطقة كردستان، ويتلقى دعما من شبكات الجهاديين في أوروبا، فقد أوجد الزرقاوي تحالفاً مع الجماعات الإسلامية في كردستان، منذ عام ١٩٩٩، إذ كان يؤكّد على ضرورة خروج الجهاديين من الأردن إلى ملاذات آمنة، والالتحاق بمعسكرات التدريب في أفغانستان وكردستان(٧).

---

(٦) كان معسكر "هيرات الذي أسسه الزرقاوي عام ٢٠٠٠، يضم حوالي ٨٠ عضواً مع عائلاتهم تحت إمرته، وقد شكَّل هؤلاء النواة الأساسية لشبكته من الجهاديين العرب والأجانب، وفي مقدمتهم: خالد العاروري (أبو القسام)، وعبد الهادي دغلس (أبو عبيدة)، ورائد خريسات (أبو عبد الرحمن الشامي)، وعزمي الجيوسي، ونضال عربيات، ومعمر الجغبير، ومن سورية: سليمان خالد درويش (أبو الغادية)، وأبو محمد اللبناني، وعمل كذلك على إيجاد قاعدة له في كردستان العراق، وأشرف على معسكرات التدريب في "سرغات" في كردستان العراق، فبحسب شهادة أبو محمود الرباطي الذي اعتقله الأميركيون في كردستان العراق وسلموه إلى الأردن، فإن الزرقاوي وبدءاً من نهاية عام ١٩٩٩م، كان يشجّع الأردنيون وغيرهم على الالتحاق بمعسكرات التّدريب في أفغانستان ثم الذهاب إلى كردستان، وهكذا فقد تكوّنت جماعةٌ متعددة الجنسيات في كردستان من عراقيّين وأردنيين، وأفغان وشيشان وغيرهم.

(٧) وضع الزرقاوي حجر الأساس لعمله في العراق عبر كردستان أولاً، ففي آب/ أغسطس ٢٠٠١ عقد الزرقاوي اجتماعاً مع مساعديه كخالد العاروري وعبد الهادي دغلس من أجل تأسيس معسكراتٍ لهم في كردستان لاستقطاب أعدادٍ من الأفغان العرب والأردنيّين، وكان قد وثّق علاقاته مع ريا صالح عبد الله (أبو عبد الله الشافعي) الذي أسَّس جماعة "جند الإسلام"، وكان الملا كريكار الذي انضم إلى الحركة الإسلاميّة في كردستان، وأصبح قائدها العسكري قد تحالف مع جماعة جند الإسلام، فوُلدت جماعة

نشط الزرقاوي بتوسيع نطاق شبكته في مناطق عديدة، وتمكن من تأسيس خلايا عديدة في أوروبا، فقد تمكنت الشرطة الألمانيّة في آذار/ مارس ٢٠٠٢ من تفكيك خلية "التّوحيد" التابعة لشبكته(٨)، وبرهنت تلك الخليّة عن مصداقية التوقعات بامتداد شبكة الزرقاوي في أوروبا، فقد ظهرت تباعا خلايا في إيطاليا وإسبانيا وبريطانيا، وتم الإعلان في أكثر من بلدٍ أوروبي عن اكتشاف خلايا تابعة للزَّرقاوي تعمل على تجنيد أعضاء جُدد لإرسالهم للقتال في العراق، وجمع الموارد المالية، وتوسيع الشبكات اللوجستية(٩).

٢- احتلال العراق: تأسيس جماعة "التوحيد والجهاد"

عندما تمكّنت القوات الأميركية في التاسع من نيسان/ أبريل ٢٠٠٣ من احتلال بغداد، وإسقاط نظام صدام حسين، كان الزرقاوي قد حسم خياراته الأيديولوجية بمواجهة قوات الاحتلال الأميركي، على الرغم من عدم انضمامه لتنظيم القاعدة آنذاك.

تكمن المفارقة الرئيسة بأنّ "السياسات الهويّاتية"، التي برزت كاستراتيجية أميركية للنفوذ والسيطرة على العراق؛ ساهمت هي نفسها، بدرجة كبيرة، في بلورة هوية الزرقاوي وشبكته على أسس سياسية مذهبية

أنصار الإسلام، ودخلت في صراع مع الأحزاب الكردية (إلا أن الملا كريكار فضّل الذّهاب لاجئًا إلى النّرويج بعد سيطرت الأفغان العرب، وخصوصاً جماعة الزرقاوي على جماعة جند الإسلام)، وقد كانت المجموعة الأردنية الأولى في كردستان بقيادة رائد خريسات (الملقب بأبي عبد الرحمن الشامي) ومعه عدد من الأردنيّين، وفي مقدمتهم محمود نسور، ومعتصم درادكة، وإبراهيم خريسات، فقد غادروا أفغانستان ومعسكر هيرات مبكراً إلى كردستان، وساهموا في تأسيس جماعة "جند الإسلام" التي حولت اسمها إلى "أنصار الإسلام". ثم نشأ خلافٌ بين الزرقاوي والشّامي؛ فأرسل الزرقاوي عبد الهادي دغلس، أحد الموثقين لديه، للإشراف المباشر على سير المعسكرات.

(٨) ضمت خلية "التوحيد" جنسيات عديدة، ومنهم: العراقي ياسر حسان (أبو علي)، وكذلك زيدان عماد عبد الهادي، والكويتي أسامة أحمد، ومن الأردن: أشرف الدغمة، وشادي عبد الله، ومحمد أبو ديس، وإسماعيل شلبي، وجمال مصطفى، وبحسب تقرير الشّرطة الألمانية، فإن أبو علي تباحث مع الزرقاوي حول القيام بعدَّة عمليّات في أوروبا.

(٩) انظر: جان شارل بريزار، وداميا مارتينز، أبو مصعب الزرقاوي الوجه الآخر لتنظيم القاعدة، ترجمة هالة صلاح الدين لولو، الدار العربية للعلوم، بيروت، ودار الشروق، رام الله، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص١٢٥- ١٣٠

طائفية(١٠). إذ أخذت إيديولوجية الزرقاوي المذهبية في التبلور والتشكّل في سياق هيمنة الشيعة على العملية السياسية في العراق المسندة من الاحتلال الأميركي وصعود النفوذ الإيراني في العراق بخاصة، والمنطقة عموماً(١١).

في البدايات؛ أحاط الزرقاوي نفسه بمجموعةٍ من أشد المخلصين له، فكان لا يثق بأحدٍ بسهولة(١٢)، أمّا من النواحي الأيديولوجية والفكرية

(١٠) عمدت الولايات المتحدة إلى بناء العملية السياسية على أسس هوياتية مزدوجة عبر تأكيد الهويات العرقية والإثنية وانقساماتها بين عرب وكرد بصورة أساسية، وترسيخ الاختلافات الهويّاتية الدينية والمذهبية بين السُنّة والشيعة بشكل رئيسي، وفي الوقت الذي مكنت فيه الولايات المتحدة الكرد في إدارة إقليم شبه مستقل، عملت على تهميش السُنّة كإجراء عقابي لانخراطهم في النظام السابق ومعارضتهم للاحتلال، أما الشيعة فقد تمت مكافأتهم وتمكينهم من الحكم بعد مساندة مرجعياتهم الدينية للاحتلال، الأمر الذي دشن مرحلة جديدة في تاريخ العراق الحديث، وبداية مرحلة جديدة مع نخبة سياسية حاكمة مختلفة في ظل تبدل عميق في ميزان القوى السياسية والعسكرية العراقية. لمزيد من التفصيل حول السياسات الخاطئة للولايات المتحدة في التعامل مع الوضع العراقي انظر: توماس بيكرينج وجيمس شليزنجر وأريك شوارتز، العراق بعد عام واحد، المستقبل العربي، بيروت، العدد ٣٠٢، ص ٦ . وليم بولك، الواقع والخيارات في حرب العراق، المستقبل العربي، بيروت، عدد ٣١١، ص ٦ . آدام روبرتس، نهاية الاحتلال في العراق، المستقبل العربي، بيروت، عدد ٣٠٧، ص ٣١ . أنتوني كوردسمان، العراق ما العمل، المستقبل العربي، بيروت، عدد ٣٠٤، ص ٥٨ . فيليس بينيس، انتقال فاشل للسلطة: النفقات المتصاعدة لحرب العراق، المستقبل العربي، بيروت، عدد ٣٠، ص ٦ . المجموعة الدولية للازمات، ماذا بإمكان الولايات المتحدة أن تفعل في العراق، المستقبل العربي، بيروت، عدد ٣١٢، ص ٣٤ .

(١١) تكمن المفارقة أنّه في سياق التّحضير لاحتلال العراق تحت ذريعة وجود أسلحة تدمير شامل لدى النّظام العراقي، وعلاقته بدعم الإرهاب، والتي ظهر عدم صحّتها فيما بعد، قدم كولن باول وزير الخارجية الأميركية في ١٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٣ قبل شهر من الاحتلال، أمام مجلس الأمن الدّولي الزرقاوي كأحد قادة القاعدة الذين يعملون بالتّعاون مع النّظام العراقي، إلا أن المعلومات التي قدمها باول لم تكن صحيحةً ودقيقةً، فقد أشار إلى أن الزرقاوي باعتباره أردني من أصل فلسطيني، بينما هو أردني من أصول عشائريّة عريقة في شرق الأردن، ينتمي إلى عشيرة بني حسن. وقد ظهرت كتب ودراسات عديدة تفند أكذوبة امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل ورعاية الإرهاب، وذلك لتبرير غزو الولايات المتحدة للعراق، انظر عينة لهذه الكتابات في: بوب ودورد، خطة الهجوم، تعريب فاضل جتكر، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ .

(١٢) ومن أبرز الشخصيات التي كانت معه: أبو حمزة المهاجر، وهو مصري تولى إمارة التنظيم بعد مقتل الزرقاوي، وأبو أنس الشامي وهو أردني كان أول مسؤول شرعي للجماعة، ونضال محمد عربيات، وهو أردني من مدينة السلط يعتبر خبيرًا بالمتفجرات، وهو مسؤول عن تفخيخ معظم السّيارات التي تبنتها الجماعة، وقد قتل عام ٢٠٠٣، ومصطفى رمضان درويش (أبو محمد اللبناني)، وهو لبناني الجنسية، وأوراس أبو عمر الكردي، وثامر العطروز الريشاوي، وهو ضابط عراقي سابق، وعبد الله الجبوري (أبو عزام) وهو عراقي، وعمر حديد (أبو خطاب) وهو عراقي أيضاً، ومحمد جاسم العيساوي (أبو الحارث)، وهو عراقي كذلك، وأبو ناصر الليبي، أبو أسامة التونسي، وقد قتل جميع هؤلاء عام ٢٠٠٣، باستثناء أبو عزام الذي قتل عام ٢٠٠٥، ومن الأردنيين الذين كانوا موضع ثقة الزرقاوي: موفق عدوان، وجمال العتيبي

والفتاوى الفقهية فقد اعتمد على مرجعية شيخه أبي عبدالله المهاجر(١٣)، الذي كان له الأثر المباشر في بناء عقيدته القتالية ونهجه الفقهي، وخصوصا ما يتعلّق بمسألة أولوية قتال "العدو القريب" (المتمثل بالمرتدين من الأنظمة العربية والإسلامية الحاكمة)، ومسألة تكفير الشيعة عموماً، ومعظم خيارات الزرقاوي الفقهية المتشددة الخاصة بالعمليات الانتحارية، ومسألة "التترس"، وعمليات الاختطاف والاغتيال، وقطع الرؤوس، وتكتيكات العنف والرعب.

من المهم، هنا، تتبع خيط تأثر الزرقاوي بالمهاجر بخاصة كتابه المعروف "فقه الدماء"، لأنّها أثّرت على مسار التنظيم نفسه ورؤيته للشيعة والقوى الأخرى، ولملامح الصراع ولمساره في المشهد العراقي لاحقاً، ويكشف جانباً مهماً من هذا التأثير، المسؤول الإعلامي لجماعة الزرقاوي ميسرة الغريب، بقوله: "كان شيخنا الزرقاوي رحمه الله يُحب شيخه "أبا عبد الله المهاجر" – فك الله أسره– ويُجِلُّه ويثني عليه ويَوَدُّ لو يأتي إلى العراق، وكانت قرائنُ الحال تَدُلُّ أنه لو أتى لأوكل إليه مسؤولية الهيئة الشرعية، وكان شيخُنا يحثني على تدريس الطلبة كتاب الشيخ المهاجر "أعلام السنة المنشورة في معالم الطائفة المنصورة" وكنا صورناه، وبدأتُ تدريسَه للإخوة، هذا فضلاً عن كتاب "فقه الدماء" الذي كنا ننتظر وصوله إلى الفلوجة وقتَها ولم يصل إلى أن بدأَتْ معركة الفلوجة الثانية، وكان الشيخ ذكر لي أنه دَرَسَه عند

وصلاح الدين العتيبي ومحمد الصفدي، ومعاذ النسور، وشحادة الكيلاني، ومحمد قطيشات، ومنذر شيحة، ومنذر الطموني، وعمر العتيبي.

(١٣) أبو عبد الله المهاجر: هو عبد الرحمن العلي، مصري الجنسية، يتمتع باحترام وتقدير من كافة الجهاديين في العالم، تلقى علومه الإسلامية في باكستان، وكانت تربطه علاقة وثيقة بالزرقاوي، تخرّج من الجامعة الإسلامية في إسلام آباد، ورابط في أفغانستان حيث أنشأ مركزاً علمياً دعوياً في معسكر خلدن، ودرّس في مركز تعليم اللغة العربية في قندهار، ثم في معسكرات المجاهدين في كابل، وتولى التدريس في معسكر الزرقاوي في هيرات، و كان مرشّحاً لتولّي مسؤوليّة اللجنة العلمية والشرعيّة في تنظيم القاعدة، وبحسب المسؤول الإعلامي للقاعدة في العراق ميسرة الغريب فإن المهاجر كان معتقلا في السجون الإيرانية، وقد أفرج عن المهاجر وعاد إلى مصر بعد أشهر من قيام الثورة، وله عدد من الكتب منها: "مسائل من فقه الجهاد"، ويعرف لدى الجهاديين بـ"فقه الدماء"، و"أعلام السنة المنشورة في معالم الطائفة المنصورة"، ويعتبر مفتي جماعة الزرقاوي، أنظر: بيان حقيقة علاقة البغدادي بأميرنا الزرقاوي، على الرابط: http://www.sunnti.com/vb/showthread.php?t=15452.

الشيخ "المهاجر" أربعَ سنوات إن لم تخني ذاكرتي...ثم دارت الأيام ودخل الكتاب إلى العراق بعد أحداث الفلوجة الثانية وطُبِعَت منه نسخٌ كثيرة جداً، تحت اسم "مسائل من فقه الجهاد"، وهو كتابٌ جيد قوي، جدير أن يلخَّص منه ويُدَرَّس للإخوة المجاهدين"(١٤).

يعتبر، إذاً، كتاب "مسائل من فقه الجهاد"(١٥) بمثابة الأساس الفقهي المعتمد، ودليل العمل الإرشادي للزرقاوي وجماعته، ويعدّ اليوم أحد أهم الكتب المعتبرة في التأسيس للمرجعية الفقهية والأيديولوجية لدى تنظيم الدولة الإسلامية، وربما نجد تفسيراً لسلوك التنظيم عبر هذا الكتاب، كما سيأتي في فصول لاحقة(١٦).

كما عمل الزرقاوي على تطوير أيديولوجيته القتالية والمذهبية الطائفية في إطار "حاضنة اجتماعية" داخل المجتمع السُنّي، واكتسبت أطروحته قوة متزايدة وزخماً حركياً، بالإضافة إلى قدرات عسكرية وأمنية أكبر، من خلال الضباط السابقين في الجيش العراقي، بالتزاوج مع خبرة المتطوعين العرب في ميادين القتال.

وخلال فترة قصيرة شهدت شبكة الزرقاوي تطورا ملحوظاً، واستقطبت أعداداً كبيرة من المتطوعين العرب، الذين أتوا للمشاركة في القتال خلال حرب العراق ٢٠٠٣، والسُنّة العراقيين، الذين شعروا بالقلق الشديد من السياسات الأميركية، فقد نُظر إليها بوصفها انحيازاً للقوى الشيعية ضد السُنّة، وما زاد من حجم هذا القلق وتحوّله إلى قلق وجودي تصاعد النفوذ الإيراني وإمساك القوى الموالية لطهران بخيوط النظام السياسي الجديد وتحكمه بالأجهزة الأمنية والعسكرية.

---

(١٤) ميسرة الغريب، من خفايا التاريخ، الزرقاوي كما عرفته، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، الجزء الثاني، ص ٣ .

(١٥) وهو كتاب "فقه الدماء" نفسه، الذي أشار إليه ميسرة الغريب في الفقرة السابقة. أبو عبدالله المهاجر، مسائل في فقه الجهاد، على الرابط:

http://ia601203.us.archive.org/19/items/kotobjehad/masael.pdf

(١٦) أبو عبدالله المهاجر، المرجع السابق، فهرس المحتويات، ص ٥٦٩-٥٧٣ .

لم يُطلق الزرقاوي، في البداية، على جماعته اسماً معيّناً، فبحسب أبي أنس الشامي، كان الزرقاوي ينتظر أن تقوم جماعة عراقية بالإعلان عن نفسها، ومن ثم يعمل معها ومن خلالها، الا أن الشامي اقترح تشكيل هيكلية للجماعة، باسم "التوحيد والجهاد"، وقد تردد الزرقاوي لفترة بذلك، إذ كان يعمل من خلال مجلس شورى لشبكته تتكون من المقربين إليه، ثم اقتنع بالإعلان عن الجماعة، فبدأت جميع البيانات والإصدارات المسموعة والمرئية والمقروءة تصدر باسم "التوحيد والجهاد" منذ أيلول/ سبتمبر عام ٢٠٠٣.

لاحقاً تم تشكيل هيكلية محددة بقيادة الزرقاوي ومجلس شورى للجماعة، ولم تكن تتضمن أي نائب للزرقاوي، وتم تشكيل لجان عديدة أهمها اللجنة العسكرية، والإعلامية، والأمنية، والمالية، والشرعية العلمية، وقد ترأس أبو أنس الشامي اللجنة الشرعية وكان أول مسؤول شرعي للجنة (في أواخر شهر أيلول/ سبتمبر عام ٢٠٠٣)، وبهذا ازدادت وتيرة العمليات في هذه الفترة، وبدأت الجماعة بتطوير أدائها القتالي.

في السياق نفسه كانت جماعة "التوحيد والجهاد" تعمل على تجنيد عدد كبير من داخل العراق في مختلف القطاعات الحكومية والشعبية، حتى في الشرطة والجيش، واستطاعت أن تحصل على تأييد ودعم شعبي كبير في المناطق السُنيّة، مع ظهور الممارسات الطائفية الشيعية ضد السنة.

بُنيت استراتيجية الزرقاوي في العراق على عملية خلط الأوراق والتلاعب الهويّاتي، وبدأت استراتيجيته تحقق نجاحا في السعي لقيام حرب طائفية بين السُنّة والشيعة، بهدف إقحام المجتمع السُنّي في غمار الحرب لتشكيل نواة خصبة للجيش الإسلامي(١٧).

تمكن الزرقاوي فعليا خلال فترة وجيزة من فرض شبكته بقوة داخل المجتمع السُنّي العراقي، وتنامت قدراتها وقوتها عقب "معركة الفلوجة"

(١٧) أبو أنس الشامي، يوميات مجاهد، منتدى شبكة الصافنات الإسلامية، www.al-saf.net.

الأولى، وسط إخفاق أميركي سياسي وعسكري، إذ ساعدت الاستراتيجية القتاليّة الأميركية وتكتيكاتها الخاطئة، التي ارتكزت على القصف العشوائي، في جلب مزيدٍ من الأنصار داخل العراق وخارجها، كما ساهمت الممارسات الطائفيّة الشيعيّة وفرق الموت في دعم شبكة الزرقاوي.

وعلى الرغم من بعض الاختلافات بين نهج الزرقاوي وبن لادن زعيم تنظيم القاعدة، إلا أن المصالح المشتركة وفي مقدمتها استهداف الولايات المتحدة أسفرت عن بيعة الزرقاوي لبن لادن بتاريخ ٨ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٤، والإعلان عن تأسيس "قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين".

٣ - الاندماج مع شبكة القاعدة المركزية: حيثيات العلاقة الملتبسة

خلال تلك الفترة بدأت النقاشات حول انضمام التنظيم الجديد في العراق إلى قيادة القاعدة المركزية، لكن الخلاف الرئيس تمثّل بين تنظيم القاعدة وشبكة الزرقاوي حول الأولويات الاستراتيجية للسلفية الجهادية[١٨].

(١٨) تمثل السلفية الجهادية الأساس الإيديولوجي الجامع بين الزرقاوي وبن لادن، إلا أن تطبيقات المفاهيم المؤسسة على سياسة الأولويات والتوازنات في التعامل مع الواقع الموضوعي شكّل جوهر الخلاف بينهما، فبينما كان الزرقاوي يشدد على التمسك بأولوية قتال "العدو القريب" محليا، ممثلا بأنظمة الحكم العربية والإسلامية باعتبارها كافرة مرتدة، كان بن لادن وخليفته الظواهري قد توصلا إلى قناعة استراتيجية تقوم على أولوية قتال "العدو البعيد" عالميا، متمثلا في اليهود والصليبيين بزعامة الولايات المتحدة، التي تقوم بدعم وإسناد العدو القريب.

وإذا كانت السلفية الجهادية قد انطلقت محليا خلال حقبة الثمانينيات والتسعينيات إبان الحرب الباردة، فقد انحازت بعض تياراتها كالقاعدة إلى العالمية في عصر العولمة.

ومع دخول العالم العربي حقبة الثورات منذ ٢٠١١؛ برز نهج جديد للسلفية الجهادية والقاعدة يناهض الغرب والولايات المتحدة بطرائق غير مباشرة عبر مجاميع وشبكات جهادية إقليمية أعادت تمركزها في المنطقة العربية، وطوّرت استراتيجية تعتمد على دمج البعدين العالمي والمحلي، وهي ظاهرة جديدة تميّز الولادة الثالثة لتنظيم القاعدة وفضائه الإيديولوجي السلفي الجهادي الواسع؛ إذ تميّزت الولادة الأولى بقتال العدو القريب المحلي، وتميّزت الولادة الثانية بقتال العدو البعيد العالمي، أما الثالثة فعملت على دمج الأبعاد. انظر، كذلك: حسن أبو هنيّة، القاعدة واندماج الأبعاد: ولادة ثالثة ونشأة مستأنفة، الجزيرة نت، على الرابط:

http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2013/8/24/
%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9-
%D9%88%D8%A7%D9%86%D8%AF%D9%85%D8%A7%D8%AC-
%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%A8%D8%B9%D8%A7%D8%AF-

عملياً، وبالرغم من هذا الخلاف الجوهري، فقد أجبر الزرقاوي تنظيم القاعدة المركزي على الاعتراف بنهجه، والخضوع لاستراتيجيته، فقد ظهر كقائد ميداني استثنائيّ استطاع أن يخطف الأضواء من خلال أيديولوجيته الصّارمة وتكتيكاته المرعبة، وعلاقاته مع الجهاديّة العالميّة، التي نسجها بدقة بمساعدة منظّرين كبيرين كالمقدسي وأبي قتادة، فضلا عن شيخه أبي عبدالله المهاجر، وعززت من مكانة الزرقاوي خسارةُ القاعدة لعددٍ من قادتها الميدانيين الكبار في إطار الحملة الواسعة التي شنَّتها الولايات المتحدة، في سياق سياسة "الحرب على الإرهاب" كأبي حفص المصري الذي قُتل في غارة أميركية، ثم اعتقال كلٍّ من أبو زبيدة ورمزي بن الشيبة وخالد شيخ محمد، فتدّفق مئات المتطوعين من العالم العربي والإسلامي وأوروبا للالتحاق بالزرقاوي.

في الأثناء كشفت السلطات الأميركية عن إحدى أهم الوثائق، التي تُظهر حجم الخلاف بين تنظيم الزرقاوي والقاعدة المركزية، فقد بعث الزرقاوي برسالة إلى قادة القاعدة في باكستان في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٤، بهدف التوصل إلى صيغة مشتركة وتقريب وجهات النظر والتصورات الاستراتيجية للصراع، وقد تضمنت طلبا للمساعدة بشن حرب شاملة على جميع أطراف العملية السياسية التي تعمل مع الاحتلال، سُنيّة كانت أم شيعيّة، واستثمار سياسات الهوية في شن "حرب طائفية في العراق"(١٩).

%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%AF%D8%A9-
%D8%AB%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A9-
%D9%88%D9%86%D8%B4%D8%A3%D8%A9-
%D9%85%D8%B3%D8%AA%D8%A3%D9%86%D9%81%D8%A9

(١٩) نُشرت هذه الرسالة في صحيفة "نيويورك تايمز" أولا، ثم نشرتها صحيفة الحياة بتاريخ ٢٠٠٤/٢/١٢، وقد جرى التشكيك في صحة الرسالة المنسوبة للزرقاوي، إلا أن مضمون الرسالة تكرر لاحقا في رسائل وخطابات الزرقاوي، كسلسلة: دين الرافضة، وخطاب: وعاد أحفاد ابن العلقمي، كما أقر التنظيم بصحتها لاحقا، ونشرها ضمن رسائل الزرقاوي بعنوان: رسالة من أبي مصعب الزرقاوي إلى الشيخ أسامة بن لادن (حفظه الله)، بتاريخ ١٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٤، انظر: مجموع رسائل الزرقاوي، مرجع سابق، ص ٥٦ . كما أكد ميسرة الغريب صحتها في رسالة بعنوان "مقاتلة الشيعة في العراق: الحكم والحكمة، الجزء الأول، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي. وكذلك الشيخ أبو أنس الشامي مسؤول اللجنة الشرعية في بحث بعنوان: "الرد على شبهات حول الجهاد في العراق"، إذ قال: الرسالة التي تناقلتها الأنباء وتحدثت عنها الدنيا وتحير الناس في أمرها هي صحيفة صادقة النسبة الى الأخ القائد أبي مصعب الزرقاوي حفظه الله ورعاه، ولكن قد اعتراها بعض التحريف والتزييف.

تُعَدّ تلك الوثيقة لبِنَةً أساسية في فهم استراتيجية الزرقاوي ورؤيته لأولوية قتال العدو القريب، فهو يجادل قيادة القاعدة بالتهوين من نهجها المتعلق بالعدو البعيد، ويؤكد على وجود معركتين؛ المعركة الأولى: وهي مستوى ظاهر مكشوف "مع عدو صائل، وكُفر بيِّن" (أي مع الولايات المتحدة كعدو بعيد وكافر أصلي، وهو عدو القاعدة الأول)، والمعركة الثانية: معركة صعبة ضروس مع "عدو ماكر"، بزي الصديق الذي "يُظهِر الموافقة ويدعو إلى التآلف، ولكنه يضمر الشر، ويفتل في الذروة والغارب، وقد صار إليه ميراث الفرق الباطنية التي مرت في تاريخ الإسلام، وتركت في وجهه ندوبا لا تمحوها الأيام" (أي مع العدو القريب الكافر المرتد؛ سُنيّا كان أم شيعيّا)، فهذا "العدو المتمثل بالرافضة، المُطعَّم بعملاء – من المحسوبين على أهل السُنة – هو الخطر الحقيقي الذي نواجهه"[٢٠].

وبحسب الزرقاوي "إن قتالنا مع الأمريكان أمر يسير، فالعدو ظاهر ومكشوف الظهر، جاهل بالأرض وجاهل بواقع المجاهدين، لضعف المعلومة الاستخبارية لديه، ونعلم يقيناً أن هذه القوات الصليبية ستتوارى غدا أو بعد غد"[٢١]، أما الشيعة: "الرافضة: العقبة الكؤود والأفعى المتربصة وعقرب المكر والخبث والعدو المترصد والسم الناقع"[٢٢]، وخطرهم دائم وطموحهم واسع، إذ يؤكد الزرقاوي على أن "آمالهم تعظم مع الأيام في أن يقيموا دولة الرفض لتمتد من إيران مرورا بالعراق وسوريا ولبنان وانتهاء بمملكة الخليج الكرتونية"[٢٣].

لا يتردد الزرقاوي في تأكيد صواب نهجه بأولوية قتال العدو القريب، ممثلا بالشيعة أولا، فهو يقول في بيان آلية العمل "إنها –أي الرافضة– قد

(٢٠) أبو مصعب الزرقاوي، رسالة من أبي مصعب الزرقاوي إلى الشيخ أسامة بن لادن (حفظه الله)، بتاريخ ١٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٤، انظر: مجموع رسائل الزرقاوي، مرجع سابق، ص ٥٩ .

(٢١) المرجع السابق، ص ٦١ .

(٢٢) المرجع السابق، ص ٥٩ .

(٢٣) المرجع السابق، ص ٦٢ .

أعلنت الحرب المبطنة على أهل الإسلام، وإنها العدو القريب الخطير لأهل السنة، وإن كان الأمريكان هم أيضا عدوا رئيسيا، ولكن الرافضة خطرهم أعظم، وضررهم أشد وأفتك على الأمة من الأمريكان، الذين تجد شبه إجماع على قتالهم، كونهم عدوا صائلا.. إن قتالنا للرافضة هو السبيل لاستنفار واستنهاض هِمم الأمة للمعركة"(٢٤).

بعد فترة قصيرة من تأسيس جماعته أصبحت عملية "مناهضة الشيعة" تمثّل ركنا أساسيا في مشروع الزرقاوي وتوجهه، وهو يصرّ عليها بوضوح في مفاوضاته مع القاعدة، وقد أخذت المسألة الطائفية بالتدرّج والتحوّل من الإطار الاستراتيجي السياسي إلى عمق التوجهات الدينية، فبحسب الزرقاوي "تعالت وتيرة العمليات وكان ذلك في المثلث السُني – إن صحت التسمية – مما جعل الأميركيين يضطرون إلى عقد صفقه مع الرافضة شر الورى وقد تمت الصفقة على أن يحوز الرافضة ثلثي الغنيمة في سبيل الوقوف في صف الصليبين في وجهه المجاهدين"(٢٥).

يخلص الزرقاوي إلى إصدار حكم عام بتكفير الشيعة إذ يقول "إن التشيع دين لا يلتقي مع الإسلام إلا كما يلتقي اليهود مع النصارى تحت لافتة أهل الكتاب"(٢٦).

ثم يختم الزرقاوي رسالته لقيادة القاعدة بتأكيد المضي على نهجه المتعلق بأولوية قتال العدو القريب واستهداف الشيعة ومناهضة المشروع الإيراني في المنطقة وتكفير واستهداف الشيعة، كشروط لا يمكن المساومة عليها للانضمام لتنظيم القاعدة وتمثيله إقليميا، إذ يقول "هذه رؤيتنا قد شرحناها، وهذا

(٢٤) المرجع السابق، ص ٧١ .

(٢٥) أبو مصعب الزرقاوي، رسالة إلى بن لادن والظواهري، وهذ النص والذي يليه، من الرسالة الأصلية التي نشرتها الولايات المتحدة، بينما النص الذي نشره تنظيم الزرقاوي فيه بعض النقص، برره التنظيم بعدم الوضوح، انظر الرسالة على الرابط: http://www.shiaweb.org/News/al-nawaseb/zarqawi_al-shath.html .

(٢٦) أبو مصعب الزرقاوي، رسالة إلى بن لادن والظواهري، المرجع السابق.

سبيلنا قد جليناه، فإن وافقتمونا عليه وارتضيتموه لنا منهاجاً وطريقا، واقتنعتم بفكرة قتال طوائف الردة فنحن لكم جند محضرون، نعمل تحت رايتكم وننزل على أمركم، بل ونبايعكم علانية على الملأ"[٢٧].

جاء رد تنظيم القاعدة المركزي على استراتيجية الزرقاوي واضحاً عن طريق أيمن الظواهري، الذي بعث برسالة يؤكد فيها على نهج القاعدة السياسي المتعلق بأولوية قتال "العدو البعيد" ممثلا بالولايات المتحدة وحلفائها من اليهود والأنظمة المرتدة، إذ يرى بأنّ الجماهير المسلمة "لا تستفز إلا بعدو خارجي محتل، وخاصة إذا كان هذا العدو يهوديا بالدرجة الأولى ثم أمريكيا بالدرجة الثانية.. أما العنصر الطائفي والتعصبي فهو تال في الأهمية للغزو الخارجي وأضعف منه بكثير"[٢٨].

أخذ الخلاف بين الزرقاوي وقيادة القاعدة يتسع بين توجه مذهبي تحكمه الهوية وتوجه سياسي تحتمه المصلحة، فالعلاقة بين القاعدة وإيران ظهرت جليا عقب الهجوم الأميركي على افغانستان بعد ضربات ١١ سبتمبر، إذ لجأ إلى إيران أكثر من (٥٠٠) من أعضاء القاعدة وعائلاتهم، ومن أبرز قيادات القاعدة الذين احتجزوا في إيران في بيوت آمنة: سيف العدل، وسعد بن لادن، وأبو حفص الموريتاني، وسليمان أبو غيث، وأبو عبدالله المهاجر، إلا أن العلاقة كانت متوترة دوما بسبب الخلفية المذهبية المختلفة، وقد جمعت المصالح المشتركة المتمثلة بالعداء للولايات المتحدة وإسرائيل بين الفرقاء على الرغم من التنافر الإيديولوجي[٢٩].

(٢٧) أبو مصعب الزرقاوي، رسالة من أبي مصعب الزرقاوي إلى الشيخ أسامة بن لادن (حفظه الله)، مرجع سابق، ص ٧٢- ٧٣ .

(٢٨) أيمن الظواهري، رسالة إلى الزرقاوي بتاريخ ١٦/ ٧/ ٢٠٠٥، أنظر: الرابط: http://www.muslm.org/vb/showthread.php?407450-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B3%D9%88%D8%A8%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%A3%D9%8A%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B8%D9%88%D8%A7%D9%87%D8%B1%D9%8A-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D8%B1%D9%82%D8%A7%D9%88%D9%8A-%D8%B1%D8%AD%D9%85%D9%87-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87

(٢٩) حسن أبو هنيّة، القاعدة وإيران: انتهت المتعة والطلاق بائن، على الرابط: http://arabi21.starware.net/Story/714567 .

كانت مسألة حكم الشيعة تتطور داخل شبكة الزرقاوي، وبرزت كأحد الانشغالات النظرية الرئيسة التي لا بد من حسمها للانتقال إلى طور الاستراتيجية العملية في التعامل مع الوضع العراقي المعقد، الأمر الذي تولاه أبو أنس الشامي(٣٠)، وهو أول مسؤول شرعي لجماعة "التوحيد والجهاد"، حيث صنف كتاباً بعنوان "الشيعة"، لا يخرج عن فحوى خطابات الزرقاوي، وبعد أن استعرض مسارات تطور المذهب الشيعي تاريخياً وصولا إلى الحقبة الراهنة، خلص إلى نتيجة ختمها بالقول: "فهل يشك عاقل بعد هذا كله في أن دين الشيعة مكيدة أريد بها هدم الإسلام؟"(٣١)

كما أصدر عضو اللجنة الشرعية للجماعة، أبو حمزة البغدادي، كتاباً أكثر وضوحاً في نهج التنظيم المتعلق بتكفير الشيعة وأولوية قتال العدو القريب المتمثل بالمرتدين شيعة وسُنة، وهو يؤكد على كفر ورِدّة الشيعة عموماً، إذ يقول: "إننا نعتقد بأن الرافضة طائفة كفر وردة، لأنها جمعت بين الشرك الأكبر والأصغر، والكفر الاعتقادي والكفر العملي، والنفاق الأكبر والأصغر"(٣٢).

بالرغم من الاختلاف الواضح في الموقف من أولويات الصراع والورقة

---

(٣٠) أبو أنس الشامي، هو عمر يوسف جمعة وهو أردني من أصل فلسطيني من مواليد ١٩٦٩، استقر في الأردن بعد حرب الخليج الثانية، وذهب إلى البوسنة للمشاركة في الجهاد كمعلم، وعمل في الأردن إماماً لأحد المساجد، وكان مديراً لمركز الإمام البخاري التابع لجمعية الكتاب والسنة. التحق أبو أنس الشامي بالزرقاوي منتصف عام ٢٠٠٣، واستطاع أن يقنع الزرقاوي بالإعلان عن تأسيس جماعة باسم "التوحيد والجهاد"، وهو ما تم فعلاً أواخر شهر أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠٣ وتم تشكيل هيكليّة صارمة بقيادة الزرقاوي ومجلس شورى، وتشكلت عدّة لجان: عسكرية، وإعلامية، وأمنية، ومالية، وشرعية، وقد ترأس أبو أنس الشامي اللّجنة الشرعية للجماعة، وقد قتل بتاريخ ٢٠٠٤/٩/١٦ أثناء محاولة اقتحام سجن أبو غريب.

(٣١) أبو أنس الشامي، الشيعة، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:

http://www.tawhed.ws/f?text=%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%B9%D8%A9&in=title&author=&category=&submit=%D8%A8%D8%AF%D8%A1+%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D8%AB

(٣٢) أبو حمزة البغدادي، لماذا نقاتل؟ ومن نقاتل؟، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.tawhed.ws/r1?i=4342&x=juzn3cys

الطائفية والسياسات الإيرانية؛ إلاّ أنّ الاتصالات بين جماعة "التوحيد والجهاد" بزعامة الزرقاوي، وتنظيم القاعدة المركزي بزعامة بن لادن كانت مستمرة لتجسير الفجوة بين رؤيتين مختلفتين حول طبيعة الصراع وأولويات العمل، وقد تمسك كل طرف بصواب نهجه. لكن ما رجّح من موقف الزرقاوي هو فشل القاعدة في تأسيس وتثبيت فرع لها في "جزيرة العرب"، بعد سلسلة من العمليات العسكرية في السعودية، بدأت في أيار/ مايو ٢٠٠٣، بهدف زعزعة ثقة الولايات المتحدة بحليفتها، وإجبارها على الدخول إلى السعودية، فقد جاءت العملية بنتائج كارثية على القاعدة بسبب نجاح الأجهزة الأمنية السعودية، وعدم وجود حاضنة شعبية كافية، ومقتل أبرز قيادات الفرع السعودي كيوسف العييري، وصالح العوفي، وعبد العزيز المقرن، وغيرهم، إذ تعززت القناعة داخل الفرع السعودي بنجاح استراتيجية الزرقاوي في العراق، وبدت أكثر نجاعة وأشد فاعلية، فبدأ عدد من رموز القاعدة في جزيرة العرب بالانحياز إلى الزرقاوي وشبكته عن طريق الرسائل الصوتية والمرئية والمكتوبة، وكان صالح العوفي قد أصدر (قبل مقتله) عدة إصدارات يؤيد فيها ما يقوم به الزرقاوي في العراق، والتحق عدد كبير من أعضاء القاعدة في السعودية بشبكة الزرقاوي، وعلى رأسهم عبد الله الرشود(٣٣).

لقد ظهر تنظيم القاعدة المركزي في أضعف حالاته بعد فقدان ملاذاته الآمنة، وخسارة عدد كبير من قياداته كأبي حفص المصري (الذي قُتِل في غارة أميركية)، ثم اعتقال كلٍّ من أبي زبيدة ورمزي بن الشيبة وخالد شيخ محمد، وغيرهم، بعد الحملة التي شنَّتها الولايات المتحدة على التنظيم في باكستان وأفغانستان وفق سياسة "الحرب على الإرهاب".

في المحصلة، وعقب ثمانية شهور من الاتصالات، خضع أخيراً التنظيم

(٣٣) يعتبر الشيخ عبد الله الرشود من أبرز قيادات تنظيم القاعدة في السعودية، وكان من ضمن قائمة المطلوبين الـ (٢٦)، وقد التحق بالزرقاوي مع عدد من أعضاء القاعدة، بعد رسالة صالح العوفي، الذي رحب بمبايعة الزرقاوي وطلب من اعضاء التنظيم والمتعاطفين معه مساندته بالمال والرجال، وقد قتل الرشود في هجوم بالقرب من القائم في غارة أميركية في شهر أيار/مايو ٢٠٠٥، وأصدر تنظيم قاعدة الجهاد شريطاً صوتياً ينعى فيه الزرقاوي الرشود.

المركـزي لشـروط الزرقـاوي على مـضض، دون أن يتنازل الزرقـاوي عن استراتيجيته ونهجه، فأعلن الزرقاوي عن بيعته لأسامة بن لادن (بتاريخ ٨ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٤)، وتمّ إلغاء العمل باسم جماعة "التوحيد الجهاد"، وتأسيس "قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين".

يكشف بيان "البيعة والانضمام" عن خضوع المركز لشروط فرع الزرقاوي، فقد جاء فيه "كانت هناك اتصالاتٌ بين الشيخ أبي مصعب حفظه الله مع الإخوة في القاعدة منذ ٨ أشهر، وتم تبادل وجهات النظر، ثم حصل انقطاع قَدَري، وما لبث أن أكْرَمَنَا الله بعودة الاتصالات، فَتَفَهَّم إخواننا الكرام في "القاعدة" استراتيجية "جماعة التوحيد والجهاد" في أرض الرافدين أرضِ الخلفاء، وانشرَحَت صدورهم لمنهجها فيها"(٣٤).

بعد الإعلان عن تأسيس الفرع العراقي للقاعدة، ومع اشتداد مواجهة الولايات المتحدة وحلفائها، وفي مقدمتهم القوى السياسية الشيعية الذين تغلغلوا في مفاصل الدولة، أخذت مسارات الهوية الطائفية منعطفاً واضحاً لدى التنظيم بصورة خاصة مع بدء معركة الفلوجة الثانية، فخلال عام ٢٠٠٥، تطوّر خطاب الزرقاوي، بصورة لافته، وفي كلمة واضحة الدلالة بعنوان: "وعاد أحفاد ابن العلقمي"، نجده يقول "إن ما لاقاه ويلاقيه أهل السنة في العراق من هؤلاء الروافض أحفاد ابن العلقمي أشنع وأفظع بكثير مما لاقوه على يد العدو الأمريكي، فوالله إن الروافض الحاقدين لأشد علينا من أعدائنا الصليبيين"(٣٥).

وفي سياق تصاعد أنشطة المليشيات الشيعيّة، أعلن الزرقاوي عن تأسيس "فيلق عمر" لمواجهة "فيلق بدر" الشيعي، إذ يقول "وإننا في "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين" لنعلن عن تشكيل فيلق عسكري أسميناه بـ "فيلق عمر"، تيمناً بالفاروق ابن الخطاب فداه أبي وأمي، وهذا الفيلق أنشأناه

(٣٤) بيان بيعة جماعة التوحيد والجهاد لتنظيم قاعدة الجهاد، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:
http://www.tawhed.ws/r?i=dwww5009

(٣٥) أبو مصعب الزرقاوي، وعاد أحفاد ابن العلقمي، بتاريخ ١٨ أيار/مايو ٢٠٠٥، سلسلة محاضرات، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أبو مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية، ص ٢٥٤ .

لاستئصال شأفة واجتثاث رموز وكوادر "فيلق الغدر" ـ فيلق بدر ـ فيكفينا مؤنة الاشتغال بهذا الفيلق الغادر، حتى نتفرغ لمنازلة الصليبيين وباقي أعوانهم من المرتدين"(٣٦).

أخذت طبائع الصراع في العراق وأولويات تنظيم القاعدة هناك تتضح مع تصاعد وتيرة الخطاب الطائفي الشيعي، وسيطرة الشيعة على مفاصل الدولة العراقية وتنامي النفوذ الإيراني عام ٢٠٠٦، إذ تشكّلت قناعة لدى الزرقاوي بأن الشيعة لا ينتمون إلى الإسلام، وبأنهم كُفّار، إذ يقول في سلسلة من المحاضرات بعنوان "هل أتاك حديث الرافضة" "إنّ الرّفض دين يختلف تماماً عن الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يمكن أن يلتقي معه في كثير من الفروع والأصول"(٣٧).

في هذه المرحلة بدأ الزرقاوي يوجه خطاباته لأهل السُنّة وتحشيدهم لخوض حرب ضد الشيعة، دون الاكتراث بتهمة الطائفية، إذ يقول مخاطبا السُنّة "اسْتعدّوا لِلَفْظِ وَ بَكَرْ سُموم أَفاعي الرَّافِضة، التِي كانت تلْدغ بكم وتسومكم سُوء العذاب منْذ احتلال العراق، وإلى يومنا هذا، وكفاكم من دعاوى ترك الطائفية والوحدة الوطنية، والتي أصبحت تستخدم سلاحا لترويضكم وتثبيطكم واستسلامكم، وتطبيعكم على الجبن حين تتعرضون لكيد ولؤم هؤلاء، الذين كانوا من أبرز من والى وسالم المحتل، وسعى في تخريب ونهب خيرات البلاد"(٣٨).

وفي نهاية المطاف حسم الزرقاوي أمره في حكم الشيعة المعاصرين، فقد ذهب في عقيدته المعتمدة لدى التنظيم الى تكفير الشيعة بمذاهبها المعروفة اليوم، خلافا لاعتقاد تنظيم القاعدة المركزي، فقرر في متن عقيدته القول: "والرافضة عندنا طائفة شرك وردة"(٣٩)، ويقدم شارح المتن تفصيلاً

(٣٦) المرجع السابق، ص ٣٠٩ .

(٣٧) الزرقاوي، سلسلة محاضرات، هل أتاك حديث الرافضة، ١ حزيران/يونيو ٢٠٠٦، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أبو مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية، الجزء الأول، ص ٥١٤ .

(٣٨) الزرقاوي، هل أتاك حديث الرافضة، المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ٦٠٤ .

(٣٩) هذه عقيدتنا ومنهجنا، تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، اللجنة الشرعية، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.tawhed.ws/r?i=ygz0yz64 .

للاختلاف التاريخي حول حكم الشيعة وبيان كفر المعاصرين بالقول: "وما يروى عن اختلاف الأئمة في كفر الشيعة، فهو اختلاف تاريخي في قوم لا يجمعهم بالشيعة الرافضة إلاّ الاسم وادعاء حبِّ آل البيت"[٤٠]. ويسترسل الشارح بالرد على المخالفين من أهل السنة في تكفير التنظيم للشيعة بقوله "أما من قال إن الخلاف بيننا وبينهم في الفروع فهذا خطأ عظيم يدل على جهل عظيم، بل الخلاف في الأصول، وخلاف كفر وإيمان وإسلام وشرك، ما عدا الزيدية ففيهم تفصيل كما ذكرنا"[٤١].

يمكن القول بأنّ تنظيم القاعدة العراقي في حقبة الزرقاوي كان الأكثر نشاطاً والأشد فتكاً والأوسع انتشاراً، ليس على الصعيد العراقي المحلي فحسب، وإنما الإقليمي والدولي، فقد امتد نشاط التنظيم منذ عام ٢٠٠٣ حتى بداية ٢٠٠٦ بشكل لافت وانعكست عملياته بصورة كبيرة وفاعلة إقليمياً ودولياً، فقد أدّى هذا الصعود إلى تحول كامل في البيئة الأمنية الإقليمية بأسرها، وبدت القاعدة أشد خطورة وأكثر احترافاً وتعقيداً وقدرة على التأثير على الحالة الأمنية في أماكن عديدة. وبرز الزرقاوي بوصفه قائداً له مكانته في صفوف الجهادية العالمية، بل تفوّق عند كثير من الجهاديين على مؤسس القاعدة، أسامة بن لادن، نفسه[٤٢].

ومع تنامي قدرات الفرع العراقي للقاعدة منتصف عام ٢٠٠٥، وزيادة مجال نفوذه وانتشاره، بدأ يفكر بإنشاء إمارة سُنيّة، واستقطاب الجماعات السُنيّة المسلحة، فتم الإعلان عن تأسيس "مجلس شورى المجاهدين"[٤٣] (في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥)، فتخلى الزرقاوي عن القيادة لمصلحة عبد الله

(٤٠) أبو مارية القرشي، نور اليقين: شرح عقيدة تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، منبر التوحيد والجهاد، ص ٢٦، على الرابط:
http://up1430.com/central-guide/pencil/gimf/dar/old/Nor-ALyaqen/index.html

(٤١) المرجع السابق، ص ٢٦ .

(٤٢) انظر: إلي كارمون، القاعدة والحرب على الإرهاب بعد الحرب في العراق، ترجمة مركز القدس للدراسات السياسية، على الرابط: http://www.alqudscenter.org/arabic/pages.php?local_type=128&local_details=2&id1=663&menu_id=10&cat_id=10.

(٤٣) انظر: بيان تأسيس مجلس شورى المجاهدين، على الرابط: http://www.tawhed.ws/r?i=5cqkqf0o .

رشيد البغدادي، من الناحية الشكلية، وباتت القاعدة عضواً في المجلس كسائر الأعضاء الآخرين تحت راية المجلس الجديد، وفي البداية انضم للمجلس ستة جماعات، ثم ارتفع العدد إلى ثمانية، وفي مرحلة لاحقة وصل إلى اثنتي عشرة جماعة[٤٤].

في الأثناء بدأ الزرقاوي يعتمد بشكل أكثر على العراقيين، فباشر في عملية استقطاب الجماعات السُنيّة المقاتلة، لكن ما خططت له القاعدة في العراق كان أبعد من وحدة المجاهدين، إذ كان الزرقاوي على وشك الإعلان عن تأسيس "إمارة سُنيّة"، فقد قدم أبو سعيد الكرخي اقتراحاً للزرقاوي بإعلان الأنبار إمارة إسلامية تحت الاحتلال، بتاريخ ٥ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥[٤٥].

لاحقاً، ظهر الزرقاوي في خطاب مرئي نادر مسرب (بتاريخ ٢٥ نيسان/أبريل ٢٠٠٦) تضمن حواراً مع بعض أتباعه يناقش فيه إمكانية إعلان إمارة إسلامية في غضون ثلاثة أشهر[٤٦]، إلا أنه قُتل بعد ذلك بأقل من شهرين (٧ حزيران/يونيو ٢٠٠٦)، ما حال دون الإعلان، الأمر الذي سارع خلفاؤه نحو التمسك به عبر إعلان قيام "دولة العراق الإسلامية".

٤- إعلان "دولة العراق الإسلامية"

ترك الزرقاوي لخلفائه منظمة متماسكة وقوية ونافذة، وأخذت تأكيدات الهوية السُنيّة بعداً أكثر وضوحاً وصلابةً، وأصبح أتباع الزرقاوي أكثر عزماً على إقامة دولة إسلامية على أساس الهوية السُنيّة، فقد تم

---

(٤٤) وهي: "جيش الطائفة المنصورة، جيش أهل السنة والجماعة، جماعة جند الصحابة، سرايا الجهاد الإسلامي، سرايا فرسان التوحيد، سرايا ملة إبراهيم، كتائب كردستان، كتائب المرابطين، كتائب أنصار التوحيد، كتائب أنصار التوحيد والسُنّة، كتائب الأهوال، كتائب الغرباء، بالإضافة إلى عدة كتائب من جيش الفاتحين، وبعض فصائل الجيش الإسلامي، وأنصار السُنّة وبعض كتائب جيش المجاهدين، وبعض فصائل كتائب ثورة العشرين وبعض كتائب عصائب العراق الجهادية".

(٤٥) لمزيد من التفصيل حول مشروع إقامة إمارة إسلامية في الأنبار، والاطلاع على وثيقة المشروع المقترح، انظر: الدكتور وليد الراوي، دولة العراق الإسلامية، دار آمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص ١٣٤- ١٤٦ .

(٤٦) انظر أبو مصعب الزرقاوي يبشر بقيام إمارة إسلامية في العراق، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=93oHYWxxi_Q.

الإعلان بعد فترة وجيزة عن تشكيل "حلف المطيبين"، وهو ائتلاف يضم الحركات والمنظمات والجماعات المنضوية في إطار "مجلس شورى المجاهدين"، وبعض زعماء العشائر السُنيّة (في ١٢ تشرين الأول/أكتوبر٢٠٠٦)(٤٧). وبعد أيام فقط، تم الإعلان عن تأسيس "دولة العراق الإسلامية" (في ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦)، وتضم، من الناحية النظرية، عدداً من المحافظات العراقية السُنيّة، وهي: الأنبار وكركوك ونينوى وديالى وصلاح الدين وبابل وواسط. إذ فرض التنظيم سيطرته على مساحات واسعة منها، وجاء في بيان الإعلان: "ونحن إذ نُعلن قيام هذه الدولة مستندين إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم عندما خرج من مكة إلى المدينة فأقام دولة الإسلام فيها.. وإننا اليوم ندعو كل مجاهدي وعلماء العراق وشيوخ العشائر وعامة أهل السنة إلى بيعة أمير المؤمنين الشيخ الفاضل أبو عمر البغدادي على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن نعمل جاهدين على تقوية دعائم هذه الدولة"(٤٨).

لقد أصبح أبو عمر البغدادي (حامد داود الزاوي) أميراً لدولة العراق الإسلامية، وكان قد تمت تزكيته لأسامة بن لادن من طرف الزرقاوي سابقاً، وأبو حمزة المهاجر، لاحقاً، الذي تولى قيادة تنظيم القاعدة في العراق خلفاً للزرقاوي، وأصبح مع إعلان الدولة وزيراً للحرب. وبمطالعة الأسماء المعلنة في

(٤٧) انظر الإعلان عن حلف المطيبين، حيث ظهر بضعة ملثمين قيل أنهم من قادة العشائر ومجلس الشورى يتعاهدون فيه على تحكيم الشريعة والانتصار للجهاد والمجاهدين في العراق على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=60mgEeNc7Z8.

(٤٨) جاء بيان التأسيس الذي أعلنه محارب الجبوري المتحدث باسم دولة العراق الإسلامية ـ وزارة الإعلام معبراً عن التغيرات في الساحة العراقية وتهميش المكون السُنيّ، إذ يصف البيان الوضع كالتالي: بعد أن انحاز الأكراد في دولة الشمال، وأُقِرت للروافض فيدرالية الوسط والجنوب وبدعم من اليهود في الشمال والصفويين في الجنوب تحميهما ميليشيات عسكرية سوداء الفكر والقلب والعمل، مالت على أهلنا أهل السُنّة فأوغلت في دمائهم وعرضتهم لأبشع صور القتل والتعذيب والتهجير حتى صار أهل السُنة كالأيتام على مأدبة اللئام، صار لزاماً على شرفاء وأحرار أهل السُنّة من المجاهدين والعلماء العاملين والوجهاء تقديم شيء لإخوانهم وأبنائهم وأعراضهم خاصة، في ظل هذه المسرحية الهزيلة المسماة (دولة المالكي). التي شارك في أدوارها وللأسف خونة أهل السُنّة فلبّسوا على الناس دينهم وأضاعوا عن عمدٍ حقوق شعبهم، انظر نص البيان على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=536.

تشكيل حكومة الدولة سنجد أنّ هنالك هيمنة للمكون العراقي على مفاصل التنظيم، وغياب الجهاديين العرب والأجانب باستثناء أبي حمزة المهاجر(٤٩).

وبحلول العام ٢٠٠٦، كان الوضع الأمني في العراق قد تدهور مع تصاعد هجمات القاعدة، الأمر الذي بحثت فيه الولايات المتحدة عن خيارات صعبة، وظهر الجنرال ديفيد بيترايوس كمنقذ، إذ قدم استراتيجية جديدة في "مكافحة التمرد"، تستند إلى سياسة تدفق القوات، من خلال ضخ أكثر من ٣٠ ألف من الجنود الأميركيين لإعادة الانتشار ومنع مزيد من الانهيارات، ليصل عدد القوات الأميركية إلى ١٦٠ ألفاً من الجنود، بالتزامن مع دعم الحركات والفصائل والقوى السُنيّة المستعدة لقتال تنظيم دولة العراق الإسلامية، وهي الظاهرة التي أُطلق عليها مصطلح "الصحوات"(٥٠).

وبالرغم من أن تاريخ ١٠ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧ هو الذي صرح فيه الرئيس الأميركي جورج بوش عن خطته لإرسال قوات إضافية بمقدار ٢٠ ألفاً من الجنود، بداية لاستراتيجية "التدفق" وزيادة عدد القوات، إلا أن

---

(٤٩) وتشكلت حكومة الدولة من عدد من الوزارات، وهي على النحو التالي: وزير أول الشيخ أبوعبد الرحمن الفلاحي، وزير الحرب الشيخ أبوحمزة المهاجر، وزير الهيئات الشرعية الأستاذ الشيخ أبو عثمان التميمي، وزير العلاقات العامة الأستاذ أبو بكر الجبوري، وزير الأمن العام الأستاذ أبوعبد الجبّار الجنابي، وزير الإعلام الشيخ أبو محمد المشهداني، وزير شؤون الشهداء والأسرى الأستاذ أبوعبد القادر العيساوي، وزير النفط المهندس أبو أحمد الجنابي، وزير الزراعة والثروة السمكية الأستاذ مصطفى الأعرجي، وزير الصحة الأستاذ الطبيب أبوعبدالله الزيدي. انظر: التشكيلة الوزارية الأولى لدولة العراق الإسلامية، ١٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٧، الكتاب الجامع لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ .

(٥٠) يشير مصطلح الصحوة إلى ردة فعل سُنيّة مسلحة ضد مقاتلي تنظيم القاعدة في العراق، وتعمل تحت إشراف القوات الأميركية، والقوات المسلحة العراقية، وهي قوات شبه عسكرية، ولديها وظائف مجتمعية واستخبارية في حالة السلم، وأمنية وعسكرية في حالة الحرب. وينقص معظم قياداتها الخبرة في إدارة قواتها، والضعف من ناحية التدريب والعمليات والاستخبارات والتجهيز والإمداد وشهد الإنفاق المالي غير المنضبط على الصحوات فساداً ملحوظاً منذ التأسيس ولغاية اليوم. ويمكن تقسيم تشكيلات الصحوات بحسب من قام بتأسيسها إلى أولاً: أبناء العشائر "صحوة العشائر القديمة"؛ توحدت في الأنبار بزعامة عبدالستار البوريشة باسم "مجلس صحوة الأنبار"، بتمويل أميركي، وقد تم دمجهم في أجهزة الدولة، ثم تحولوا الى العمل السياسي من خلال تأسيس "مؤتمر صحوة العراق"، ثانياً: أبناء العشائر "صحوة العشائر الجديدة"، وهي تكوينات عديدة ممولة أميركيا بصفة متعاقد، من أهمها؛ في شرق الأنبار بقيادة وسام الحردان، وفي غرب الفلوجة بقيادة محمد الهايس، وفي غرب الرمادي بقيادة نعيم الكعود، تم توسيع هذا التشكيل وشمل كل حزام بغداد بقيادة ثامر التميمي (أبو عزام)، وثالثاً: صحوات الفصائل "السلفية والاخوانية والبعثية"؛ أمثال الحزب الإسلامي، والجيش الإسلامي، وكتائب ثورة العشرين، ولمزيد من التفصيل انظر: هشام الهاشمي، صحوات الفصائل السُنيّة، على الرابط:

http://www.ynewsiq.com/?aa=news&id22=3155&iraq=%D5%CD%E6%C7%CA%25.

الزيادة بدأت، بشكل غير رسمي، في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٦، عندما أصدر الجيش الأميركي "الدليل الميداني لمكافحة التمرد ٣ ـ ٢٤"[٥١]، الذي وضع فيه بترايوس وآخرون تفاصيل الزيادة القادمة، وهي طريقة فهم جديدة تنطلق من الاعتقاد بأن نشر أعداد كبيرة من القوات في المنطقة ستحقق النصر بطريقة أو بأخرى[٥٢].

سبّبت هذه الاستراتيجية الجديدة معضلات جوهرية لتنظيم الدولة الإسلامية، فكان عليه مواجهة تدفق القوات الأميركية، والتصدي لقوات الحكومة العراقية المسندة بالمليشيات الشيعية وفرق الموت، والتعامل مع الصحوات السُنيّة، وفي الأثناء خوض معركة مسلحة مع الفصائل السُنيّة المسلحة الأخرى، التي رفضت القبول ببيعته والخضوع له، مثل كتائب ثورة العشرين والجيش الإسلامي.

ومن جهة أخرى كان التنظيم يخوض معركة خفية مع تنظيم القاعدة المركزي تتعلق بإعلان الدولة أساساً، وتبرير سلوكه العنيف وممارسته في فرض تصوراته الدينية، فقد أصدرت مؤسسة الفرقان الإعلامية لقاعدة العراق، التي باتت تتبع وزارة الهيئات الشرعية التابعة للكيان الجديد، كتاباً تبرر فيه فقهياً قرار إعلان الدولة، لمسؤول الهيئة الشرعية، عثمان بن عبد الرحمن التميمي، بعنوان "إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام"، يحشد فيه أدلة

---

(٥١) تستهدف مكافحة التمرد المستوى " الرفيع جداً" للعلاقات الاجتماعية، فهي تمزق تمزيقاً بالغاً العلاقات الاجتماعية الحميمة بين الناس (لكن نادراً ما تعيد صناعتها)، وتدمر قدرتهم على التعاون، كما تمزق نسيج التضامن والتعايش ـ بمعنى آخر، تمزق الروابط التي تشكل مجتمعاً. إذ تسعى الحرب التقليدية للسيطرة على الأرض وتدمير جيش العدو، بينما تسعى مكافحة التمرد إلى السيطرة على المجتمع، انظر ترجمة مقال: أوليفر بلشر، ما بعد الاستعمار: العلوم الاجتماعية العسكرية وصنع عقيدة مكافحة التمرد الأمريكية، على الرابط:

http://www.inbaa.com/%D9%85%D8%A7-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%8C-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D8%A7/.

(٥٢) انظر: ستيف دوبرانسكي، لماذا فشلت الولايات المتحدة في العراق؟، على الرابط:

http://www.darbabl.net/show_tarjama.php?id=327.،

وجوب قيام الدولة، يقول فيه: "ومشروع دولة العراق الإسلامية يأتي كتطبيق عملي لواجب هام من واجبات الشريعة، أتاحت لها الظروف مجالاً رحبًا حسبما يراه أبناء الجهاد، وبات الواقع متهيئًا ومناسبًا لموضوعه وبرنامجه ليأخذ مكانه في ساحته، الانطلاقة التي اعتمدها المجاهدون في إعلانهم لدولتهم كانت مزيجًا مركبًا من حقائق شرعية مستمدة من الكتاب والسنة ورؤى واقعية وسياسية تتمخض عن ساحة التجربة والمراس"(٥٣).

وبذلك أصبح إعلان الدولة مصدراً جديداً للخلاف والأزمة المكتومة بين التنظيم المركزي والفرع العراقي، فقد جاء في بيان صادر عن التنظيم (بتاريخ ١٣ شباط/ فبراير ٢٠٠٧)، رداً على من يتمسك باسم القاعدة أن الدولة الإسلامية قد بينت وفي أكثر من مناسبة أن الإخوة في "تنظيم القاعدة في العراق" سابقاً أصبحوا جزءاً ومكوناً من "جيش الدولة" الذي يضم كذلك عشرات الكتائب وآلاف المقاتلين من بقية الفصائل الجهادية(٥٤).

إشكالية الإطار الجديد من العلاقة تتمثل في أنّ تنظيم القاعدة العراقي أصبح جزءاً من تنظيم الدولة الإسلامية، ما يعني أنّ هنالك تضارباً وُلد، بصورة غير معلنة، بين بيعة الزرقاوي لبن لادن وهذه الصيغة الجديدة،

(٥٣) عثمان بن عبد الرحمن التميمي، إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي، ص ١٠ . ويستند الكتاب إلى تراث الأحكام السلطانية التاريخي، إذ يقرر بأن أهل الحلّ والعقد في الكيانات السابقة على الدولة، بدءاً بتنظيم القاعدة مرورا بمجلس شورى المجاهدين وصولاً إلى حلف المطيبين، قد بايعوا أبو عمر البغدادي أميراً للدولة، وبهذا تم حلّ كافة الكيانات السابقة ودمجها في أجهزة الدولة بما فيها قاعدة العراق وزعيمها المهاجر الذي أصبح وزيراً للدفاع، فقد أعلن في شريط صوتي بعنوان "إن الحكم إلا لله "عن ذوبان كل التشكيلات ودخولها تحت سلطة دولة العراق الإسلامية: "أقول للشيخ المفضال والبطل المغوار الهاشمي القرشي الحسيني النسب أمير المؤمنين أبي عمر البغدادي: بايعتك على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله وأن نقول الحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.، معلناً ذوبان كل التشكيلات التي أسسناها بما فيها مجلس شورى المجاهدين، وبالنيابة عن إخواني في المجلس تحت سلطة دولة العراق الإسلامية. واضعاً تحت تصرفكم وإمرتكم المباشرة اثني عشر ألف مقاتل هم جيش القاعدة، كلهم قد بايع على الموت في سبيل الله". انظر كذلك: أبو حمزة المهاجر، كلمة صوتية بعنوان: إن الحكم إلا لله، على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=511.

(٥٤) انظر: نص البيان على الرابط: http://the-islamic-state.blogspot.com/2013/12/blog-post_1305.html.

يؤكّد ذلك زعيم الدولة الإسلامية في العراق أبو عمر البغدادي، في شريط صوتي حمل عنوان "وقل جاء الحق وزهق الباطل"، إذ يقول: " ما القاعدة إلا فئة من فئات دولة الإسلام"(٥٥)، ويؤكّد على هذا التحول - المهم في تطور الأحداث لاحقاً- في شريط صوتي آخر، حمل عنوان "فأما الزبد فيذهب جفاء"، وفيه يقرر بأنّ: " أمير القاعدة المهاجر (يقصد أبا حمزة المهاجر) أعلن وعلى الملأ بيعته وسمعه وطاعته للعبد الفقير، وحُلَّ التنظيم رسمياً لصالح دولة الإسلام دولة العراق الإسلامية"(٥٦).

إذاً؛ بات موضوع إعلان الدولة نفسه مناطاً رئيساً للخلاف داخل أوساط التيار السلفي الجهادي عموماً، وبين تنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة خصوصاً، وسنرى لاحقاً (بعد أعوام عديدة) كيف أنّه سيثير جدلاً واسعاً بين الظواهري والفرع العراقي، وهو خلاف قديم لم يأخذ مساحة واسعة من الاهتمام الإعلامي، ولم يظهر إلى العلن بالصورة الجلية الراهنة إلاّ مؤخراً، بالرغم من أنّه خلق آنذاك مشكلة واسعة بين الطرفين، وربما تشير إلى ذلك رسالة مهمة من قاضي الدولة الإسلامية، أبي سليمان العتيبي (الذي عُزِل لاحقاً بسببها) إلى قيادة القاعدة المركزية، يعترض على الإعلان عن قيام الدولة، ويؤكد على أنها تسببت بتراجع تنظيم القاعدة في العراق(٥٧).

وبالرغم من أنّ المعلومات التي برزت مؤخراً تؤكّد استياء تنظيم القاعدة المركزي حينها، بزعامة بن لادن، من ذلك الإعلان ومن الخطّ الذي أخذ يسير عليه تنظيم العراق؛ إلا أن ذلك لم يصل إلى حد القطيعة والصدام، وبقيت العلاقات مستمرة رغم الفتور وضعف التنسيق، إذ أصدر الرجل الثالث في التنظيم آنذاك، عطية الله الليبي (جمال إبراهيم اشتيوي

---

(٥٥) أبو عمر البغدادي شريط صوتي مفرغ بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٢٢ بعنوان: وقل جاء الحق وزهق الباطل، على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=493.

(٥٦) أبو عمر البغدادي شريط صوتي مفرغ، بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/٤، بعنوان: فأما الزبد فيذهب جفاء، على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=479.

(٥٧) تم عزل قاضي تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، الذي أصبح قاضيا للدولة أبو سليمان العتيبي وهو سعودي الأصل، واستبداله بقاض عراقي وهو أبو إسحاق الجبوري، بعد بعثه للرسالة من قبل أبو حمزة المهاجر، أنظر نص الرسالة، على الرابط: http://justpaste.it/dolq.

المصراتي)، مقالة انتقادية (في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٦) تضمنت قضيتين أساسيتين شكلتا أساس ومحور الخلاف، الأولى: تتحفظ على تسمية "الدولة"، ويقترح بدلا منها اطلاق اسم "إمارة"، والثانية: الابتعاد عن وصف "أمير المؤمنين" على القيادة الجديدة، والإبقاء على مسمى "أمير"، خوفاً من اللبس والإيهام الذي يوحي بكونه الإمام الأعظم الواجب الطاعة، خصوصا إذا أضيف إليه قرشية النسب[٥٨].

ومع أنّ الطرفين حاولا تجاوز الاختلاف الكبير، إلاّ أنّه كان بالفعل نقطة تحول مهمة في مسار الفرع العراقي للقاعدة فقد أخذ، لاحقاً، مسارات أكثر استقلالية عن تنظيم القاعدة المركزي بعد الإعلان عن قيام الدولة، وذلك بعد أن تبدلت موازين القوى داخل الفرع العراقي وأصبح تحت سيطرة العراقيين بصورة لافتة، وتراجع نفوذ وهيمنة المقاتلين العرب والأجانب.

أدى إعلان الدولة إلى محاولة التنظيم فرض الهيمنة والسيطرة على المناطق السُنيّة وإخضاعها لحكمه، ما أدّى إلى تمرد حاضنته السُنيّة، وقد سهّل ذلك تحقيق نتائج فعّالة لاستراتيجية الجنرال الأميركي بيترايوس، فتشكلت مجالس إسناد عشائرية سُنيّة، وتأسست قوات الصحوة، التي تمثّل تحوّلاً ملحوظاً في مواقف العشائر وفصائل المقاومة السُنيّة من موقف داعم للمسلَّحين الجهاديين إلى متعاون مع القوات الأميركية، فعمدت الولايات المتحدة إلى تسليح قوات الصحوة، ودعمها مالياً، وقد بلغ عددها أكثر من مائة ألف مسلّح[٥٩] .

(٥٨) اللافت للنظر في هذا السياق أن بيان إعلان تأسيس الدولة لم يشر إلى أنّ أبا عمر البغدادي قرشي النسب، لكن الفرع العراقي تدارك ذلك لاحقاً في خطاب بيعة أبو حمزه المهاجر زعيم القاعدة في العراق لأبي عمر البغدادي وذلك بعد أسابيع في ١٠ تشرين الثاني/ نوفمبر حين وصف البغدادي بقوله: "ذلك القريشي والهاشمي، حفيد الحسين، أمير المؤمنين أبو عمر البغدادي"، وهي المرة الأولى التي يشار فيها إلى نسبه، ولم يذكر كتاب "إعلام الأنام" موضوع نسب الأمير الجديد، فالأساس الذي بني عليه الكتاب هو "فقه الأحكام السلطانية" الذي يسقط شرط القرشية في إمارة التغلب. انظر: أبو حمزة المهاجر، كلمة صوتية بعنوان: إن الحكم إلا لله، على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=511.

(٥٩) انظر: هشام الهاشمي، صحوات الفصائل السنية، على الرابط: http://www.ynewsiq.com/?aa=news&id22=3155&iraq=%D5%CD%E6%C7%CA%20%C7%E1%DD%D5%C7%C6%E1%20%C7%E1%D3%E4%ED%C9.

بالرغم من التأثير الفتّاك لهذه الاستراتيجية ضد التنظيم؛ إلاّ أنّها لم تؤدِّ إلى تفعيل مشاركة السُنّة في إدارة الدولة، بل شهدت الأعوام التالية (٢٠٠٨–٢٠١٤) تنامياً مطرداً لسيطرة ونفوذ الشيعة في أجهزة الدولة كافة، كما لم تنجح مساعي دمج الصحوات في الأجهزة العسكرية والأمنية، فزادت مشاعر السُنّة بالإقصاء والتهميش، وقد حذّر قادة الصحوة، من جهتهم، من إمكان حدوث تدهور سريع على الصعيد الأمني وعودة الظروف إلى ما كانت عليه في مرحلة (٢٠٠٦–٢٠٠٧) إذا لم تكتمل عملية إعادة الدمج أو إذا سُحِبت منهم تراخيص السلاح(٦٠).

خلال تلك المرحلة دخل التنظيم في طور التراجع والانحسار، إلا أنه لم يتلاشَ تماما، بل كانت نار الطائفية تشتعل بطرائق عديدة، ومشاعر السُنّة بالتهميش والإقصاء تتزايد، وعمليات الاستهداف والقتل تتعاظم في الوسط السُنيّ، وسجون الحكومة تغص بالمعتقلين السُنّة(٦١).

وبحلول العام ٢٠٠٩، شهد تنظيم الدولة الإسلامية تراجعاً واضحاً، وكان يعاني حالة من العزلة والضعف والضمور، ويفتقد إلى الجاذبية الإيديولوجية الضرورية للحشد والتعبئة والتجنيد، ويفتقر إلى الموارد

(٦٠) عمر عاشور، القاعدة في العراق: القضاء على القادة لن يقطع بالضرورة شرايين الحياة، على الرابط: http://carnegieendowment.org/2010/06/30/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D9%84%D9%86-%D9%8A%D9%82%D8%B7%D8%B9-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%B4%D8%B1%D8%A7%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9/gbol?reloadFlag=1

(٦١) ما يعزّز هذه الخلاصة أنّ دراسةُ أكاديمية (أجريت قبيل زيادة أعداد القوات الأميركية)، لاحظت وجود تطهير عرقي واسع النطاق في العراق، وهكذا قبيل الوقت الذي بدأت فيه زيادة أعداد القوات الأميركية، كما أشار أحد الباحثين "كثيرين من أهداف الصراع إما قتلوا أو فروا من البلاد"، وأن انخفاض العنف في بغداد كان بسبب العنف الطائفي الذي وصل إلى ذروته مع بدء زيادة أعداد القوات الأميركية. انظر: أندرو غافن مارشال، الإمبراطورية في عهد أوباما: مكافحة التمرد وفرق الموت، واستهداف الشعوب، الجزء الرابع، على الرابط: http://www.islamdaily.org/ar/democracy/11690.article.htm.

البشرية والمالية اللازمة للصمود، ولا يتوافر على عمق جغرافي استراتيجي لإسناد حروب الاستنزاف.

كان التقييم الأميركي خادعاً، ويُستخدم لأغراض سياسية تمهد لانسحاب القوات، والهرب بأقل الخسائر؛ فحتى مطلع العام ٢٠٠٩ كانت خطة "أمن بغداد" قد حيّدت الأميركيين عن واجهة الأحداث مع الجماعات الجهادية، التي اختُرق الكثير منها سواء على مستوى التنظيم أو بعض القيادات أو العناصر، وتبعاً لذلك فقد انخفضت الخسائر البشرية في صفوف الأميركيين، الذين انزووا بعيداً في معاقلهم، لكنها ارتفعت بصورة كبيرة في صفوف الصحوات وقوات الأمن الحكومية التي خاضت المواجهة بدلا من الأميركيين(٦٢).

صحيح أنّ "الاختراق" الجديد (تراجع العمل العسكري والانكماش وتحوّل السُنّة نحو العملية السياسية خلال تلك الفترة) طاول الحاضنة السُنيّة وأدى إلى تضخم الصحوات على نحو كبير، إلا أن دولة العراق الإسلامية، مقارنة بالجماعات الأخرى، كانت الأقل تضرراً والأكثر فاعلية في ميادين القتال.

في المقابل، أدرك التنظيم أنّ التطورات الجديدة تفرض عليه إعادة ترتيب أولوياته وتغيير بوصلة الصراع وإجراء هيكلة جديدة لنمط عمله، فتحوّل إلى استراتيجية العمل الأمني والتركيز على قتال قادة الصحوات، والتراجع عن نهج الظهور والتخلي عن حلم الانتشار والتوسع الجغرافي مؤقتاً، وأخذ يهتم في خطابه السياسي أكثر بإظهار فشل العملية السياسية

---

(٦٢) بحسب دراسة أعدها مركز دراسات الإرهاب في أكاديمية ويست بوينت، صدرت في آذار/ مارس ٢٠٠٩، خلصت إلى القول: "لقد أصبحت شبكة القاعدة في العراق بمثابة ظلٍّ لما كانت عليه في الماضي. لقد أضاعت شبكة القاعدة في العراق فرصة هائلة في بناء ملاذ آمن لها في العراق، لكن من غير المرجح أن تكون المنظمة قد دمرت بالكامل، سوف يستمر التوتر السياسي بين السُنّة والشيعة، والعرب والأكراد ومن المحتمل أن يخلق مساحة اجتماعية للراديكاليين من أمثال القاعدة، ومن المحتمل أن تظل شبكة القاعدة في العراق قادرة على القيام بهجمات إرهابية متقطعة، ويمكن أن تقوى في المستقبل إذا ظل رجال العشائر السُنّية مهمشين سياسيا"، انظر: برايان فيشمان، اختلال الوظيفة والانحدار: الدروس المستفادة من داخل شبكة القاعدة في العراق، مركز دراسات الإرهاب في أكاديمية ويست بوينت، آذار/ مارس ٢٠٠٩، ص ١.

في تحقيق مطالب السُنّة، والتنديد بتحكم الشيعة بإدارة مفاصل الدولة، وهو الأمر الذي ظهر في كلمة صوتية لأبي عمر البغدادي بعنوان: "حصاد الخير"(٦٣) .

بالنتيجة تخلى التنظيم عن سيطرته المكانية، وعاد إلى استراتيجية الزرقاوي من جديد، من خلال شن هجمات انتحارية مميتة، بواسطة سيارات مفخخة أو انتحاريين، وإن لم تحدث بنفس وتيرة الأعوام الأولى للاحتلال، إلا أنها شكلت خطراً كبيراً على الدولة، فاستهدفت بصورة خاصة المؤسسات والمباني الحكومية، وقد أطلق التنظيم على حملته الجديدة ضمن خطة "حصاد الخير"، اسم "غزوة الأسير"(٦٤)، وكانت أبرز محطاتها الهجمات

---

(٦٣) انظر: أبو عمر البغدادي، كلمة صوتية بعنوان: "حصاد الخير" بتاريخ ٢٠٠٩/٣/١١، على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=1245، إذ يقول مخاطبا الرئيس الأميركي الجديد باراك أوباما: فإننا يا حاكم دولة الصليب وحليف اليهود ما زالت جروحنا تنزف فما زال جزار أطفال السُنّة باقر صولاغ في قلب هذه الحكومة وعلى رأسها مجرم حزب الدعوة الرافضي المعتقد المجوسي الحقد وعلى جناحيها فيلق بدر بكل مؤسساته وهيئاته الإجرامية وعملاء الأكراد وجزاري الأسايش، هؤلاء من تريد أن تقوي دولتهم وتثبت أركانهم ولهم تم تزوير الانتخابات المحلية في بغداد - على الرغم أننا نرى كفر هذه العملية من أساسها - ففاز الرافضة بنحو ثمانين في المائة من مقاعد مجلسها المحلي ولم يرضوا للسُنة بأكثر من أن يكونوا بوابين وعمال نظافة عند الرافضة المجوس، وهذا لن يكون بعون الله".

ويؤكد البغدادي على نهج التنظيم بالقول: "إن الله الذي أمرنا بقتال الكافر المحتل هو نفسه الذي أمرنا بقتال عملاء المحتل بل إنه سبحانه حرضنا على قتال قريبنا الكافر أكثر من عدونا البعيد" ويختم بالإعلان عن البدء بخطة جديدة، إذ يقول: وأخيراً وبعد أن حققت بحمد الله ومنه (خطة الكرامة) أهدافها والتي كان محورها إفشال الهجمة الشرسة على الجهاد وأهله عسكريّاً وإعلاميّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً، وتوجت انتصارات هذه الخطة بإعلان أسود واشنطن جدولة انسحابه واعترافه الضمني بالهزيمة وتغيير أسلوب عمله في بلاد الرافدين. وعليه فإننا نعلن عن انتهاء خطة الكرامة والبدء في خطة جديدة وضعت أهدافها ومحاور عملها بعناية لتناسب ظروف وأحداث المرحلة الحالية والمقبلة أسميناها (حصاد الخير)".

(٦٤) أصدر تنظيم دولة العراق الإسلامية سلسلة من الإصدارات المرئية تباعاً، وصلت إلى خمسة إصدارات، من انتاج مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، التابعة لتنظيم الدولة، وهي تركز على الممارسات الأميركية، التي مكنت النفوذ الإيراني من العراق، والسياسات الطائفية وتحكم المكوّن الشيعي بالعملية السياسية وتهميش السُنّة، وتوثق العمليات العسكرية الكبرى، انظر: غزوة الأسير (١)، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=_RQsq00ieeU.

وغزوة الأسير (٢) على الرابط:

http://www.youtube.com/watch?v=ugrw1rFzonQ.،

وغزوة الأسير (٣)، على الرابط:

http://www.dailymotion.com/video/xepk29_%D8%A5%D8%B5%D8%AF%D8%A7%D8%B1-%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D8%B9-%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-

على وزارة الخارجية والمالية في آب/ أغسطس ٢٠٠٩، أعقبتها موجتان أخريان من الهجمات في تشرين الأول/ أكتوبر، وكانون الأول/ ديسمبر.

بمرور الوقت أخذ تنظيم دولة العراق الإسلامية يستعيد عافيته ببطء، وبدأ يبسط نفوذه وسيطرته من جديد، مع امتصاص محاولة اجتثاثه والقضاء عليه، فأعلن عن التشكيلة الوزارية الثانية لدولته، وإمارة أبي عمر البغدادي، في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٩ [٦٥].

وفي ١٩ نيسان/ أبريل ٢٠١٠، أُعلِن عن مقتل أبي عمر البغدادي إلى جانب وزير حربه، أبي حمزه المهاجر، وبالرغم من أنّ التنظيم كان قد فقد سيطرته على معظم المناطق، إلا أنه بدأ يتعافى وتمكّن من الحفاظ على تماسك هيكليته الأساسية، ودخل مع حقبة أبي بكر البغدادي في طور تنظيمي عسكري أمني شديد السريّة والارتياب، وأصبحت استراتيجيته

%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-
%D8%BA%D8%B2%D9%88%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D9%8A%D8%B1_news.

وغزوة الأسير (٤)، على الرابط:
http://www.dailymotion.com/video/xepk2w_%D8%A5%D8%B5%D8%AF%D8%A7%D8%B1-
%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D8%B9-%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-
%D8%BA%D8%B2%D9%88%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D9%8A%D8%B1_news.

وغزوة الأسير (٥)، على الرابط:
http://www.dailymotion.com/video/xepk32_%D8%A5%D8%B5%D8%AF%D8%A7%D8%B1-
%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D8%B9-%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-
%D8%BA%D8%B2%D9%88%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D9%8A%D8%B1_news.

(٦٥) إعلان التشكيلة الوزارية الثانية لدولة العراق الإسلامية، في ٢٠٠٩/٩ على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=552، وتضمنت أبا حمزة المهاجر عبد المنعم البدوي - وزيراً أولاً، ووزيراً للحرب، وعبد الوهاب المشهداني - وزيراً للهيئات الشرعية، محمد الدليمي- وزيراً للعلاقات العامة، وحسن الجبوري - وزيراً لشؤون الأسرى والشهداء، وعبد الرزاق الشمري- وزيراً للأمن، وعبد الله القيسي- وزيراً للصحة، وأحمد الطائي- وزيراً للإعلام، وأسامة اللهيبي- وزيراً للنفط، ويونس الحمداني- وزيراً للمالية.

القتالية عقب تجربة مكافحة التمرد وبروز الصحوات، تعتمد تكتيكات أكثر شراسة تجاه المحيط الاجتماعي القريب.

مع القيادة الجديدة هيمن على مركز القرار داخل التنظيم مجموعة من العسكريين أكثر صلابة على صعيد الالتزام الديني السلفي الجهادي، وأشدّ عزماً ودهاءً على الصعيد الاستراتيجي، فقد بادر تنظيم دولة العراق الإسلامية سريعاً إلى استبدال كبار قادته، فأعلن في بيان مجلس شورى المجاهدين بتاريخ ١٦ أيار/ مايو ٢٠١٠، أنه "قد رحل اثنان، وجاء ثلاثة"، وأضاف: بعد الواقعة التي قدّر الله أن يقتل فيها الشيخان الجليلان أمير المؤمنين بدولة العراق الإسلامية أبو عمر البغدادي ووزيره الأول أبو حمزة المهاجر.. انعقد مجلس شورى الدولة الإسلامية مباشرة لحسم مسألة إمارة الدولة"، وأضاف البيان أن المجلس ظل في حالة انعقاد مستمرة طيلة الفترة التي تلت مقتل زعيميه وأن "الكلمة قد اجتمعت على بيعة الشيخ المجاهد أبي بكر البغدادي الحسيني القرشي أميرا للمؤمنين بدولة العراق الإسلامية، وكذا على تولية الشيخ المجاهد أبي عبد الله الحسني القرشي وزيرا أول ونائبا له"، كما تم تعيين الناصر لدين الله أبو سليمان وزيراً للحرب خلفاً للمهاجر.

٥- أولويات الصراع: مهمة الدفاع عن "الهويّة السُنيّة"

لم يكن موضوع الإعلان عن الدولة الإسلامية هو وحده مناط الخلاف الرئيس بين قيادة القاعدة المركزية وتنظيم الزرقاوي في العراق، فقد كان التمازج والتزاوج بين خطاب الزرقاوي وعملياته واستراتيجيته مع الحالة السُنيّة هناك بمثابة السبب الرئيس لذلك الاختلاف والتباين، كما ذكرنا سابقاً، بل هو القضية المركزية التي شكّلت محور المفاوضات بين الجانبين قبل انضمام تنظيم العراق إلى المركز.

وبالرغم من أنّ الوثائق تشير إلى أنّ الزرقاوي فرض على التنظيم المركزي القبول بخصوصية الحالة العراقية، التي تنغمس في المسألة

الطائفيـة، وباختـلاف الأولويات بين الطـرفين، إلاّ أنّ قبـول القـاعـدة كـان اضطرارياً من دون قناعة بذلك، وقد استمر الخلاف بين الطرفين، حتى بعد الانضمام، مع توسّع الزرقاوي بتبنّي هذا الخط والإيغال فيه ليصبح أحد أهم المرتكزات الأيديولوجية لتنظيمه، فاستمر في تطوير وتخصيب موقفه المعادي للشيعة إلى أن وصل إلى مرحلة تكفيرهم بصورة كاملة، بخلاف التنظيم المركزي وشيوخ السلفية الجهادية، الذين يتحرّزون في تبني هذا الموقف العام المجمل للزرقاوي.

من الضروري الإشارة هنا إلى أنّ موقف الزرقاوي من الشيعة وتبنّيه لمبدأ الدفاع عن الهوية السُنيّة تفاعل بصورة أساسية بديناميكية التحولات التي جرت في العراق بعد الاحتلال الأميركي وبمنطق العملية السياسية التي هيمنت عليها القوى السياسية الشيعية فيما كان المجتمع السُنيّ يشعر بالتهديد والإقصاء والتهميش. فتنظيم الزرقاوي كان عاملاً أساسياً في ترسيخ الشرخ الطائفي (السُنيّ- الشيعيّ) وفي تعزيز الخطاب الديني في الصراع الدائر، فهو كان فاعلاً مؤثراً ومتأثراً بهذه الطبائع التي اكتسبتها الحالة العراقية بعد الاحتلال، ما خلق حالة من التزاوج بين التنظيم وتبنّي القضية السُنيّة، إن جاز التعبير، في عقائده وأدبياته وخطابه وعملياته، وحتى في رؤيته الاستراتيجية التي امتدت لاحقاً لتشمل السُنّة في العراق وسورية ولبنان، مع التطورات الأخيرة في حقبة الثورات الديمقراطية العربية.

ولأنّ الاختلاف بين الزرقاوي والمركز حول الشيعة انعكس على رؤية كلّ منهما لأولويات الصراع والبنية الأيديولوجية لهما، ما ظهر بصورة جلية وواضحة في الأشهر الأخيرة، فمن المهم أن نتحدث عن تطوّر هذه القضية عند الزرقاوي وخلفائه في قيادة التنظيم، فهي تكشف خلافاً جوهرياً بين الطرفين ما يزال قائماً وفاعلاً إلى الآن.

الملحوظة المهمة، في هذا الباب، تتمثّل في أنّ استراتيجية الزرقاوي، في البداية، لم تكن ذات طبائع طائفية صريحة، فقد بدت أهدافه سياسية

واضحة، فشملت دائرة استهدافه الولايات المتحدة كقوة احتلال وحلفاءها من المكونات العرقية والدينية كافة[٦٦] . إلاّ أنها بدأت تأخذ منحى طائفياً مع تغلغل النفوذ الشيعي في مفاصل الدولة وإدماج المليشيات الشيعية في جهاز الدولة.

في الأثناء كانت أهداف الزرقاوي تتدرج من المجال السياسي إلى الفضاء الطائفي، فقد نفذ (بتاريخ ١٩ آب/ أغسطس ٢٠٠٣) عمليّة تفجير مقرّ الأمم المتحدة في بغداد أسفرت عن مقتل **٢٢** شخصاً، ومن بينهم ممثل الأمم المتحدة في العراق سيرجيو فيرا دي ميلو، وقد أعلنت الولايات المتحدة عقب الهجوم عن جائزة مالية قدرها خمسة ملايين دولار لمن يدلي بمعلومات تؤدي إلى القبض على الزرقاوي.

بالرغم من ذلك كانت توجهات الزرقاوي السياسية الهويّاتية المختلطة تبرز مبكّراً، من دون أن تصل إلى مرحلة حاسمة أيديولوجياً وسياسياً؛ ففي ٢٩ آب/ أغسطس ٢٠٠٣ تمّ تنفيذ عملية انتحارية بسيارة مفخخة استهدفت مسجد الإمام علي في النجف، أدت إلى مقتل رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق "محمد باقر الحكيم"، وأكثر من ٨٣ آخرين، فأعلن الزرقاوي مسؤوليته عن هذه العملية في خطاب بعنوان "أمتي الغالية"[٦٧] .

وفي ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣، تعرضت كربلاء لهجمات انتحارية بسيارة مفخخة، أسفرت عن مقتل ١٩، بينهم ٧ من جنود التحالف، وأكثر من ٢٠٠ جريح. وفي ٢ آذار/ مارس ٢٠٠٤، أسفرت مجموعة من العمليات الانتحارية المتزامنة على الشيعة في كربلاء عن سقوط ١٧٠ قتيلاً وإصابة أكثر من ٥٥٠ جريحاً في أحد مساجد كربلاء في ذكرى عاشوراء.

وعقب هجمات الكاظمية في ٢ شباط/ فبراير ٢٠٠٤، أعلنت السلطات

(٦٦) وربما يكشف عن ذلك البيان الذي أصدره تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين بزعامة الزرقاوي (بتاريخ ٢٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥) ووُزِّع على عدد من مساجد مدينة بغداد، ويستثني كلاً من التيار الصدري، وتيار الخالصي، وتيار المرجع أحمد الحسني البغدادي من الاستهداف بسبب موقفهم الرافض للاحتلال والمناهض لحكومة الجعفري الموالية لقوات الاحتلال الاميركي.

(٦٧) انظر: رسالة الزرقاوي بعنوان "أمتي الغالية"، مجموع رسائل الزرقاوي، مرجع سابق، وفيها يعترف بمسؤولية شبكته عن عملية اغتيال الحكيم.

الأميركية في العراق عن مضاعفة المكافأة لمن يدلي بمعلومات تساعد في القبض على الزرقاوي لتصل إلى عشرة ملايين دولار أميركي.

وفي ١٧ أيار/ مايو ٢٠٠٤، قُتل الرئيس الدوري لمجلس الحكم الانتقالي، عبد الزهرة عثمان محمد، المعروف بعز الدين سليم وهو شيعي، في هجوم بسيارة مفخخة في بغداد[٦٨].

يسجّل هذه الملحوظة أحد أبرز المقرّبين من الزرقاوي، أبو ميسرة الغريب، إذ يؤكّد بأنّ موقف الزرقاوي لم يكن قد تطور تجاه استهداف الشيعة لأسباب هوياتية طائفية محضة قبل ٢٠٠٥، فبحسب الغريب: فإنّ حسم الزرقاوي لخياراته باتجاه استهداف الشيعة عموماً وتعديل أولويات الصراع ليصبحوا جزءاً أساسياً فيه مع الأميركيين، واعتماد كتابات أبي عبدالله المهاجر قد جاء بعيد معركة الفلوجة الأولى في نيسان/ أبريل ٢٠٠٤، وقبل الثانية في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤، إذ يقول: " في تلك الفترة التي أعقبت ملاحم أبناء الإسلام في فلوجة العز الأولى لم يكن قد ابتدأ الصدام مع أحفاد ابن العلقمي الروافض"[٦٩].

إدماج الصراع الطائفي، في لُبّ الرؤية الأيديولوجية والسياسية للتنظيم، ظهر جلياً في العام ٢٠٠٦[٧٠]، عندما تطور المشهد باتجاه حرب أهلية شاملة بين السُنّة والشيعة، فقد أعلن الزرقاوي بأن دائرة الاستهداف تشمل القوات الأميركيّة والقوات المتحالفة معها، وكلّ من تعاون مع الولايات المتحدة، كالحكومة العراقيّة، ومجلس الحكم، وقوات الجيش، وقوات الشرطة، وكذلك الشِّيعة، وخصوصاً من ينتمي منهم إلى قوات الاحتلال، وذلك تطبيقاً لمبدأ "الولاء والبراء"، فبحسب الزرقاوي: "لا فرق بين عدو

---

(٦٨) لمزيد من التفصيل حول العمليات التي نفذها الزرقاوي، انظر: جان شارل بريزار، أبو مصعب الزرقاوي الوجه الآخر لتنظيم القاعدة، الدار العربية للعلوم ـ ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، ص ١٥-١٧ .

(٦٩) ميسرة الغريب، مقاتلة الشيعة في العراق: الحُكْمُ والحكمة، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، الحلقة الرابعة.

(٧٠) انظر: الحرب العراقية المقبلة: الطائفية والصراع الأهلي، تقرير الشرق الأوسط رقم ٥٢، ٢٧ شباط/ فبراير ٢٠٠٦، مجموعة الأزمات الدولية، على الرابط: http://www.crisisgroup.org/~/media/Files/Middle%20East%20North%20Africa/Iraq%20Syria%20Lebanon/Iraq/Arabic%20translations/The%20Next%20Iraqi%20War%20Arabic.pdf.

خارجي باعتباره كافر أصليّ، أو عدو داخلي، باعتباره كافر مرتد.. لا فرق بين أمريكي أو عراقي كرديا كان أم عربيا سنيا كان أم شيعيا"(٧١) .

مع تكريس هذه التوجهات لدى تنظيم العراق أخذت تتطور سياسات الهوية، فبرزت المسألة الطائفية (وما يترتب عليها من تكفير الشيعة واستهدافهم بالقتل والاختطاف والعمليات الانتحارية) لتصبح بمثابة إحدى المسائل الإشكالية في سيرة الزرقاوي، ففي الوقت الذي كان التيار الجهادي العالمي يركز على المسألة السياسية في مواجهة الولايات المتحدة وحلفائها في سياق العولمة، فإنّ الزرقاوي ذهب بعيدا عن النهج السائد.

بالرغم من ذلك الاختلاف؛ فإنّ بذور الطائفية وتكفير الشيعة كانت كامنة في أطروحات السلفية عموماً والجهادية خصوصاً(٧٢)، لكن ما قام به الزرقاوي عملياً هو أنّه طوّر ما تلقاه من شيوخه المقربين بخاصة أبي محمد المقدسي(٧٣) وأبي قتادة الفلسطيني(٧٤)، لا سيما الأسس المكونة للسلفية

---

(٧١) انظر: أبو مصعب الزرقاوي: "أينقص الدّين وأنا حي"، و"أين أهل المروءات"، مجموع رسائل أبو مصعب الزرقاوي، من إصدارات تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين.

(٧٢) لمزيد من التفصيل، انظر: غيدوشتاينبيرغ، السلفية الجهادية والشيعة: ملاحظات حول الجذور الفكرية لمناهضة التشيع، ضمن كتاب السلفية العالمية: الحركات السلفية المعاصرة في عالم متغير، تحرير: رول ميير، ترجمة محمد محمود التوبة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٤، ص ١٥٧-١٨١ .

(٧٣) أنظر ترجمة أبي محمد المقدسي، ص ٢٤ من الكتاب.

(٧٤) أبو قتادة الفلسطيني: هو عمر محمود عثمان أبو عمر، من مواليد عام ١٩٦١، من قرية دير الشيخ من أعمال القدس، وهو أردني من أصل فلسطيني، درس في الجامعة الأردنية - كلية الشريعة، وحصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة عامً ١٩٨٤، بدأ حياته الدعوية في جماعة التّبليغ والدعوة، ثم انتقل إلى صفوف السلفية الجهادية، وعمل في الجيش الأردني - الإفتاء لمدة أربع سنوات، عمل على تأسيس جماعة سلفيّة إصلاحية باسم "حركة أهل السُنّة والجماعة" في بداية التسعينيات، وعقب حرب الخليج الثانية غادر إلى ماليزيا، ومن ثم ذهب إلى باكستان حيث تبلور انتماءه للسلفية الجهادية، وفي عام ١٩٩٤ استقر في بريطانيا كلاجئ سياسي، وفي لندن برز كمنظر للسّلفية الجهادية، وأصدر نشرة "الأنصار"، وهي نشرة مخصّصةٌ لمسانَدة "الجماعة الإسلامية المسلَّحة" في الجزائر، وساهم في إصدار نشرة "الفجر"، التي ساندت "الجماعة الإسلاميّة المقاتلة" في ليبيا، ثم أصدر مجلة "المنهاج" المختصة في نشر تراث السّلفية الجهاديّة العالمي. وعقب أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ اعتقل في بريطانيا على خلفيَّة قانون مكافحة الإرهاب الجديد، ثم سلمته بريطانيا في تموز/ يوليو ٢٠١٣، إلى الأردن، وقد اتهم في الأردن بالانتماء إلى تنظيم "الإصلاح والتَّحدي" عام ١٩٩٨، واتهم بالانتماء إلى تنظيم القاعدة في

الجهادية المتعلقة بمسألة "الولاء والبراء"، وأولوية قتال "العدو القريب"[(٧٥)]. ومن الضروري الإشارة هنا إلى أنّ مفهوم الولاء والبراء يعتبر أحد المفاهيم الرّاسخة في خطاب السلفية الوهابيّة، ولذلك صنف المقدسيّ كتاباً في المسألة بعنوان "ملَّة إبراهيم"، افتتحه بالقول: "براءة: إلى الطواغيت في كلّ زمان ومكان... إلى الطواغيت حكّاماً وأمراء وقياصرة وأكاسرة وفراعنة وملوكاً... إلى سدنتهم وعلمائهم المضلِّين، إلى أوليائهم وجيوشهم وشرطتهم وأجهزة مخابراتهم وحرسهم... إلى هؤلاء جميعاً، نقول: (إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ)، براء من قوانينكم، ومناهجكم، ودساتيركم، ومبادئكم النَّتنة... براء من حكوماتكم، ومحاكمكم، وشعاراتكم، وأعلامكم العفنة: (كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ). ويعتمد المقدسي في هذا الكتاب وسائر مؤلفاته على المرجعية السلفية الوهابية بشكل أساسي[(*)].

فلم يجد الزرقاوي، الذي ينتمي إلى فضاء السلفية الجهادية، صعوبةً في تبني النهج الهويّاتي الذي يستند إلى تأكيدات الهوية، فالسلفية المعاصرة على اختلاف توجهاتها العقدية والفقهية تقوم على أسس هوياتية صريحة[(٧٦)] .

الأردن مع المقدسي في قضية عرفت بـ "مؤامرة الألفية" عام ٢٠٠٠، وكان قد حكم عليه غيابياً بالأشغال الشاقة المؤبدة عن القضية الأولى، أما الثانية فقد حكم فيها غيابياً ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة، وقد تمت تبرئته من القضية الأولى وهو بانتظار الحكم في الثانية، له عدّة مؤلفات في التّنظير للسلفية الجهادية، ومنها: "الجهاد والاجتهاد: تأملات في المنهج"، و"جملة المطيبين"، و"معالم الطائفة المنصورة"، و"لماذا الجهاد؟"، و"العولمة"، و"سرايا الجهاد"، و"الإسلام وأمريكا"، وله عشرات الرَّسائل والمقالات.

(٧٥) أما أبو قتادة فشدِّد على معنى الولاء والبراء، وذلك للتَّمييز بين المسلم والكافر باعتباره مفهوماً أصيلاً، له مقتضياته ولوازمه، فهو يقول: "وإن من مقتضيات عقيدة الولاء والبراء أن يعادي المسلم الكفّار والمنافقين دون اعتبار لجنسيَّاتهم ولا أجناسهم ولا لغاتهم، فليس هناك إلا فسطاطان: فسطاط فيه المؤمنون الموحِّدون، مهمَا اختلف جنسهم ولونهم ولغتهم، عرباً كانوا أم عجماً، وفسطاط فيه الكفار والمنافقون، مهما اختلف جنسهم ولونهم ولغتهم، عرباً كانوا أم يهوداً أم نصارى أم طوائف منحرفة عن الحقّ من أتباع الفِرَق الضّالة؛ كالرَّافضة أو المذاهب الكفريّة المعاصرة كالقوميِّين والبعثيِّين"، انظر أبو قتادة الفلسطيني، بيان مناصرة للمجاهدين المرابطين في أكناف بيت المقدس، ص٣، بدون ناشر أو تاريخ.

(*) انظر: أبو محمد المقدسي، "ملة إبراهيم: ودعوة الأنبياء والمرسلين، وأساليب الطغاة في تمييعها وصرف الدعاة عنها"، ص١.

(٧٦) طبع السؤال المتعلق بالهوية وعلاقة الأنا بالآخر مسارات التشكل السلفي الحديث والمعاصر، وهيمن النهج الإحيائي على مجمل الانشطة والفعاليات والقوى والاتجاهات السلفية التقليدية والإصلاحية والجهادية، وذلك عبر شرعنة سياسة "الهوية" وتبديع سياسات "الاعتراف"؛ انظر: محمد أبو رمان، أنا سلفي: بحث في الهوية الواقعية والمتخيلة لدى السلفيين، فريدريش ايبرت، عمان، ٢٠١٤، ص١٤٥-١٥٠ .

بقي الطرفان (القاعدة المركزية والزرقاوي) حريصين على عدم الإعلان بوضوح عن تطور الخلاف بينهما، خلال تلك السنوات، إلاّ أنّ أبا محمد المقدسي شيخ الزرقاوي فجّر مفاجأة في تلك المرحلة عندما وجّه رسالة للزرقاوي (بعنوان: "الزرقاوي: مناصرة ومناصحة: آمال وآلام") يتحفظ فيها على التوسع في العمليّات الانتحارية وتكفير الشيعة واستهداف المدنيين، وأخذت تحفظاته بعداً أكثر حدَّةً بعد أن توسَّع الزَّرقاوي في استخدامها في العراق وغيرها من البلدان، إذ يقول "وحذار من التساهل فيما اعتدنا على التّشديد فيه من عصمة دماء المسلمين وأحوالهم وأعراضهم ولو كانوا عصاة أفجاراً، فإن دماء المعصومين ورطة من الورطات يوم القيامة... أقول هذا وأؤكّد عليه، وأنا أسمع وأتابع الفوضى العارمة الحاصلة اليوم في العراق، والتي يراد لها تشويه الجهاد وصورته المشرقة من تفجير السّيارات أو وضع العبوات الناسفة في طرقات العامة وقذف قذائف الهاون ونحوها في الشوارع والأسواق وغيرها... أو الانجرار وراء استهداف عُمُوم الشّيعة، وحرف المعركة عن المحتل وأذنابه، وصرفها إلى مساجد الشيعة ونحوهم"(٧٧).

لقد لاحظ المقدسي وشيوخ السلفية الجهادية، المقرّبون من القاعدة، بأنّ الزرقاوي توسع في استخدام العمليات الانتحارية بشكل لا نظير له معتمداً في تبريرها فقهيّاً على مسألة "التَّترس"، التي تجيز قتلَ المدنيين في حال وجودهم في نطاق أهداف مشروعة. وظهر ذلك جليّاً عندما أعلن الزرقاوي بأن الاستهداف بالقتل يشمل القوات الأميركيّة والقوات المتحالفة معها، وكلّ من تعاون مع الولايات المتحدة كالحكومة العراقيّة، ومجلس الحكم، وقوات الجيش، وقوات الشرطة، وكذلك الشِّيعة، وخصوصاً من ينتمي منهم إلى قوات الاحتلال، وذلك تطبيقاً لمبدأ "الولاء والبراء" وأولوية قتال "العدو القريب"، فبحسب الزرقاوي لا فرق بين عدوٍ خارجيٍّ باعتباره

(٧٧) أبو محمد المقدسي، "الزرقاوي: مناصرة ومناصحة: آمال وآلام "، منبر التوحيد والجهاد، ص٩- ١٢ .

كافر أصليّ، أو عدو داخلي، باعتباره كافر مرتد؛ فهو يؤكد على أن: "لا فرق بين أمريكيٍّ أو عراقيٍّ كرديًا كان أم عربيّاً سنيّاً كان أم شيعيّاً" (٧٨).

لم تدفع انتقادات المقدسي الزرقاوي إلى التراجع عن منهجه؛ إذ بدا أكثر إصراراً في تنفيذ استراتيجيته المتعلقة بالشيعة وتكتيكاته العنيفة، فرد على شيخه المقدسي برسالةٍ لا تخلو من التّهديد والاتهام يقول فيها: "أعيذك بالله أن تتّبع خطوات الشيطان فتهلك، فاحذر يا شيخنا الفاضل من مكر أعداء الله، واحذر أن يستدرجونك لشقِّ صف المجاهدين"(٧٩).

وإذا كانت طائفة الشيعة أقرب إلى الكفر منها إلى الإسلام، عند أغلب منظري التيار السلفي الجهادي، إلا أن أحكام التعامل معها تختلف من مرجع جهادي لآخر؛ ففي الوقت الذي ينظر فيه أبو محمد المقدسي إلى أن عوام الشيعة الاثنى عشرية مثل عوام أهل السُنّة، وأنه لا يجوز استهدافهم لمجرد انتمائهم لمذهب الشيعة، فإن الزرقاوي كان حاسماً في رده على شيخه المقدسي قائلاً: "تحفظّ الشيخُ على قتالنا للروافض، وذهب إلى أن عوَّام الرافضة كعوَّام أهل السنة. أقول: أما قتالنا للروافض فقد صرَّحنا مراراً.. أننا لم نبدأهم بقتال، ولا صوَّبنا إليهم النبال، وإنما هم بدأوا بتصفية كوادر أهل السنة، وتشريدهم، واغتصاب مساجدهم ودورهم، وما جرائم فيلق بدر عنا ببعيد، ناهيك عن تسترهم بلبوس الشرطة والحرس الوثني، ثم من قبل هذا كلِّه ولاؤهم للصليبين، أفيسعنا بعد هذا كله أن نعرض عن قتالهم. وأما القول بأن عوام الرافضة كعوام أهل السنة، فهذا -والله- من الظلم لعوام أهل السنة، أيستوي من الأصل فيهم التوحيد، مع من الأصل فيهم الاستغاثة بالحسين وبآل البيت، وصنيعهم في كربلاء وغيرها ما عاد يخفى على كل ذي عينين، هذا مع اعتقادهم العصمة في أئمتهم، ونسبة علم الغيب

(٧٨) انظر: أبو مصعب الزرقاوي، أينقص الدّين وأنا حي، وأبو مصعب الزرقاوي: "أين أهل المروءات"، مجموع رسائل الزرقاوي، مرجع سابق.

(٧٩) الزرقاوي، بيان وتوضيح لما أثاره الشيخ المقدسي في لقائه مع قناة الجزيرة، بتاريخ ١٢ تموز/ يوليو ٢٠٠٥، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أبي مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية، ص ٣٢٢ .

والتصرف في الكون إليهم، وغير ذلك من الشركيات التي لا يعذر أحد بجهلها.. ثم إن المطلع على أحوالهم في العراق يعلم علم اليقين أنهم ما عادوا عوامًّا بالمفهوم الذي تريد؛ فقد أضحوا جنودًا للكافر المحتل، وعيونًا على المجاهدين الصادقين، وهل وصل الجعفري والحكيم وغيرهما من الرافضة إلى سدة الحكم إلا بأصوات هؤلاء؟! ومن الظلم أن يؤتى بفتوى ابن تيميه في عصره ثم تنزّل على واقع الرافضة اليوم (من دون النظر إلى الفوارق بين العصرين)، ثم هناك من العلماء من تكلم في كفر الرافضة بأعيانهم كالشيخ حمود العقلاء رحمه الله والشيخ سليمان العلوان والشيخ علي الخضير (فك الله أسرهما) والشيخ أبي عبد لله المهاجر والشيخ الرشود رحمه الله وغيرهم"[٨٠] .

لم يؤدِّ مقتل الزرقاوي (في منتصف العام ٢٠٠٦) إلى الحدّ من الخلافات بين خلفائه والقيادة المركزية للقاعدة، بل ساهمت "عرقنة" قيادة التنظيم في تعزيز المسألة الطائفية والتزاوج مع القضية السُنيّة في استراتيجيته، فخلال حقبة أبي عمر البغدادي مع الإعلان عن إقامة "الدولة الإسلامية"، تأكدت مرجعية الدولة على أساس المذهب السُنيّ، وأصبح الشيعة خارج دائرة الجدل والنقاش، ففي خطاب البغدادي بعنوان "إني على بيّنة من ربي" يقول: "الرافضة طائفة شرك ورِدَّة، وهم مع ذلك ممتنعون عن تطبيق كثير من شعائر الإسلام الظاهرة"[٨١] .

وفي خطاب لاحق بعنوان "وإن تنتهوا فهو خير لكم"، يخاطب أبو عمر البغدادي الشيعة بقوله: "ماذا جنيتم بعد أربع سنوات، أولا: في الجانب العقدي والشرعي: ازددتم كفرا على كفر وانسلاخا من الدين بوقوفكم مع المحتل الكافر، حتى صار العرب من أبناء العشائر العربية الأصيلة أداة في

(٨٠) الزرقاوي، بيان وتوضيح لما أثاره الشيخ المقدسي في لقائه مع قناة الجزيرة، المرجع السابق، ص ٣٢٥ .

(٨١) أبو عمر البغدادي، إني على بينة من ربي، بتاريخ ١٣ آذار/ مارس٢٠٠٧، المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ .

أيدي الفرس"[٨٢]، ويتوعد إيران بحرب ضروس، ويدعو إلى حشد الصف السُنيّ ضد إيران والشيعة، في سياق استثمار المناخ الطائفي الحاد ويتحدث بتفصيل عما يعتبره جرائم يرتكبها الشيعة ضد السُنّة من قتل واعتداء وتعذيب، ويتضمن الخطاب نقداً مبطناً لعلاقة تنظيم القاعدة المركزي بإيران، إذ يقول "إننا نمهل الفرس عموماً وحكام إيران خصوصاً شهرين لسحب كل أنواع الدعم في العراق والتوقف عن التدخل المباشر وغير المباشر في شؤون دولة الإسلام.. وإلا فانتظروا حرباً ضروساً لا تبقي فيكم ولا تذر، قد أعددنا لها العدة منذ أربع سنوات، ولم يبق إلا إصدار الأوامر ببدء الحملة.. لن نستثني بقعة في الفرس المجوس لا في إيران ولا غيرها من دول المنطقة"[٨٣].

سنجد أنّ خطابات أبو عمر البغدادي ستهتم، خلال تلك الفترة كاملةً، بالتعبئة والحشد الطائفي طوال فترة زعامته، ولا تخلو من التحريض على الشيعة عموماً وإيران خصوصاً، ففي خطاب بعنوان "عملاء كذابون"، نجده يخاطب السُنّة بقوله: "يا أهل السنة: الرافضة أعداؤكم، تاريخهم وحاضرهم مليء بخيانتكم والتآمر عليكم، لا تثقوا فيهم، وإياكم أن يخدعكم كلامهم المعسول، فوراءه مكر كالح بليل أسود"[٨٤].

حتى أبي حمزة المهاجر (عبد المنعم بدوي)، الذي خلف الزرقاوي في قيادة الفرع العراقي للقاعدة، وأصبح بعد إعلان الدولة وزيراً للحرب، لم يخرج عن موقف تنظيم العراق، فقد أظهر توافقاً تاماً مع نهج الزرقاوي والتفاهم مع أبي عمر البغدادي، ففي كلمة بعنوان "سيهزم الجمع ويولون الدبر"، يرفع من وتيرة الخطاب الطائفي، ويهدد بالحرب والاستئصال بالقول: "أما أنتم أيها المجوس العملاء.. فإن يوم جزائكم قد أزِف، وإن ساعة حسابكم قد حانت، فوالله فوالله لأنتم أحقرُ من أن تُرفع لكم راية، أو تُدركوا غاية،

(٨٢) أبو عمر البغدادي، وإن تنتهوا فهو خير لكم، المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠

(٨٣) أبو عمر البغدادي، المرجع السابق.

(٨٤) أبو عمر البغدادي، عملاء كذابون، بتاريخ ٢٠٠٩/٥/١٣، الكتاب الجامع لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية، مؤسسة الفرقان، الطبعة الأولى ٢٠١٠ .

فبغدادُ الرشيد لن يسودها إلاّ أحفاد سعد وابنُ الوليد، وها هم أسيادكم على أبوابِ فرار، لا يلوون فيه على عميل خائن، فمصيركم مصير أجدادكم المجوس الروافض كالطوسيّ وابن العلقميّ وأمثالهم الذين باعوا بغدادَ للتتار.. ولكن اعلموا أيها المجوس أن هدايتكم إلى الحق، وعودتكم إلى الرشد، وتوبتكم إلى الله من باطل الرفض، ومعونة المُحتل أحبُ إلينا من الدنيا وما فيها، فإن أبيتم إلاّ السيف فانتظروا منا القادم، والقادمُ أدهى وأمرّ"(٨٥).

كانت حقبة دولة العراق الإسلامية بزعامة أبي عمر البغدادي وأبي حمزة المهاجر، أشد عنفاً وأكثر سفوراً على الصعيدين السياسي والطائفي، مع "عرقنة" التنظيم وضعف تأثير المهاجرين العرب والأجانب، فقد ظهر جيل جديد أكثر عنفاً دخل في صراعات دامية مع محيطه الاجتماعي، واستخدم تكتيكات عنيفة طالت حركات مقاومة كانت مقربة منه في السابق كالجيش الإسلامي، في سياق فرض نفوذه وأجندته(٨٦).

ثمّ بلغ التزاوج مع قضية السُنّة ذروته في حقبة أبي بكر البغدادي، وتعزز مع الأحداث السوريّة، ودخول حزب الله الإيراني على خط الصراع هناك، والدعم الذي حصل عليه رئيس الوزراء العراقي السابق، نوري المالكي، ونظام بشار الأسد من إيران، ما جعل الطابع الهويّاتي جوهرياً في أيديولوجيا التنظيم واستراتيجيته وتكتيكاته ورؤيته لأولويات الصراع والصدام، ما جذّر الفجوة مع القاعدة المركزية، الأمر الذي تكشّف بوضوح مع بروز الاختلاف بينهما على خلفية رفض أمير جبهة النصرة في سورية، أبي محمد الجولاني، مبايعة البغدادي، كما سنرى في الفصل القادم.

---

(٨٥) أبو حمزة المهاجر، كلمة بعنوان "سيهزم الجمع ويولون الدبر" في ٢٠٠٦/٦/١٣، على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=1284.

(٨٦) انظر: مجموعة الأزمات الدولية، العراق بعد الحشد العسكري١: المشهد السني الجديد، تقرير الشرق الأوسط رقم ٧٤، ٣٠ نيسان/أبريل ٢٠٠٨ .

٦- الخاتمة

ثمّة خيوط مهمة أردنا الإمساك بها في الصفحات السابقة لتساعدنا في الفصول القادمة على تفكيك وتحليل أسباب الخلاف بين تنظيم الدولة وجبهة النصرة من جهة، وعوامل صعود التنظيم وهبوطه سواء في العراق أو في سورية وفي مقدمتها جدلية علاقته بالمجتمع السُنّي، وصولاً إلى استنطاق البناء الأيديولوجي له. ولذلك من المفيد في خاتمة هذا الفصل تلخيص بعض النتائج والخلاصات التي تعطينا خيوطاً سبعة رئيسة تساعد على تتبع التطورات اللاحقة.

الخيط الأول- إعلان الخلافة الإسلامية (حزيران/ يونيو ٢٠١٤) كان محصلة مسار متدحرج، صاعد في أحيان ومنحدر في أحيان، لتنظيم التوحيد والجهاد، الذي أسسه أبو مصعب الزرقاوي غداة الاحتلال الأميركي للعراق في العام ٢٠٠٣، الذي أصبح لاحقاً "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين" (٢٠٠٤)، بعدما بايع الزرقاوي زعيم القاعدة، أسامة بن لادن، وقد بدأ الزرقاوي يفكّر قبل مقتله بتأسيس إمارة في العراق، الأمر الذي تحقق على يد أتباعه بإعلان "الدولة الإسلامية في العراق" (٢٠٠٦)، أي أنّ هنالك خطوات متتالية سار عليها التنظيم قبل أن نجده يعلن الخلافة في (٢٠١٤).

الخيط الثاني- بالرغم من أنّ الزرقاوي بايع أسامة بن لادن إلا أنّ العلاقة بينهما بقيت ملتبسة، بل متوترة، والسبب الرئيس في ذلك يعود لاختلاف رؤية الطرفين لأولوية الصراع وهيكليته، فالقاعدة تركز على الجانب العالمي وعلى الصدام مع الولايات المتحدة الأميركية (العدو البعيد)، بعدما أحدثت تحولاً كبيراً في رؤيتها الأيديولوجية (المنبثقة عن السلفية الجهادية)، في العام ١٩٩٨، مع تأسيس "الجبهة العالمية لقتال الصليبيين واليهود"، بعد أن كانت سابقاً تركّز على قتال الأنظمة العربية (العدو القريب). أمّا تنظيم الزرقاوي في العراق فإنّ رؤيته للصراع تأسست على منظور مختلف، يقوم على قتال الشيعة بوصفهم عدواً وخطراً أكبر من

التهديد الأميركي- العدو البعيد، فجمع الزرقاوي بين قتال الأميركيين والشيعة في العراق معاً.

الخيط الثالث- نجم عن التزاوج بين تنظيم الزرقاوي والمسألة السُنيّة في العراق جملة من النتائج على صعيد الخطاب الأيديولوجي والمرجعية الفقهية والتنظيم والسلوك، فالتنظيم طوّر موقفه من الشيعة في الأعوام ٢٠٠٣ إلى ٢٠٠٥، وتدرّج في عقيدته واستراتيجيته ومواقفه لاعتبارهم جميعاً كفّاراً، وأجاز قتالهم وقتلهم، بل عَدَّ ذلك أولوية لدى التنظيم، وقد كشفت عن ملامح رؤية التنظيم الاستراتيجية وثيقة مهمة وأساسية (التقطتها الإدارة الأميركية وتم نشرها) وهي رسالة من الزرقاوي إلى قيادة القاعدة يؤكّد فيها على أنّ استهداف الشيعة وخلق حالة طائفية شديدة في العراق بمثابة عامل مهم لتحقيق أهداف تحشيد المجتمع السُنيّ ورصّه وراء التنظيم، وهي الرسالة التي لم تجد قبولاً من قيادة القاعدة، ثم تكرس البعد الهويّاتي السُنيّ لدى التنظيم في العام ٢٠٠٦ مع اشتعال جذوة الصدام الطائفي- الديني في العراق.

الخيط الرابع- بالرغم من تأثّر الزرقاوي بالمقدسي وما كتبه عن الحاكمية والطاغوت، إلاّ أنّ المرجعية الفقهية والفكرية الأساسية التي بنى عليها أيديولوجيا تنظيمه تمثلت بأبي عبد الله المهاجر، وبخاصة كتابه "مسائل من فقه الجهاد"، الذي يقدّم لنا (كما سنشرح في فصول لاحقة) تفسيراً واضحاً لجزء كبير من سلوك التنظيم إلى اليوم، والفتاوى الدينية التي يستند عليها، وتوسعه في مسألة التترس والعمليات الانتحارية وقتل المخالفين.

الخيط الخامس- شكّل موضوع إعلان الدولة قضية خلافية شديدة فيما بين التنظيم العراقي والقاعدة المركزية، وأدى إلى تصعيد الأزمة بينهما، من زاويتين رئيستين:

الزاوية الأولى: الإعلان عن الدولة يخالف رؤية القاعدة لمفهوم الصراع وأولوياته، إذ تضع القاعدة جهودها في سياق المواجهة مع المشروع الأميركي،

دون الاستيلاء على أراضٍ وإقامة سلطة سياسية، بينما التنظيم خطّط لإقامة مظلة سياسية للمجتمع السُنيّ تحت رايته في مواجهة النظام السياسي العراقي الجديد.

الزاوية الثانية: أنّ الإعلان خلق حالة من الالتباس في العلاقة بين القاعدة والمركز، وانبثق عنه إطار جديد للحالة العراقية؛ فالقاعدة العراقية أصبحت جزءاً من التنظيم الجديد، أي أنّها تبايع زعيمه، الذي لم يبايع أسامة بن لادن بدوره، بل مدّ نسبه إلى الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، وهو ما يعني، عملياً وضمنياً، أنّ تنظيم القاعدة في العراق رغم أنه ما يزال شكلياً جزءاً من القاعدة المركزية، إلاّ انّه عملياً أخذ درجة أكبر من الاستقلال التنظيمي والسياسي والإداري عن المركز، وقد دخلت هذه الجدلية إلى صلب السجالات بين تنظيم القاعدة والدولة الإسلامية في مرحلة لاحقة، بعد تفجّر الخلافات بينهما، في تحديد مسؤولية من الذي خان وتخلّى عن الآخر، وما يترتب على ذلك من أحكام فقهية ودينية، كما سيأتي لاحقاً.

الخيط السادس- ثمة تحوّل نوعي رئيس حدث خلال مرحلة الزرقاوي، وأخذ مداه في المراحل اللاحقة، ويتمثّل في "عرقنة" التنظيم، فمع مرور الوقت، أصبح العراقيون الأكثرية، بعد أن كان المهاجرون العرب يمثّلون الثقل الأساسي في البدايات، وفي مرحلة ما بعد الزرقاوي والإعلان عن الدولة الإسلامية، أصبح العراقيون يمسكون بمقاليد القيادة بالتنظيم بصورة كبيرة، وهو الأمر الذي تكرّس تماماً بعد مقتل أبي عمر البغدادي وأبي حمزة المهاجر، أي مع حقبة الزعيم الحالي، أبي بكر البغدادي، إذ أصبحت القيادة عراقية تجمع ما بين الجهاز الأيديولوجي المتمثل بالبغدادي ومجموعته، ومعهم ضباط من الجيش العراقي السابق يمسكون بالجهاز العسكري والأمني.

عزّزت "العرقنة" الجموح السُنّي العراقي لدى التنظيم وانغماسه في تبنّي المسألة السُنيّة في العراق، وجذّرت الفجوة بينه وبين تنظيم القاعدة المركزية.

الخيط السابع- ثمّة عوامل متعددة تفسّر الخلافات الجوهرية الراهنة بين التنظيم والقاعدة المركزية، وتساعدنا على قراءة الانشطار الذي حدث بينهما؛ العامل الأول يتمثّل بإرث الزرقاوي وشخصيته الأيديولوجية بما يختلف مع النزعة الواقعية البراغماتية -نسبياً- لدى تنظيم القاعدة، بخاصة الجناح المصري المهيمن عليه، ومن أبرز شخصياته أيمن الظواهري الزعيم الحالي، أما العامل الثاني فيتمثّل بالمرجعية العقائدية والفقهية؛ فتأثير أبي عبد الله المهاجر كان واضحاً على الزرقاوي في مسألة الموقف من الشيعة والعمليات الانتحارية والتترس وفي العلاقة مع الآخرين وقضايا القتل والردّة وغيرها، بينما العامل الثالث فيتمثل بالنزوع نحو العرقنة وسيطرة المجموعة العراقية على التنظيم وغلبة المسألة السُنيّة عليه في العراق، مقابل الرؤية العالمية للصراع التي تطغى على التنظيم الأمّ.

الفصل الثاني

جبهة النصرة: التأسيس، الصعود والأزمة

الفصل الثاني

جبهة النصرة: التأسيس، الصعود والأزمة

مقدّمة

قبل انطلاق الثورة السوريّة (منتصف آذار/ مارس ٢٠١١) لم يكن للقاعدة وجود فعلي حقيقي في سورية، بل إن السلفية الجهادية كانت في حدودها الدنيا. فعلى خلاف دول عربية وإسلامية عديدة لم تتطور السلفية الجهادية في البيئة السورية، إذ هيمن نمط التديّن الصوفي والشعبي على المجال العام، وكانت السلفية الإصلاحية والعلمية والوطنية قد شهدت تراجعاً حاداً، أما الإسلام السياسي ممثلاً بجماعة الإخوان المسلمين، فقد تعرض للإقصاء والاستئصال عقب دخوله في مواجهة مسلحة مع النظام نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي[٨٧].

تبدو المفارقة، هنا، أنّ المسارات المهمة للسلفية الجهادية السوريّة العالمية، أخذت بالتشكل في الشتات بعدما تمكن النظام من القضاء على مكوناتها التنظيمية والحركية[٨٨]، إذ عمل الناجون من بقايا تنظيم "الطليعة المقاتلة" على الاندماج في السلفية الجهادية العالمية، فبرز أبو مصعب

(٨٧) انظر: محمد أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة في سورية، مؤسسة فريدريش أيبرت، عمان، ط١، ٢٠١٣، ص٢٦- ٣١ .

(٨٨) تعود جذور الجهادية السوريّة لمروان حديد، وهو أحد رموز التيار القطبي داخل جماعة الإخوان، الذي دخل في مواجهة مع النظام في مدينة حماة سنة ١٩٦٤، بعد عام واحد من انقلاب البعث على السلطة في ٨ آذار/ مارس ١٩٦٣، وقد أخذت سلفية مروان حديد الجهادية شكلاً تنظيمياً مع تطور المواجهة ابتداءً من العام ١٩٧٤ و ١٩٧٦ اشتهر باسم "الطليعة المقاتلة"، وعلى الرغم من خروجه من رحم جماعة الإخوان المسلمين، إلا أنه حافظ على استقلاليته عن الجماعة حتى وقوع مجزرة حماة في ١٧شباط/ فبراير ١٩٨٢ . انظر: رافائيل لوفيفر، الكفاح المسلح لجماعة الإخوان السورية، على الرابط:

http://carnegie-mec.org/publications/?fa=50428.

السوري كمنظّر جهادي عالمي، وظهر أبو بصير الطرطوسي كداعية وفقيه، كما انخرط عدد من السوريين في الجهاد العالمي القاعدي، وخصوصا في الفرع العراقي بزعامة أبي مصعب الزرقاوي.

ساهم النظام السوري، بدوره، بوسائل متعددة في تأسيس فرع للقاعدة في سورية، في محاولة لإعادة إنتاج شرعيته الدولية والإقليمية عبر "الحرب على الإرهاب"، وعزّز الدعم الهائل الذي حصل عليه من النظام الإيراني في بناء البيئة المناسبة لشبكة القاعدة، بخاصة مع دخول حزب الله اللبناني وقدوم المتطوعين من الميليشيات الشيعيّة العراقية، في ظل ولادة مشاعر سُنيّة سوريّة، شبيهة بالحالة العراقية، بالاستهداف والصراع الطائفي، فكانت ولادة جبهة النصرة السوريّة بدعم وإسناد من الفرع العراقي.

لم تعلن جبهة النصرة عن هويّتها القاعدية، حتى بعد اعتبارها من قبل الولايات المتحدة منظمة إرهابية، إلاّ بعد إعلان زعيم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق عن ضمّها إلى فرعه العراقي وتأسيس ما يسمى بـ"الدولة الإسلامية في العراق والشام" (التي أطلق عليها الإعلام مصطلح "داعش")، لكن أبا محمد الجولاني، زعيم النصرة، رفض هذا الدمج بين التنظيمين، وبدلاً من ذلك أعلن عن تبعية التنظيم للقاعدة المركزية، ثم دخل زعيم القاعدة، أيمن الظواهري، على خطّ الخلاف، في محاولة للفصل بين الطرفين، إلاّ أنّ النتيجة جاءت معاكسة تماماً إذ أدى ذلك إلى تظهير الأزمة التاريخية المكتومة بينه وبين الفرع العراقي وتفجير الصراع الداخلي بينهما.

بالنتيجة؛ انشطرت القاعدة المركزية وانفصل التنظيم العراقي رسمياً عن المركز، وتبع ذلك صدام أيديولوجي وسياسي وعسكري بين الطرفين في سورية، ما وصل إلى حدود التكفير وتبادل الاتهامات وسجالات حادّة ومعارك حامية الوطيس.

في هذا الفصل سنتتبع جذور جبهة النصرة وصعودها في المشهد

السوري، وانكشاف الخلافات بين القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية على خلفية رفض النصرة الانضمام إلى التنظيم العراقي، وسنقف عند الخلفية الأيديولوجية والهويّاتية الملتبسة للنصرة، التي لم تؤدّ فقط إلى صراع مع تنظيم الدولة بل إلى أزمة داخلية كبيرة في النصرة نفسها.

١- الجذور: كيف شارك النظام السوري في توفير مناخات القاعدة؟

عمل الغزو الأميركي للعراق عام ٢٠٠٣ على تنشيط السلفية الجهادية السوريّة، وأصبحت الأراضي السوريّة نقطة العبور الرئيسية للجهاديين، وبيئة نشطة للتعبئة والتجنيد، فقد تبنى النظام السوريّ سياسة (غير معلنة رسمياً) تتمثّل بدعم وإسناد الجهاديين والسماح للسلفيين بالذهاب إلى العراق لسببين؛ أولاً: للتخلص من آلاف السلفيين المحليين من ذوي النزعة الجهادية، وحشدهم في حرب خارجية معظمهم لن يعود منها ليؤرق نظام الأقلية العلماني؛ وثانياً: لزعزعة الاحتلال الأميركي للعراق وإحباط رغبة جورج بوش الإطاحة بالأنظمة الديكتاتورية.

تحولت سورية غداة احتلال العراق إلى مركز تجمّع رئيسي للمجاهدين المتطوّعين الآملين بالانضمام إلى المقاومة في العراق، ونشّطت مخابرات الأسد عملاءها السلفيين في سورية، وكان أشهر هؤلاء د. محمود قولا أغاسي، الملقب بأبي القعقاع، الشيخ السلفي الحلبي، ثم تحوّلت جماعته بعد الغزو إلى القطب الذي أمدّ قاعدة أبي مصعب الزرقاوي في العراق بجنودها السوريين.

نجحت جهود أبي القعقاع لدرجة أن السوريين شكّلوا إحدى أكبر نسب المقاتلين الأجانب في بداية المقاومة المسلحة في العراق. لكن بعد أربع سنوات، تغيرت الحسابات السياسية فقرّر النظام السوري تحديد حركة العبور وتقليصها، ثم توفّي أبو القعقاع برصاصة بالرأس في ظروف غامضة، بعد أن دخل ٨٥-٩٠٪ من المقاتلين الأجانب إلى العراق عبر الحدود

السوريّة، فأصبحت الشبكة الجهادية السوريّة امتداداً جوهرياً لشبكات العراق، وصارت تعمل بلا دعم مباشر من نظام الأسد، وإن كان ذلك بعلمه(٨٩).

في أعوام ما قبل الانتفاضة السوريّة ٢٠١١، تشكلت قناعة لدى الأسد ومخابراته بأنه يمكن رعاية الجهاد والتلاعب به لصالح غايات النظام. وكان ذلك هو الوقت الذي دخل فيه الجهاديون الأجانب إلى سورية وساهموا في بناء الهياكل وخطوط الإمداد التي تستخدم اليوم في قتال النظام. فإلى ذلك الحدّ كان الأسد شريكاً في خلق العدوّ الذي يقاتله اليوم. وحين اندلع النزاع الحالي في سورية، لم يكن مدهشاً أن الهياكل الجهادية ظهرت أول الأمر في المناطق الشرقية، حيث نقاط عبور الجهاديين إلى العراق(٩٠).

في المرحلة اللاحقة، وخلال المرحلة الأولى من الاحتجاجات السلمية في سورية، ساهم النظام، أيضاً، في توليد القاعدة، إذ أدت سياساته القمعية لتلك الاحتجاجات، بقتل المتظاهرين السلميين واعتقالهم والتنكيل بهم، إلى انشقاقات في صفوف الجيش، فبدأت تتشكل سلالة الجيش الحر بهدف حماية المتظاهرين(٩١).

مع دخول الثورة السورية آفاق العسكرة وتنامي العمل المسلح بعد ثلاثة شهور (النصف الثاني من ٢٠١١)، بات مصطلح "الجهاد" هو الأكثر تداولاً، وبدأت الجماعات الجهادية ذات الصبغة السلفية تعلن عن وجودها، ومن

---

(٨٩) انظر: د محمد حبش، أبو القعقاع.. ذكريات.. الطريق إلى داعش، مدونة جدران، ١٧ اكتوبر ٢٠١٤، على الرابط التالي:http://www.judran.net/?p=2831.

(٩٠) بيتر نيومان، الجهاديون في سوريا: لا يلومن الأسد إلا نفسه، ترجمة ياسر الزيات، على الرابط: http://aljumhuriya.net/26403.

(٩١) لمزيد من التفصيل حول سلالات الجيش الحر، وتنامي الجماعات الجهادية، انظر: هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سورية، مجموعة الأزمات الدولية، تقرير الشرق الأوسط رقم ١٣١، ١٢ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٢، على الرابط:

http://www.crisisgroup.org/~/media/Files/Middle%20East%20North%20Africa/Iraq%20Syria%20Lebanon/Syria/Arabic%20translations/131-tentative-jihad-syrias-fundamentalist-opposition-arabic.pdf.

أهمها: "كتائب عبد الله عزام"، وقد ظهرت كأحد أذرع القاعدة في بلاد الشام (التي تأسست على يد صالح عبدالله القرعاوي بتوجيهات من أبي مصعب الزرقاوي زعيم تنظيم القاعدة في العراق في العام ٢٠٠٤)، وجماعة "فتح الإسلام" (التي أعلنت عن نشأتها في بيان صدر بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦، بزعامة شاكر العبسي، وخاضت في مخيم نهر البارد صداماً مع الجيش اللبناني أدى إلى اختفائها هناك، وقُتِل عدد كبير من أتباعها واعتقال قيادات فيها، وهروب العبسي نفسه)[٩٢]، وظهرت جماعة "جيش الصحابة في بلاد الشام"، وبرزت "كتائب أحرار الشام"[٩٣].

عمل نظام الأسد، منذ بداية الحركات الاحتجاجية، على ترويج خطاب "الخوف" و"المصلحة" محلياً وإقليمياً ودولياً، من خلال تصوير الحراك في سورية باعتباره "إرهابياً"، و"طائفياً"، إذ أصبحت "الطائفية" إلى جانب "الإرهاب" كلمات مفتاحية أساسية في حرف طبائع الصراع، وأداة فعّالة يستخدمها النظام لتحقيق أهداف أيديولوجية وسياسية، فقد تماهى النظام مع السياسات الدولية التي شاعت عقب الحرب الباردة، والتي تستند إلى سياسات "الحرب على الإرهاب"، ومبادئ "التدخل الإنساني" وحماية الأقليات، واستثمارها لإعادة إنتاج شرعيته المتآكلة، كأداة للهيمنة والسيطرة والتحكم والإخضاع السلطوية.

لم يقتصر سلوك النظام السوري على صعيد الخطاب السياسي والإعلامي، بل عمل على بناء استراتيجية عملية من خلال جملة من الممارسات، ففي منتصف عام ٢٠١١، عقب تصاعد الحركات الاحتجاجية

(٩٢) حول مواجهات نهر البارد وجماعة فتح الإسلام، انظر تقرير موقع العربية نت بعنوان "الجيش اللبناني ينهي مواجهات نهر البارد بتدمير مواقع فتح الإسلام، ٢٠٠٧/٦/٢١، على الرابط التالي: http://www.alarabiya.net/articles/2007/06/21/35734.html.

(٩٣) لمزيد من التفصيل حول ظهور الجماعات السلفية الجهادية في سورية منتصف ٢٠١١ وبداية ٢٠١٢، انظر: د. أكرم حجازي، الثورة السورية ومسارات التدويل (٦)، خريطة القوى المسلحة، على الرابط: http://www.almoraqeb.net/main/articles-action-show-id-350.htm/.

الشعبية السلمية، أصدر النظام عفواً رئاسياً عن معتقلي سجن صيدنايا بتاريخ ٣١ أيار/ مايو٢٠١١، وهو أحد أهم السجون السوريّة التي تضم إسلاميين، إذ تحولت مهمته إلى استيعاب المتطوعين العرب الذين عبروا سورية لقتال القوات الأميركية في العراق، كما يضم التنظيمات الجهادية والسلفية، ومعتقلي الأحزاب الكردية على اختلافها، والتجمعات الإسلامية الصغيرة غير المعروفة، والمعتقلين من مشايخ أو شخصيات كانت قد أعلنت مواقف صريحة مع الجهاد والكفاح المسلح(٩٤).

شكّل نزلاء سجن صيدنايا فور إطلاق سراحهم، العمود الفقري للمعارضة الإسلامية المسلحة، إذ برزت أسماء ثلاث شخصيات تولت قيادة أبرز الفصائل، وهم: زهران علّوش، مؤسس وقائد "لواء الإسلام"، الذي تحول إلى "جيش الإسلام"، وحسّان عبّود (الملقّب بأبي عبدالله الحموي)، الذي برز كقائد لـ "حركة أحرار الشام"، وعيسى الشيخ، الذي أصبح قائدا لـ "لواء صقور الإسلام"، وكانوا جميعاً قد اعتقلوا خلال عام ٢٠٠٤ (٩٥).

ومع بداية عام ٢٠١٢، أخذ العمل العسكري بالانتشار وتوالدت الفصائل المسلحة بسرعة هائلة، حتى بلغت أكثر من خمسمائة فصيل، وقد أخذت هوية الجماعات المسلحة بالتمايز بين التوجهات الوطنية كالجيش الحر،

---

(٩٤) لمزيد من التفصيل حول تاريخية ووظيفة سجن صيدنايا، انظر: هيثم مناع، سجن صيدنايا: بين الحقيقة والتوظيف، الجزيرة نت، على الرابط: http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2008/7/17/%D8%B3%D8%AC%D9%86-%D8%B5%D9%8A%D8%AF%D9%86%D8%A7%D9%8A%D8%A7-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%82%D9%8A%D9%82%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%B8%D9%8A%D9%81.

(٩٥) انظر: باسل الجنيدي، قصّة "أصدقاء صيدنايا": أقوى ثلاثة رجال في سوريا اليوم، على الرابط: http://aljumhuriya.net/19328.

وتحدثت تقارير عديدة عن وجود أبي محمد الفاتح الجولاني، زعيم "جبهة النصرة" في سجن صيدنايا، إلا أن الأرجح من مصادر عديدة موثوقة أن الجولاني تسلل مع سبعة من رفاقه، بينهم بضعة سوريين وسعودي وأردني، عبر الحدود من العراق الى سورية في صيف ٢٠١١، وكان في استقبالهم بعض المفرج عنهم من سجن صيدنايا، وكان معتقلا لدى القوات الأميركية في العراق، وسُجن في معسكر بوكا.

والانتماءات الإسلامية، التي أصبحت تهيمن على المشهد مع ولادة "جبهة ثوار سوريا"، التي ضمت عدداً من الفصائل الإسلامية، من أشهرها كتائب أحرار الشام في إدلب وكتائب أحفاد الأمويين في دمشق وريفها، وسرعان ما تفككت ووُلد من رحمها "جبهة تحرير سوريا الإسلامية" بتاريخ ١٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٢، وكان مخطَّطاً لها أن تضم أهم المجموعات الجهادية الكبرى، وهي: ألوية صقور الشام وكتائب أحرار الشام وتجمع أنصار الإسلام وغيرها، لكن بعض الخلافات التي نشأت في اللحظات الأخيرة تسببت في انسحاب كتائب أحرار الشام من الجبهة. وحينما أُعلن عن إنشائها رسمياً كانت "جبهة تحرير سوريا الإسلامية" تضم ألوية صقور الشام وكتائب الفاروق وتجمع أنصار الإسلام ولواء الفتح ولواء الإيمان ومجلس ثوار محافظة دير الزور، وعدداً آخر من الكتائب والألوية الأصغر حجماً. وفي وقت لاحق في ١١ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣ أُعلن عن ضم لواء التوحيد إلى جبهة تحرير سوريا، ثم انسحب منها تجمع أنصار الإسلام.

قبل نهاية عام ٢٠١٢ بعشرة أيام وُلدت الجبهة الإسلامية الثانية، وهي "الجبهة الإسلامية السوريّة"، وتضم كتائب أحرار الشام وحركة الفجر الإسلامية وجماعة الطليعة الإسلامية وكتائب الإيمان المقاتلة وكتائب أنصار الشام ولواء الحق وجيش التوحيد، وعدداً آخر من الألوية والكتائب، وبعد ولادتها بشهرين انسحب لواء الإيمان في حماة من جبهة تحرير سوريا وانضم إليها. وفي وقت لاحق أُعلن عن اندماج الجماعات الأربع الأولى (كتائب أحرار الشام وحركة الفجر وجماعة الطليعة وكتائب الإيمان) في كيان واحد اسمه "حركة أحرار الشام"، فصارت الحركة هي العمود الفقري والمكوِّن الرئيسي للجبهة الإسلامية السوريّة.

وخلال النصف الثاني من العام ٢٠١٣ بُذلت جهود كبيرة لتوحيد الجبهتين السابقتين في كيان واحد جامع، وقد تمخضت تلك الجهود أخيراً عن توحيد مكوّناتهما الرئيسية في جبهة جديدة تم الإعلان عنها يوم

الجمعة ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣ باسم "الجبهة الإسلامية"، وتضم أكبر الجماعات العسكرية العاملة في الميدان، وهي: حركة أحرار الشام الإسلامية وجيش الإسلام وألوية صقور الشام ولواء التوحيد ولواء الحق وكتائب أنصار الشام والجبهة الإسلامية الكردية. وتزامناً مع إطلاق الجبهة الجديدة تم الإعلان عن إلغاء وتفكيك الجبهتين القديمتين: جبهة تحرير سوريا والجبهة الإسلامية السوريّة[٩٦].

لم تكن شواهد العمل الجهادي في سورية بعيدة عن نظر تنظيم القاعدة، وفرعه العراقي القريب، فمنذ شهر تموز/ يوليو ٢٠١١، بدأت الاتصالات بين الجهاديين السوريين في ساحات القتال وخصوصاً العراق مع تنظيم القاعدة المركزي، وقد أصدر الظواهري كلمة مرئية بعنوان "عز الشرق أوله دمشق"[٩٧].

٢- صعود جبهة النصرة: مسارات النشأة الملتبسة

استثمر تنظيم القاعدة بروز الحالة الجهادية[٩٨] في سورية بالعمل على

---

(٩٦) انظر: مجاهد ديرانية، خرائط متحركة: القوى العسكرية في الثورة السورية، مركز الجزيرة للدراسات، على الرابط: http://studies.aljazeera.net/reports/2013/12/20131223111212549392.htm.

(٩٧) أيمن الظواهري، كلمة مرئية بعنوان: عز الشرق أوله دمشق، بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٢٨، مؤسسة السحاب، على الرابط: http://www.shabakataljahad.info/vb/showthread.php?t=8431.

(٩٨) تعاملت الدول الخليجية وفي مقدمتها السعودية مع الأزمة السورية، باعتبارها جهاداً ضد الاحتلال، يجب دعمه وإسناده لمواجهة وكسر النفوذ الإيراني في المنطقة، وعززت الصراع الهويّاتي الطائفي سياسياً ودينياً، وبحسب برايان فيشمان: إن المعركة في سوريا أدت إلى تضييق الفجوة بين الجهاديين والأنظمة العربية التي تريد أن ترى الأسد مخلوعاً من السلطة، وعلى الخصوص في المملكة العربية السعودية. ففي ٢٥ فبراير ٢٠١٢، سمى وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل نظام بشار الأسد بـ"قوة الاحتلال"، وتناقلت وسائل الإعلام العربية هذا التصريح على نطاق واسع، ورحب به ترحيباً حاراً من قبل جيش سوريا الحر، وتم تناوله في التحليل الجهادي الجيوسياسي فيما بعد. وبعد ذلك بأسبوعين، قال مفتي السعودية عبد العزيز آل الشيخ: "من واجب كل مسلم مساعدة الشعب السوري، على حسب قدراته... أي شخص يمكنه أن يفعل ذلك يجب أن يضع الجهاد ضد العلويين بروحه و/ أو المال، وأولئك الذين لا يستطيعون، يجب على الأقل أن يدعموا السوريين بالكلمات"، برايان فيشمان، شواهد العمل الجهادي، ترجمة: منتصر مختار، مجلة مركز مكافحة الإرهاب الأمريكية، أيار/ مايو ٢٠١٢، على الرابط: http://www.ctc.usma.edu/posts/the-evidence-of-jihadist-activity-in-syria.

تأسيس فرع للقاعدة في بلاد الشام، فبدأ الجهاديون بالتوافد إلى هناك بتنسيق مع تنظيم القاعدة المركزي، وبإشراف مباشر من الفرع العراقي، دون الإشارة إلى علاقته بالمركز أو الفرع العراقي تجنباً للأخطاء التي وقع فيها التنظيم في العراق، وتعمية على الأجهزة الاستخبارية، ولتيسير العمل مع الفصائل المسلحة الأخرى وفق نهج "الأنصار"، إذ يكشف الظواهري عن طبيعة النشأة والتأسيس عبر تفاهمات مسبقة حول العمل الجهادي في سورية بين تنظيم القاعدة المركزي وتنظيم "دولة العراق الإسلامية"، فهو يكشف عن استراتيجية القاعدة عندما يقول: "كان التوجيه من القيادة العامة أن لا نعلن أي وجود علني للقاعدة في الشام وكان هذا الأمر محِل اتفاق حتى مع الأخوة في العراق"(٩٩).

كانت نشأة جبهة النصرة ملتبسة الهوية والإيديولوجيا، وتتوافر على سلطتين مرجعيتين ومنهجين مختلفين، أحدهما ينتمي إلى نهج تنظيم القاعدة المركزي السياسي، وتكيفاته الأيديولوجية عقب ثورات الربيع العربي التي تستند إلى حروب "الأنصار"، وثانيهما نهج الفرع العراقي الهويّاتي، الذي يتمتع بنوع من الاستقلالية النسبية ويتمسك بموضوعة حروب "الهوية".

ظهر الالتباس في الهوية منذ الإعلان رسمياً عن تأسيس "جبهة النصرة لأهل الشام" في سورية، من خلال تسجيل مرئي بعنوان "شام الجهاد"، بتاريخ ٢٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢، بزعامة أبي محمد الجولاني(١٠٠)، (وذلك بالرغم من وجود التنظيم منذ شهر تموز/ يوليو ٢٠١١، بدون تسمية)، إذ قدمت مؤسسة "المنارة البيضاء"، الإعلامية التابعة للتنظيم الجديد الجولاني

(٩٩) أيمن الظواهري، الواقع بين الألم والأمل، لقاء صوتي مفرغ أجرته مؤسسة السحاب السابع، في أيار/ مايو ٢٠١٤، على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=4630.

(١٠٠) أبو محمد الجولاني: لا تزال شخصيته الحقيقية غير مؤكدة، فالأجهزة الاستخبارية العراقية ترجح أن يكون اسمه عدنان الحاج علي، أما المصادر السورية فتؤكد أنه أسامة الحداوي، من بلدة الشحيل بريف دير الزور.

باعتباره "المسؤول العام للجبهة" بكنيته "الفاتح أبو محمد الجولاني"، وهو سلوك يشير إلى قربه من الفرع العراقي، الذي لا يستخدم الأسماء الصريحة، على خلاف سلوك تنظيم القاعدة المركزي وفروعه الأوثق ارتباطاً، كما أن الالتباس يظهر من خلال التعريف بالجولاني باعتباره مسؤولاً وليس أميراً، وكان صدور الشريط على موقع "شبكة الشموخ الجهادية" ابتداءً، قبل انتشاره على بقية الشبكات، دالاً على قربه وتزكيته من القاعدة وتنظيم الدولة معاً.

الجبهة، بحسب الجولاني، ما ظهرت إلا "سعياً منّا لإعادة سلطانِ اللهِ إلى أرضِه"، وهو ركن مشترك بين القاعدة والفرع العراقي، كما أن فلسطين حاضرة من خلال صورة مسجد الأقصى كخلفية لشريط الإعلان، إلا أن الالتباس يبدو ظاهراً في تعيين الأعداء، فالتنظيم الجديد يرفض الاستعانة بـ "العدو الغربيّ للخلاص من العدو البعثيّ، فهي دعوة شاذة ضالة وجريمة كُبرى ومُصيبة عُظمى لا يغفرُها الله ولن يرحم أصحابَها التاريخُ أبدَ الدهر"، بما في ذلك التعويل على أية قوة شريكة له كتركيا والجامعة العربية باعتبارها عميلة للولايات المتحدة والغرب، إذ "لا عِبرة بالتغيير إن كانَ التغييرُ من الظلمِ إلى الظلمِ ومن السحت إلى السحت، فهذا هو عينُ الفساد مع اختلاف ألوانه".

كما أنّ مفردات الخطاب الهويّاتي الطائفي لمشروع الفرع العراقي كانت حاضرة في خطاب النصرة، عبر مناهضة إيران والتصريح بمقاومة "الصفوية"، وتلك إحدى المفردات المفضلة لتنظيم "دولة العراق الإسلامية" لوصف المشروع "الشيعي" في المنطقة، ومعارضته بالهوية السُنيّة، فالجولاني يربط العلاقة بين إيران وسورية على أسس دينية طائفية، تتعلق بالهوية، فهو يؤكد على: "السعي الإيراني الحثيث مع هذا النظام منذ سنين قد خلت، بزرع الصفوية في هذه الأرض المباركة، لاستعادة الإمبراطورية الفارسية"(١٠١).

---

(١٠١) انظر: الإعلان عن تأسيس جبهة النصرة، مؤسسة المنارة البيضاء للإنتاج الإعلامي، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=Fuh1cI9vlR0/.

كانت العلاقة بين جبهة النصرة وتنظيم القاعدة المركزي واضحة بالرغم من عمليات التمويه والتعمية، فقد ظهر زعيم القاعدة، أيمن الظواهري، غداة الإعلان عن تأسيس النصرة في شريط مصور بعنوان: "إلى الأمام يا أسود الشام"، أصدرته مؤسسة السحاب في ١٢شباط/ فبراير ٢٠١٢، يكرر مضمون خطاب الجولاني، بل يكاد يستخدم الالفاظ نفسها، فهو يقول: "فيا أهلَنا في سوريا. لا تعتمدوا على الغربِ ولا أمريكا ولا على حكوماتِ العربِ وتركيا، فأنتم أعلمُ بما يدبرون لكم، يا أهلَنا في سوريا لا تعتمدوا على الجامعةِ العربيةِ وحكوماتِها التابعةِ الفاسدةِ، فإن فاقدَ الشيءِ لا يعطيه. لا تعتمدوا على الغربِ وتركيا الذين تعاملوا وتفاهموا وتشاركوا مع هذا النظامِ لعقودٍ، ولكنهم بدأُوا في التخلي عنه لما رأَوه يترنحُ، ولكن اعتمدوا على اللهِ وحده، ثم على تضحياتِكم وصمودِكم وثباتِكم"(١٠٢).

وبالرغم من أنّ الظواهري دمج، في خطابه، بين السياسي والهويّاتي في وصف النظام السوري، لكنه بقي أميناً لنهج القاعدة السياسي بمواجهة الولايات المتحدة وحلفائها وإسرائيل، وقد تجنب الوصول إلى تأسيس الصراع بالكامل على الأساس الهويّاتي الطائفي، كما هو حال خطاب التنظيم العراقي.

الأمر نفسه نجده لدى الجولاني، الذي تحدث عن المشروع الصفوي الفارسي الإيراني(١٠٣)، لكنه بقي يدور في المجمل في فلك خطاب القيادة المركزية للقاعدة في توصيف طبيعة الصراع السوري. وقد يكون ذلك التردد لدى النصرة - بين خطابي القاعدة المركزية وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق حينها- هو جوهر المشكلة البنيوية التي عانى منها التنظيم السوري على الصعيد الأيديولوجي والإداري والاستراتيجي.

---

(١٠٢) أيمن الظواهري، إلى الأمام يا أسود الشام، شريط مصور، مؤسسة السحاب، بتاريخ ١٢ شباط/ فبراير ٢٠١٢، على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=2429.

(١٠٣) المرجع السابق.

٣- جوهر الخلاف مع التنظيم العراقي

لعل التسمية الأولية، التي ظهرت في شريط الإعلان عن التنظيم الجديد، تشير- بحدّ ذاتها- إلى التباس هوية التنظيم، وانتمائه، وتردده بين المركز والفرع، فقد أطلق على نفسه "جبهة النصرة لأهل الشام: من مجاهدي الشام في ساحات الجهاد"، وحافظ في بياناته المتتالية على هذه التسمية الطويلة، ويبدو أنه كان يرغب في بداياته باستقطاب الجهاديين من بلاد "الشام" بصورة أساسية، وهو ما ظهر جلياً من خلال اجتذاب جهاديي بلاد الشام، التي تضم سورية والأردن ولبنان وفلسطين.

لذلك؛ كانت العناصر السورية والأردنية واللبنانية والفلسطينية مكوناً رئيسياً في مراحل التأسيس، مع تفوق العنصر السوري، من الذين سبقت لهم تجربة جهادية في أفغانستان والشيشان والعراق، وغيرها من ساحات الجهاد. إلا أن التنظيم أخذ يوسع من دائرة تجنيده، بعد تدفق المقاتلين العرب والأجانب، وتضخم التنظيم واتساع المواجهة مع النظام، ويتضمن إعلان تأسيس جبهة النصرة صورا ميدانية لمقاتلين في مناطق سوريِّة عديدة، وهي: دمشق وحلب والميادين وإدلب والبوكمال ودرعا ودير الزور، الأمر الذي يشير إلى وجود التنظيم منذ تموز/ يوليو ٢٠١١ .

ليس من الصعوبة بمكان الإمساك بمسارات النشأة الملتبسة لجبهة النصرة، إذ كانت حاضرة منذ البداية؛ فعندما قدم الجولاني مشروعاً لأبي بكر البغدادي يتكون من أربعين صفحة لبدء العمل العسكري الجهادي في الشام، وهو المشروع الذي ذكره الجولاني في كلمته الصوتية، التي رفض فيها خطاب البغدادي بدمج النصرة بالدولة، وكان البغدادي قد وافق على خطوطه الأساسية؛ وبناء عليه تم تشكيل "مجلس شورى الجبهة"، الذي كان يضمّ في عضويته الجولاني والبغدادي.

خلال الفترة الأولى من عمل التنظيم حاول الجولاني الجمع بين نهجين

مختلفين؛ أحدهما سياسي يتبع تنظيم القاعدة المركزي، والآخر هوياتي مذهبي يتبع الفرع العراقي، لكن مع مرور الوقت بدأت النزعة البراغماتية للجولاني تقترب أكثر من القاعدة وزعيمها أيمن الظواهري، وتبتعد عن تنظيم الدولة. فتسمية التنظيم الجديد بجبهة النصرة، بحدّ ذاتها، تتماهى مع الرؤية الجديدة للقاعدة، التي طورتها في خضم الثورات العربية، فقد عمل تنظيم القاعدة المركزي على تبني استراتيجية تتكيّف مع حقبة الثورات العربية أسفرت عن ولادة نهج جديد في التعامل مع التغيرات العميقة الجارية في العالم العربي(١٠٤)، وتبلورت من خلال ظاهرة "أنصار الشريعة"، إذ يعتمد مفهوم "الأنصار" على جذب السكان المحليين إلى إيديولوجية القاعدة عبر "تحويل مطلب تحكيم الشريعة من عمل نخبوي إلى عمل شعبوي"، ويمزج بين المدني والعسكري، ويدمج المحلي بالعالمي(١٠٥).

وبينما لم يكن الفرع العراقي مهتماً بنهج القاعدة الجديد، فضلاً عن اختلافهما القديم، فإنّ جبهة النصرة بدت متأرجحة، في البداية، بين انتماء الجولاني للفرع العراقي الذي قاتل معه لسنوات، وكان عضواً فيه من جهة،

---

(١٠٤) انظر: محمد أبو رمان، قراءة في أبعاد الخلاف بين الظواهري والبغدادي، الجزيرة نت، ٢٠١٤/٥/٢٢، يمكن قراءة المقال على الرابط التالي: http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec-47d5-b7c4-3aa56fb899e2/3bb731af-a559-441d-8d56-c76d09bed3a4.

(١٠٥) شهد اليمن ولادة الظاهرة، من خلال الفرع القاعدي في جزيرة العرب، وسرعان ما استنسخت التجربة، وانتشرت الظاهرة في تونس والمغرب ومصر وليبيا وموريتانيا، وامتدت إلى مالي مع جماعة "أنصار الدين"، ونيجيريا مع جماعة "أنصار المسلمين في بلاد السودان"، وتشير الظاهرة إلى ديناميكية جديدة في الفضاء السلفي الجهادي وأجنحته العديدة، فهي تعيد طرح استراتيجيات التغيير إلى سيرتها الأولى خلال حقبة الثمانينيات وآليات التعامل مع الأنظمة المحلية الموسومة بـ "العدو القريب" قبل أن تتبلور "الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين" عام ١٩٩٨ وفق نظرية أولوية التصدي لـ "العدو البعيد"، وبين الحقبتين وما بعدها لم ينقطع الجدل الجهادي حول أولوية الدعوي والقتالي أو المزاوجة بينهما، أما التطور الجديد فيلغي المسافات ويقطع الخلافات التاريخية، فالقاعدة كتنظيم مركزي نخبوي مسلح بأجندة معولمة يوشك على الزوال، لتحل مكانه شبكات شعبوية محلية تحت مسمى "أنصار الشريعة" تمهد لبناء منظومة إقليمية متحدة تتبنى الحكم المحلي وتناهض الهيمنة الغربية، ويجمع بين البعد العسكري والمدني، وبهذا أصبح نهج تنظيم "القاعدة" يقوم على "اندماج الأبعاد"، النخبوي بالشعبي، والمدني بالعسكري، والمحلي بالعالمي. انظر: حسن أبو هنيّة، ظاهرة أنصار الشريعة، على الرابط: http://islamion.com/kotap/13407/sec.php?sec=9.

وتطورات المشهد الجهادي السوري، الذي يقترب بفصائله الجهادية السلفية مع نهج القاعدة الجديد من جهةٍ أخرى(١٠٦).

آتت استراتيجية النصرة - بالانصهار في المجتمع بنتائج كبيرة، فحقّقت نجاحات ملموسة، واستقطبت مقاتلين محليين وأجانب، وتمتعت بدعم واسع النطاق من الجهادية العالمية(١٠٧)، وتمكنت حتى كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢ من تنفيذ عمليات كبيرة، وأعلنت عن مسؤوليتها عن أكثر من ٥٠٠ هجوم، منها سلسلة من الهجمات الانتحارية(١٠٨).

وبفترةٍ قصيرة اكتسبت النصرة سمعة كبيرة، لدى أفضل المنظرين الجهاديين في العالم، الذين دعوا المناصرين على المستويات الشعبية إلى المساعدة في تمويل الجماعة أو الانضمام إليها. وقد استجاب المقاتلون الأجانب للنداء، بالفعل، فاستناداً إلى بيانات من منتديات تنظيم "القاعدة" على الإنترنت، فإن من بين الـ ٤٦ شخصاً الذين أوردت المنتديات إخطارات "شهادة" (أي الإعلان عن مقتلهم) لهم وأعلنت عن انتماءاتهم، فإن ٢٠ منهم كانوا قد حاربوا مع "جبهة النصرة". ومنذ ١ تشرين الأول/أكتوبر أفادت جميع الإخطارات، التي تذكر الانتماءات، تقريباً بأن المقاتل كان منحازاً إلى "جبهة النصرة".

لم تنتظر الولايات المتحدة طويلاً على محاولة "جبهة النصرة" التعمية

(١٠٦) لمزيد من التفصيل حول البدايات الأولى لجبهة النصرة، والمفاتيح الأساسية للجماعة وأبرز رجالاتها، وجهود الجولاني، انظر رواية أبو مارية القحطاني، الذي أصبح أول مسؤول شرعي للنصرة والمسؤول العسكري للمنطقة الشرقية، وينبغي التنبه لإهماله لدور الفرع العراقي في ظروف النشأة والتأسيس، أبو مارية القحطاني، هلا تركتم لنا أمرائنا، على الرابط: http://justpaste.it/fj1b.

(١٠٧) كانت قيادة القاعدة وكافة الفروع الإقليمية للتنظيم تساند جبهة النصرة، كما تمتعت الجبهة بدعم واسناد من كافة الجهاديين العالميين، وذلك قبل حدوث الاختلاف بين الفرع العراقي والنصرة، ومن أبرز الجهاديين: الشيخ الكويتي حامد العلي، وأبو قتادة الفلسطيني، وأبو محمد المقدسي، وسليمان العلوان، وأبو المنذر الشنقيطي، وأبو همام الأثري وأبو محمد الطحاوي، وغيرهم.

(١٠٨) لمزيد من التفصيل حول العمليات العسكرية التي تبنتها جبهة النصرة، منذ صدور البيان رقم (١) بتاريخ ٢٠ آذار/ مارس ٢٠١٢، ولغاية البيان رقم (١٩٩)، بتاريخ ١٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣، أنظر: الكتاب الجامع لجميع بيانات جبهة النصرة لأهل الشام: من البيان رقم ١ إلى البيان رقم ١٩٩ .

على هويتها وانتمائها، فقد أدرجتها على قائمة الإرهاب (في ١١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢)، واعتبرتها امتداداً للفرع العراقي للقاعدة والمعروف باسم دولة العراق الإسلامية. وبحسب هارون زيلين؛ فإن إدارة أوباما كانت تحاول وأد صعود "جبهة النصرة" في المهد من خلال تصنيفها كمنظمة إرهابية، قبل قيامها بشن هجوم على المصالح الأميركية أو على الوطن الأم(١٠٩).

على أرض الصراع، وخلال فترة وجيزة، حظيت جبهة النصرة باهتمام كبير في أوساط السوريين نظراً لصلابة مقاتليها في مواجهة قوات النظام وعملياتها النوعية، وتعاونها وتنسيقها مع كافة الفصائل المسلحة، ولسلوكها المنضبط والايجابي مع المجتمع المحلي وتقديمها خدمات إغاثية عديدة، وتأسيسها لمحاكم شرعية للفصل في النزاعات اليومية، الأمر الذي ظهر جلياً من خلال موجة غضب من أطياف الثورة السورية مدنية وعسكرية وسياسية وشعبية على ذلك القرار الأميركي.

فقد دعا رئيس الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية معاذ الخطيب، وجماعة الإخوان المسلمين الولايات المتحدة إلى مراجعة قرارها باعتبار جماعة جبهة النصرة لأهل الشام منظمة إرهابية(١١٠)، وتجلى رفض وضع جبهة النصرة على لوائح الإرهاب الأميركية شعبياً عبر الخروج في مظاهرات مؤيدة لجبهة النصرة ومنددة بالقرار الأميركي يوم الجمعة الموالية

---

(١٠٩) هارون ي. زيلين، صعود تنظيم القاعدة في سوريا، معهد واشنطن، على الرابط:
http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-rise-of-al-qaeda-in-syria.

(١١٠) انظر: معارضة سوريا تنتقد وصم "النصرة" بالإرهاب، الجزيرة نت، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/news/arabic/2012/12/13/
%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D8%B6%D8%A9-
%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7-
%D8%AA%D9%86%D8%AA%D9%82%D8%AF-%D9%88%D8%B5%D9%85-
%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5%D8%B1%D8%A9-
%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D9%87%D8%A7%D8%A8.

للقرار بتاريخ ١٤ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢، وجعلت عنوان فعالياتها "لا للتدخل الأمريكي: كلنا جبهة النصرة"(١١١).

هذه النجاحات الميدانية دفعت بجبهة النصرة إلى مزيد من البراغماتية، وأخذت تبتعد أكثر عن الفرع العراقي للقاعدة وتقترب بصورة جلية من نهج القاعدة المركزي الجديد، فبحسب تشارلز ليستر "منذ منتصف إلى أواخر العام ٢٠١٢، أظهرت المجموعة مستويات عالية من البراغماتية من حيث اعتدال سلوكها، وحدّها من إظهار أهدافها الإيديولوجية المباشرة، فبالإضافة إلى ولائها لتنظيم القاعدة، تهدف جبهة النصرة على المدى الطويل إلى إقامة دولة إسلامية في سوريا كنقطة انطلاق لتحرير القدس وإقامة الخلافة الإسلامية، أما على المدى القصير فتعمل المجموعة على مستوى محلي مع إيلاء اهتمام خاص للحفاظ على علاقات طيبة مع المدنيين والمتمردين المعتدلين، كما أنها حظرت فرض عقوبة "الحدود" خلال الحرب"(١١٢).

٤- المرجعية الفكرية للنصرة: الخط السلفي الجهادي السوري

كانت الخلافات بين جبهة النصرة وتنظيم الدولة تتسع بسبب التباس المرجعية الفكرية والاستراتيجية العملية. ففي الوقت الذي كانت مرجعيات الفرع العراقي تستند فقهياً إلى أبي عبدالله المهاجر، وعملياً إلى أطروحات أبي بكر الناجي، كان الجولاني يستند – نظرياً وعملياً – إلى أطروحات أبي

---

(١١١) لمزيد من التفصيل، انظر: الملف الجامع لجمعة كلنا جبهة النصرة، على الرابط: http:// shame210.wordpress.com/2012/12/21/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B9-%D9%84%D8%AC%D9%85%D8%B9%D8%A9-%D9%83%D9%84%D9%86%D8%A7-%D8%AC%D8%A8%D9%87%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5%D8%B1%D8%A9%E2%96%8C/.

(١١٢) تشارلز ليستر، الأزمة مستمرة، تحليل المشهد العسكري في سوريا، مركز بروكنجز الدوحة، موجز السياسة، مايو ٢٠١٤، ص ٢، على الرابط: http://www.brookings.edu/~/media/research/files/papers/ 2014/05/19%20syria%20military%20landscape%20lister/ syria%20military%20landscape%20arabic.pdf.

مصعب السوري، ويستند المسؤول الشرعي السابق للنصرة، أبو مارية القحطاني، إلى المرجعية نفسها، وينحاز -كذلك- إلى أطروحات عطية الله الليبي، فقد شكلت آلية العمل أحد خطوط التصدع والاختلاف بين الفرع العراقي والنصرة، كما مثلت موضوعة مركزية التنظيم[١١٣]، التي كان يدافع عنها "أبو بكر الناجي" في كتابه " إدارة التوحش"[١١٤]، في مقابل استراتيجية "اللامركزية"، التي تبناها "أبو مصعب السوري"، في كتابه "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية"[١١٥]، وجهاً آخر للخلاف بين الطرفين.

لقد حمل التشابه، وأحياناً التطابق بين أفكار أبي محمد الجولاني وأطروحات أبي مصعب السوري بعض الكتّاب والباحثين إلى القول بأنهما شخص واحد[١١٦]، إلا أن ذلك غير صحيح، إنما تبنّى الجولاني بدرجة كبيرة أفكار أبي مصعب السوري، الذي بات يشكل السلطة المرجعية الأساسية عملياً لتنظيمه، لأسباب عديدة ومن أهمها قناعة الجولاني بصواب نهج

---

(١١٣) لمزيد من التفصيل حول تفضيل المركزية واللامركزية لدى الجهاديين، انظر: ديفيد جارتينستين روس وكايل دابروزي: هل لا تزال القيادة المركزية للقاعدة مترابطة؟، ترجمة صادق أبو السعود، مركز القدس للدراسات السياسية، على الرابط:

http://alqudscenter.org/arabic/

pages.php?local_type=128&local_details=2&id1=706&menu_id=10&cat_id=10.

(١١٤) أبو بكر ناجي، إدارة التوحش. بدون تاريخ، ص٢٦، على الرابط: http://www.tawhed.ws/a?a=chr3ofzr

(١١٥) أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، طبعة ذي القعدة ١٤٢٥هـ/ ديسمبر ٢٠٠٤م، ص ٨٩٦ . على الرابط: http://www.tawhed.ws/a?a=hqkfgsb2.

(١١٦) ذهب إلى هذا الرأي حازم الأمين، وتبعه في ذلك ياسين سويحة، وغيره، - أشيع أن السلطات السورية اطلقت سراحه بعد الثورة، وهو غير صحيح - إذ يقول الأمين: "فالوثيقة غير المنشورة التي على أساسها كلفت "القاعدة" في العراق أبو محمد الجولاني تأسيس "النصرة"، ثم تراجعت بعدما شعرت بسعيه إلى الاستقلال بتنظيمه السوري، زُعم أن الجولاني كتبها في بداية ٢٠١٢، وهو التاريخ الذي سُرب فيه خبر إطلاق أبو مصعب السوري من سجون النظام. والحال أن تشابهاً لا يمكن تفاديه بين لغة الوثيقة ولغة كتاب أبو مصعب السوري الشهير "المسألة السورية"، وهو تشابه في اللغة ومتانة العبارة والمعرفة الموسوعية بالحروب والنزاعات والفروق بينها. لا بل إن أخطاء لغوية محددة سقط الكاتبان المزعومان فيها نفسها، فهما يعتمدان مثلاً "ال" التعريف للمضاف بدل المضاف إليه كأن يكتبا "من الغير مؤكد" بدلاً من "من غير المؤكد". ووثيقة تأسيس "النصرة" التي انقلبت "داعش" عليها تعتبر الوثيقة السياسية والعسكرية الوحيدة التي انبثقت من النزاع في سورية بعد نجاح النظام في عسكرة الثورة. فكاتبها الذي من المفيد والمسلي أن نُجازف بالاعتقاد أنه هو نفسه أبو مصعب السوري". حازم الأمين، وثيقة عن "الحرب المرغوبة" بين "داعش" والنظام، صحيفة الحياة، ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣ .

السوري وصلاحيته للتطبيق في سورية، وثانياً لملائمة ذلك للنزعة البراغماتية وسياسات التكيّف مع الشأن المحلي الوطني للجولاني، فضلاً عن انتمائهما معاً للهوية السورية المشتركة، فقد كانت استراتيجية جبهة النصرة تتجه نحو "سورنة" التنظيم أولاً، و"شومنته" ثانياً، أما البعد الأممي العالمي فقد كان يضمر ويضعف.

التأثر الملحوظ من قبل الجولاني والنصرة بآراء أبي مصعب السوري يدفع بنا لمزيد من التوضيح لأفكاره ورؤيته الأيديولوجية والعملية؛ فهو يُعتبر أحد منظري السلفية الجهادية العالمية، وقد طوّر رؤيته الخاصة بالاستناد إلى تراث السلفية الحركية الإخوانية، ممثلة بسيد قطب وعبدالله عزام، مروراً بمروان حديد، والاتكاء على مفهوم "حرب المستضعفين"[(١١٧)]، الذي أرسى قواعده التراث الماركسي الثوري المتعلق بحرب العصابات والأنصار، وتنظيرات ماو تسي تونغ وتشي غيفارا.

وتعد كتابات السوري السلطة المرجعية الأساسية للجولاني وجبهة النصرة، وخصوصاً، كتبه: "ملاحظات حول التجربة الجهادية في سورية"، و"أهل الشام في مواجهة النصيرية والصليبية واليهود"، وكتابه الأهم "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية"، الذي يؤسس لبناء "سرايا المقاومة الإسلامية"، ومفهوم الجهاد الفردي (الذئاب المنفردة)، وتحويل الجهاد إلى مشروع أمة، من خلال إنشاء خلايا يجمع بينها الفكر والعقيدة والهدف دون أن تكون في تنظيم يعتمد على هيكلة التنظيمات التقليدية. إذ تنشئ فكرة السرايا، وفقاً للسوري، نظاماً للعمل أكثر من كونها تنظيماً، لتشكل شبكة تُجمع من خلالها نتائج العمل الجهادي بأكمله، وتكون هذه السرايا مرنة بحيث تتعاون مع الآخرين دون فرض البيعة أو الولاء، واستقطاب الفاعلين المحليين، ويكون هدفها "دفع الصائل" عبر آليات المقاومة العسكرية دون التسرع في مشروع إقامة الدولة الإسلامية أو إعلان الخلافة.

---

(١١٧) قام أبو مصعب السوري بشرح أحد أهم الكتب التي تناولت "حرب المستضعفين"، وله تسجيلات صوتية في شرح الكتاب، وهو يعتمد عليه بصورة أساسية في كتابه "دعوة المقاومة"، انظر: روبرت تابر، حرب المستضعفين: دراسة كلاسيكية في حرب العصابات، تعليق الشيخ أبي مصعب السوري، على الرابط:
http://alplatformmedia.com/vb/showthread.php?t=20998

تقوم نظرية المقاومة، لدى أبي مصعب السوري، على جملة من الآليات للوصول إلى: "الهدف الاستراتيجي للمقاومة وهو صد الحملات، وجمع الأمة على ذلك، تحت شعار الجهاد ومنهج الإسلام"(١١٨)، فالمادة (١) تنص على أن: "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ليست حزباً، ولا تنظيماً، ولا جماعة محدودة محددة. فهي دعوة مفتوحة. هدفها هو دفع صائل القوى الاستعمارية الصليبية الصهيونية الهاجمة على الإسلام والمسلمين. ويمكن لأي تنظيم أو جماعة أو فرد اقتنع بمنهجها وأهدافها وطريقتها، الدخول فيها، بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر. فهي معركة الأمة المسلمة وليست صراع النخبة المجاهدة فقط"(١١٩).

في هذا السياق يدعو السوري إلى عدم الانشغال في التصدي بالقتال لمظاهر الفساد والفسوق والعصيان والبدع، وينبه إلى ثلاث مسائل رئيسة:

- حرمة دم المسلم، ولو كان فاسقاً عاصياً، مهما تلبس به من ذلك ما لم يكفر.
- تنفيذ الحدود والأحكام الشرعية على مرتكبيها من أفراد المسلمين هو للإمام الشرعي الممكّن، وهو ليس موجوداً الآن، وإنما هدف المقاومة بعد دفع الصائل هو إقامته.
- الهدف الآن والفريضة الشرعية الأولى، هو دفع الصائل الكافر عن ديار المسلمين(١٢٠).

وتنص المادة ٢٠ على أن: كل مسلم يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، ضمن دائرة الإسلام العامة التي دعاها الفقهاء (أهل القبلة). وتعتبر الخلافات العقدية والمذهبية والطائفية مردها لأهل العلم للفصل فيها، وأن مجالات ذلك هي الحوار بالحق، والبيان

(١١٨) أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، مرجع سابق، ص ٩٨٢ .

(١١٩) المرجع السابق، ص ١٠٢٢ .

(١٢٠) المرجع السابق، ص١٠٣٠ ـ ١٠٣١ .

بالحكمة والموعظة الحسنة. وتنهى عن الفتن والاقتتال بين المسلمين. وتدعو كل المسلمين من أهل القبلة؛ مذاهب وجماعات وأفراد إلى التعاون على دفع الصائل وجهاد العدو الكافر الذي يدهم بلاد المسلمين. وتدعو الجميع إلى نبذ دواعي الاحتراب الداخلي(١٢١).

لا نحتاج إلى مستوى عميق من تحليل الخطاب وتفكيكه كي نُمسك بحجم التأثر والتماهي من قبل الجولاني مع ما يطرحه أبو مصعب السوري، فقد استخدم ألفاظه وتراكيبه أحياناً كثيرة، لاحظوا قول الجولاني "وعلى كل فرد من أفراد الجبهة الاّ يَقْصُرَ ولاءه على أفراد الجماعة فحسب، فنحن لسنا حزباً سياسياً، بل جبهه تعني بشؤون المسلمين عامه، وبردٍّ حقوق المظلومين من الناس، ولذا فالحفاظ على طيب العلاقة مع الجماعات الاخرى، وحسن معاملتهم وغض الطرف عن أخطائهم هو الأساس، ما لم يبدِّلوا"(١٢٢).

الأمر نفسه يظهر في تشديد الجولاني على مبادئ "حرب المستضعفين والأنصار"، إذ يقول: "يوماً بعد يوم، أنتم تقتربون خطوات أكثر من الناس، وقد دخلتم قلوبهم وأصبحتم محل ثقتهم، وما ذاك الا لما رأوا من صدق دعوتكم وعظيم تضحيتكم وطيب معشركم وأمانتكم وحسن خلقكم، فإن هذا يستوجب منكم مزيداً من الإحسان والعطف عليهم، فبقدر ما تملكون من شده على أعداء الله لا بد أن يقابِل هذه الشدة ما يوازيها من العطف والحنان على عباد الله المسلمين... وحذارِ حذارِ أن تشددوا عليهم.. ولتكن دعوتكم إياهم بأوليات الدعوة وأسسها، دون التصلب بالفروع"(١٢٣).

فوق ذلك نجد أن زعيم النصرة يؤكّد على مبادئ دعوة المقاومة، التي

---

(١٢١) المرجع السابق، ص ١٠٢٩ .

(١٢٢) أبو محمد الجولاني، أهل الشام فديناكم بأرواحنا، كلمة صوتية مفرغة، على الرابط: http://alplatformmedia.com/vb/showthread.php?t=17501

(١٢٣) المرجع السابق.

وضعها أبو مصعب السوري "وإنّا لندعو جميع الفصائل المقاتلة على الأرض الساعية لإحلال عدالة الإسلام ونصرة الشريعة في الشام، بأن نتعاهد ونتواصى جميعاً على الحفاظ على مسار الجهاد في الشام من أن ينحرف لغير جادّة الإسلام، وأنْ نحشِد جميع جهودنا المتظافرة للوصول للهدف الأسمى لإقامة حكم إسلامي راشدٍ على الأرض المباركة. وأنْ نُخلّص أرضنا من أيّ هيمنة غربيّة أو شرقيّة ظالمة، وأنْ نعدل بين الناس وننتصر للمظلوم من الظالم، ونردّ الحقوق لأهلها ونسعى لإحلال الأمن بين أبناء أمّتنا. وأنْ لا يسعى كُلٌّ منا لأنْ يستأثر بالحكم بحجة أنه قد قدّم وضحّى، فإنّ الشام كلّ الشام قد ذاقت من ويلات الحرب ما ذاقت، وأن نأخذ بعين الاعتبار أن الساحة الشامية مليئةٌ بالكوادر والطاقات المدفونة قصراً (التربوية والصناعية والتقنية)، و أنّها جميعاً يجب أن يُشكّل منها فريق متكامل للنهوض بالأمة للرفعة والسمو"(١٢٤).

النصوص السابقة تحمل أهمية كبيرة ليس فقط في أنّها تكشف عن التأثير العميق لأفكار أبي مصعب السوري على الجولاني وتنظيمه، بل أيضاً في أنّها تفسّر - إلى درجة كبيرة- الاختلاف في رؤية الجولاني وجبهته عن تنظيم الدولة، فهو يؤكد على أهمية التعاون والتنسيق مع الفصائل الأخرى، وعدم احتكار السلطة أو الحكم (بعكس مبادئ إدارة التوحش التي تحكم تنظيم الدولة)، وعلى ضرورة التقرّب إلى المجتمع المحلي وعدم الاصطدام معه، بخاصة إذا قارنّا هذه "المرجعية الفكرية" بتأثير أبي عبدالله المهاجر على الفرع العراقي ليتضح لنا البون الشاسع بين المرجعيتين؛ لكل من النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية.

وإذا تتّبعنا الخيط الذي يصل الجولاني بأبي مصعب السوري، فسنجد أنّ السلطة العلمية المرجعية لجبهة النصرة تستند أساساً إلى السلفية

---

(١٢٤) أبو محمد الجولاني، وقابل الأيام خير من ماضيها، كلمة صوتية مفرغة، على الرابط:
https://www.alplatformmedia.com/vb/showthread.php?t=26070

الحركية، التي نشأت من رحم جماعة الإخوان المسلمين، فهي -في الأصل- تتبع المدرسة الجهادية، التي وضع أصولها النظرية سيد قطب، وأخذ بها أيمن الظواهري، زعيم جماعة الجهاد المصرية والقاعدة لاحقاً، وتبّناها مروان حديد، مؤسس جماعة "الطليعة المقاتلة" في سورية، وبلور أطروحاتها عبدالله عزام، الأب الروحي للأفغان العرب في أفغانستان، وطور مستنداتها أبو مصعب السوري في الشتات، وربما من يساعدنا على الإمساك بهذا الخيط المهم هو المسؤول الشرعي الحالي لجبهة النصرة الدكتور سامي العريدي، الذي يؤكد على ذلك بوضوح في بيان منهج الجماعة، فهو يقول في لقاء بعنوان "منهجنا وعقيدتنا": "ننصح بقراءة كتاب "معالم في الطريق" لسيد قطب رحمه الله، وكتاب "لا إله إلا الله عقيدةٌ وشريعةٌ ومنهاجُ حياة" للشيخ محمد قطب.. ومن مراجعنا المعاصرة "الشيخ حمود بن عُقلاء الشعيبي" و"الشيخ عبد الله عزام" تقبلهم الله عز وجل"[(١٢٥)].

لقد أخذت السلطة المرجعية لجبهة النصرة تُرسِّخ اختياراتها عبر الجذر السلفي الحركي الإخواني، ما اتضح مع شخصية المسؤول الشرعي السابق للنصرة منذ تأسيسها، أبي مارية القحطاني، وهو أحد أبناء الفرع العراقي، الذين غادروا التنظيم والتحقوا بالنصرة منذ بداياتها، وقد دخل إلى سورية مبكراً في حزيران/ يونيو ٢٠١١، وعمل بمفرده، ثم التقى بالجولاني، وتولى منصب المسؤول الشرعي العام للنصرة، وقائداً عسكرياً للمنطقة الشرقية.

يجمع القحطاني في تكوينه الجهادي بين مصادر متنوعة، ومن أهمها عبدالله عزام وأبي مصعب السوري، إلا أن معظم خياراته الفقهية الأخيرة تستند إلى عطية الله الليبي، فهو يقول "أعتذر من كل مسلم تكلمنا فيه يوم

(١٢٥) الدكتور سامي العريدي، منهجنا وعقيدتنا، مقابلة مع مؤسسة المنارة البيضاء للإنتاج الإعلامي، على الرابط:

http://www.shabakataljahad.com/vb/showthread.php?p=87159

كنت أحمل الأفكار الدولاوية، ورحم الله الشيخ عطية الله الليبي الذي كان لكتبه ورسائله الدور الكبير في عودتي للحق"(١٢٦).

٥- أزمة بنيوية

كانت الخلافات بين جبهة النصرة وتنظيم دولة العراق الإسلامية تتسع، نظراً لاختلاف السلطة المرجعية للطرفين، ففي الوقت الذي كانت جبهة النصرة تتجه نحو مزيد من البراغماتية السياسية، والتكيّف مع الشأن المحلي السوري، كان الفرع العراقي، تنظيم الدولة الإسلامية، يتجه نحو مزيد من التصلب الإيديولوجي والتشدد الهويّاتي السُنيّ، وعندما فشلت مساعي احتواء الخلاف، بادر أبو بكر البغدادي أمير "الدولة الإسلامية في العراق" في التاسع من نيسان/ أبريل ٢٠١٣، إلى الإعلان عن ضم "جبهة النصرة" في سورية إلى دولته لتصبح "الدولة الإسلامية في العراق والشام"(١٢٧).

كشف الإعلان عن الخلافات التاريخية بين الفرع والمركز، التي تم احتواؤها إبان زعامة بن لادن، إذ تطور الخلاف بعد أن أصدر زعيم "جبهة النصرة"، أبو محمد الجولاني، في اليوم التالي لإعلان الدمج في العاشر من نيسان/ أبريل خطاباً يرفض فيه الامتثال للدمج والانضمام لتنظيم "الدولة"، معلناً ارتباطه بالتنظيم المركزي للقاعدة وإعلان بيعته الصريحة للظواهري(١٢٨)، وباتت التسمية الرسمية للتنظيم: "جبهة النصرة ـ تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الشام".

سنرحِّل الحديث عن المسار المتدحرج للخلافات بين النصرة وتنظيم

---

(١٢٦) أبو مارية القحطاني، تغريدات جمعها الثبات، على الرابط: http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=368821

(١٢٧) انظر: أبو بكر البغدادي، كلمة صوتية بعنوان: وبشر المؤمنين، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=6MuZrcxvL_w

(١٢٨) انظر: أبو محمد الجولاني، إعلان البيعة لتنظيم القاعدة وبيعة الظواهري، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=_eB3AfI3hgA

الدولة وموقف زعيم تنظيم القاعدة المركزية، أيمن الظواهري، وما أسفر عنه الانفصال ثم الاقتتال بين "الأشقاء"، إلى الفصل القادم من الكتاب، لكن ما يهمنا هنا هو أنّ محاولات رأب الصدع انتهت إلى نتائج عكسية، فتأججت الخلافات وتحوّلت إلى صدام دامٍ على الأرض، وأدخلت النصرة في أزمة مركّبة.

في الأيام التالية جرت الرياح بما تشتهي "الدولة الإسلامية" مع قدرتها على التمدد والتوسع في العراق، واستلام المبادرة العسكرية في سورية، وتمكّنها من تحقيق انتصارات عسكرية عديدة في مواجهة الفصائل الأخرى، بما فيها جبهة النصرة.

وقد حملت الرياح نفسها بذور أزمة كبيرة دخلت فيها جبهة النصرة، تجلت هذه الأزمة بفشل سياسات أبي مارية القحطاني المعادية لتنظيم الدولة والمتصالحة مع فصائل الثورة السورية، وخسارة المنطقة الشرقية في معارك عسكرية أمام تنظيم الدولة، وبروز حالة التصدّع الداخلي مع انشقاق مجموعات كبيرة وانضمامها إلى الدولة، وبعد إعلان الخلافة وانكشاف الخلاف بين التنظيمين؛ عملت جبهة النصرة على إعادة بناء هيكليتها التنظيمية، فاستبعدت القحطاني وعيّنت سامي العريدي مسؤولاً شرعياً[(١٢٩)].

حاولت قيادة النصرة الخروج من الأزمة الأيديولوجية والعسكرية وتصليب الحالة الداخلية عبر البحث عن آلية فعّالة، فأخذت تفكر في تأسيس "إمارة"، إلا أن الانقسامات داخل الجبهة وتصدعها، وخسارتها للعديد من أفرادها والتحاقهم بتنظيم الدولة، وانحسار مناطق نفوذها وسيطرتها، والتباس هويتها، جعلها مترددة.

---

(١٢٩) قدمت النصرة العريدي باعتباره "الشرعي العام في جبهة النصرة" في اليوم الثاني من عيد الفطر، ٣٠ تموز/ يوليو ٢٠١٤، حيث نشرت مؤسسة البصيرة الإعلامية التابعة لجبهة النصرة فيديو خطبة وصلاة عيد الفطر للدكتور سامي العريدي، انظر: خطبة عيد الفطر المبارك ١٤٣٥هـ للدكتور سامي العريدي حفظه الله، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=IChOHMGpOB0

وبالرغم من الإعلان عن تأسيس "إمارة الشام الإسلامية"، على لسان الجولاني، زعيم جبهة النصرة، في تسجيل صوتي مسجل (في ١١ تموز/ يوليو ٢٠١٤)[(١٣٠)] أرادت له النصرة أن يظهر كتسريب (إذ لم يصدر عن المؤسسة الإعلامية المعتمدة رسمياً لدى النصرة وهي مؤسسة "المنارة البيضاء"، وهي خطوة مقصودة في سياق الإشارة إلى نهج النصرة التي تؤكد على التزامها بالشورى وعدم الانفراد باتخاذ القرار)؛ إلا أن ذلك كشف بدوره عن خشية قيادة النصرة من التصدع على صعيد مكوناتها السورية المحلية، ومن فقدان التأييد والدعم والإسناد الجهادي العالمي.

تبدت بعض وجوه أزمة النصرة في أنّها في الوقت الذي كانت تعمل فيه على التكيّف مع المجتمع المحلي وتسعى إلى عدم الاصطدام مع الفصائل الإسلامية والوطنية المسلحة، وتقديم صورة مختلفة عن الفرع العراقي المتمرد، كانت تكتيكاتها في جلب الأنصار المحليين قد استنفدت غاياتها وارتدت مع طول أمد الصراع إلى تنامي خسارتها للجهاديين القادمين من الخارج، وهجرتهم المستمرة باتجاه خصمها العنيد؛ دولة البغدادي.

هاجس الجهاد العالمي والصراع على احتكار تمثيل تنظيم القاعدة بدا واضحاً في التسجيل الصوتي المسرّب حول تأسيس الإمارة، الأمر الذي يثبت أن التسجيل لم يكن عفوياً وكان معداً بدقة، فقد ظهر الجولاني وسط حشد من أنصاره ومؤيديه، الذين قاطعوه مراراً بالتهليل والتكبير، وبالإعلان: "كلنا قاعدة.. كلنا أسامة.. كلنا ظواهري.. كلنا جولاني"، وحتى يكتمل مشهد شرعية التمثيل الجهادي العالمي والمحلي وتدشين اندماج الأبعاد ظهر صوت الشيخ أبي فراس الشامي، وهو جهادي عالمي ورفيق المنظر الجهادي العالمي، أبي مصعب السوري، مخاطباً الحشد بقوله "بلا إطالة ومقدمات وتعريف، الكلمة الآن لشيخنا وأميرنا الفاتح أبو محمد الجولاني".

---

(١٣٠) أمير جبهة النصرة الفاتح أبو محمد الجولاني يبشّر بقيام إمارة إسلامية في الشام، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=ASrci6pH00s

وبحسب مصادر النصرة الموثوقة، فقد حضر خطاب إعلان الإمارة التي جرت في ريف حلب خلال مبايعة كتيبة صقور العز للشيخ الجولاني، الجهادي السعودي المعروف الشيخ الدكتور عبدالله المحيسني وعدد من رموز الجهاد المحليين والعالميين(١٣١).

على الرغم من محاولة إظهار الإعلان عن تأسيس الإمارة في الشام عفوياً، إلا أن خطاب الجولاني كان معداً بعناية، يحدّد معالم المرحلة المقبلة، حيث بدأه بالقول: "آن الأوان.. لأن نقيم إمارة إسلامية على أرض الشام، نطبّق حدود الله عز وجل، ونطبّق شرعه بكل ما تقتضيه الكلمة من معنى، دون تهاون أو استهانة أو مواربة أو مداراة... تحفظ حقوق المسلمين وتصون حرماتهم"(١٣٢).

هذا التسجيل المسرّب حمل أكثر من دلالة، فهو يتجاوز التفكير في إقامة إمارة، بعدما أعلن البغدادي عن خلافته في بغداد، بل يشير إلى ملامح الاستراتيجية الجديدة لجبهة النصرة، إذ تدشن شرعية مشروعها وتبرز هويتها السلفية الجهادية القاعدية، دون مواربة ومداراة كما كانت تفعل سابقاً، ولا تلتفت إلى رضى أحد غير الجهاديين.

ومن الواضح أنّ خطاب الجولاني ومن ورائه مسار الجبهة قد أصبحا مسكونين بمنطق الصدام مع مشروع الدولة الإسلامية، ومرتبكين من إعلان البغدادي نفسه خليفة للمسلمين؛ فلم يتردد الجولاني من القول: "هذا الخليفة (أبو بكر البغدادي) باطل، حتى لو قام بإعلان الخلافة ألف مرة، لا يجب على أي أحد أن ينخدع بهذا الأمر"، ووصل إلى حدّ توجيه اتهامات للتنظيم المنافس بقوله: "خلافة تقام على هدم مشروع جهادي تحلم فيه الأمة منذ ١٤٠٠ عام، خلافة تقوم على من أعان النظام في قتالكم، هي خلافة ساقطة ولو أعلنوها ألف مرة"(١٣٣).

(١٣١) معلومات خاصة حصل عليها الباحثان من أحد قيادات جبهة النصرة، الذي فضّل عدم ذكر اسمه، عبر التواصل من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، ١٥ تموز / يوليو ٢٠١٤ .

(١٣٢) أمير جبهة النصرة الفاتح أبو محمد الجولاني يبشّر بقيام إمارة اسلامية في الشام، مرجع سابق.

(١٣٣) المرجع السابق.

وبحسب كلام الجولاني؛ فإن استراتيجيات الإمارة لفرض سيطرتها المكانية ستدخل حيز التنفيذ "في غضون أسبوع سيكون هناك محاكم شرعية في المناطق المحررة.. وسيكون هناك جيش وإمارة، وسيتم تقسيم الجيوش إلى كتائب وسرايا، وسيكون هناك جيش في حلب، وجيش في إدلب.. إخوانكم في درعا سيلتحقون بكم. والأمر كذلك في الغوطة المحاصرة"، والغاية النهائية تتلخص بجمع الإمارات المتناثرة في إمارة موحدة تنتهي بتشكيل جيش، "بعد ذلك سيكون جيش عرمرم، يضرب اليهود ويتحدى الكل"[(١٣٤)].

جاءت الاستراتيجية الجديدة، أو بعبارة أدق، التحول في منظور النصرة الأيديولوجي، بعدما أعلن الفرع العراقي المتمرد على القاعدة عن قيام دولة "الخلافة" (كما سيأتي لاحقاً)، وحدوث حالات من الانقسام والتشرذم والتصدع في صفوف النصرة، وفشل السياسات اللينة في التعامل مع جماعة الدولة، وعدم فعالية سياسة حرب الأنصار، وضمور كفاءة التكيفات مع المجتمع المحلي، وضعف التنسيق مع الجماعات الأخرى، وعدم الجدوى من سياسات توحيد الحركات الجهادية، واستحالة رضا المجتمع الإقليمي والدولي.

ربما تلك الإخفاقات تختزل حجم الأزمة البنيوية التي دخلت فيها الجبهة في تذبذب هويتها الفكرية والسياسية بين الاعتبارات المحلية والوطنية التي تشترك فيها مع الفصائل الإسلامية السورية الأخرى من جهة، والتزامها الرسمي بالإطار الأيديولوجي للسلفية الجهادية والتنظيمي للقاعدة مع ما تحمله هذه الالتزامات من اعتبارات عالمية وإقليمية تضعها في مواجهة ليس فقط مع النظام السوري، بل مع الولايات المتحدة والغرب، حتى وإن لم تتبنّ أي عملية ضد مصالح تلك الدول.

---

(١٣٤) المرجع السابق.

على الأغلب ما يقف وراء إرهاصات هذا التحول لدى الجولاني هي قناعة جديدة بأن استراتيجية "سورنة" النصرة وتكيّفها مع المجتمع المحلي، من خلال الاعتماد على ظاهرة "الأنصار"، وهي أحد اجتهادات تنظيم القاعدة عقب ثورات الربيع العربي، لم تفلح سوى في مراحلها الأولى واستنفذت أهدافها، ودلالة ذلك معاناة النصرة وتراجعها في مقابل صعود تنظيم الدولة الإسلامية وتمدده.

في نهاية المطاف، عكس الخلاف بين نهج الجولاني والبغدادي وطبيعة الجدل والنقاش بين الطرفين الفجوة الواسعة بين نهجين متضاربين حول مستقبل العمل الجهادي. فقد كان خطاب النصيحة الناعم يهيمن على أطروحات فريق الجولاني مطالبين برأب الصدع وتحكيم العقل والعودة إلى الأصول المؤسسة للسلفية الجهادية وممثلها الأبرز تنظيم القاعدة، أما فريق البغدادي فقد هيمن خطاب القوة الصلبة على مقالاته مطالباً بالانحياز للدولة وأميرها ومستخفّاً باجتهادات خطاب النصيحة باعتبارها تتوافر على أخطاء شرعيّة ومغالطات تاريخية.

غياب التجانس الإيديولوجي وتخلخل التماسك التنظيمي وحجم الارتباك لدى الجبهة كل ذلك ظهر جلياً في اليوم التالي لتسريب شريط إعلان الإمارة، فبتاريخ ١٢ تموز/ يوليو أصدرت جبهة النصرة بياناً تنفي فيه إعلان الإمارة، لكنها أكدت على "إنَّ مشروع جبهة النصرة من أول يوم أُسست فيه هو إعادة سلطان الله إلى أرضه وتحكيم شريعته، وإننا نسعى لإقامة إمارة إسلامية وفق السُنن الشرعية المعتبرة ولم نعلن عن إقامتها بعد، وفي اليوم الذي يوافقنا فيه المجاهدون الصادقون والعلماء الربانيون سنعلن عنها بإذن الله"(١٣٥).

لقد كشف شريط إعلان الإمارة وبيان نفيها في اليوم التالي عن

(١٣٥) بيان توضيحي حول ما أشيع عن إعلان جبهة النصرة لإمارة إسلامية، مؤسسة المنارة البيضاء للإنتاج الإعلامي، ٢٠١٤/٧/١٢، على الرابط: http://justpaste.it/g7bl

هشاشة التنظيم، وعدم توافر الانسجام والتجانس اللازم لاتخاذ قرارات حاسمة، الأمر الذي سيتكرر في مناسبات وبيانات لاحقة.

٦- التراجع والانحسار: البحث عن استراتيجية بديلة

كان واضحاً، خلال الأشهر الأخيرة من العام ٢٠١٤، أنّ النصرة بدأت تعاني من انعكاسات الأزمة الداخلية وتواجه حالة من التراجع والانحسار أمام تنظيم الدولة الإسلامية.

أدركت قيادة النصرة خطورة هذه الأزمة، فعمل الجولاني على نسج تحالفات جديدة لمواجهة أخطار دولة البغدادي، فقد أعلنت ثلاثة تنظيمات "جهادية" عن تأسيس غرفة عمليات مشتركة في حلب، باسم "الغرفة المشتركة لأهل الشام"، وتضم "جبهة النصرة"، و"الجبهة الإسلامية" و"جيش المجاهدين"، لكن ذلك لم ينجح في الحد من تقدم تنظيم الدولة الإسلامية، الذي بدأ بتوسيع نطاق سيطرته المطلقة على المناطق الشمالية الشرقية.

ومن المفيد هنا الإشارة إلى أنّ عمليات سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية على المنطقة الشرقية ومعقل النصرة في دير الزور مرّت بمراحل عديدة بدأت منذ شباط/ فبراير ٢٠١٤، لكن صمود جبهة النصرة في دير الزور تحت قيادة المسؤول الشرعي للنصرة والقائد العسكري للمنطقة الشرقية أبو مارية القحطاني، وفي بلدة الشحيل، التي كانت تعتبر المقر الرئيسي لجبهة النصرة، لم يكن كافياً لصد هجمات تنظيم الدولة الإسلامية، ومع حلول شهر تموز/ يوليو ٢٠١٤، كان تنظيم الدولة يحكم سيطرته على المنطقة الشرقية، مع انسحاب القحطاني وجنود النصرة نحو مدينة درعا في الجنوب السوري، بعد اتهامه لقيادة النصرة والفصائل المسلحة الأخرى بالتخاذل والتهاون في المعركة وعدم النصرة.

كشفت خسارة جبهة النصرة للمنطقة الشمالية الشرقية، عن ضعف البناء الهيكلي للتنظيم وعدم التجانس الإيديولوجي، فقد كان المسؤول

الشـرعي وقـائد المنطقـة الشـرقيـة أبو مـارية القـحطاني يعـمل بشكل شبـه مستقل، كما كان الأمراء الآخرون، وكانت استراتيجيته في المنطقة الشرقية تعتمد على القبائل والعشائر في المنطقة، التي كانت سلطتها أكثر فعالية ونفوذاً، ففي دير الزور ومنطقة الشحيل هيمن المنظور القبلي، وكان التنسيق مع الفصائل الأخرى أكثر، وتكاد الفروق تتلاشى بين الفصائل الإسلامية المسلحة، فاعتمدت النصرة في إدارتها وقضائها على المحاكم المشتركة مع الفصائل الإسلامية والهيئات الشرعية الأخرى.

كما برهنت خسارة جبهة النصرة لمناطق نفوذها في المناطق الشمالية والشرقية، على أنّ النفوذ الأكبر للتنظيم كان في المناطق الجنوبية، فقد كان التنظيم أكثر استقلالية وأشد تماسكاً، حيث يفرض وجوده ويؤسس محاكمه وهيئاته القضائية منفرداً، والتي تطال أحكامها بعض فصائل الجيش الحر، وقد ظهر ذلك جلياً عندما اعتقلت رئيس المجلس العسكري في درعا العقيد الركن أحمد فهد النعمة، (في ٣ أيار/ مايو ٢٠١٤).

بدت جبهة النصرة مع حالة التراجع والانكماش والتقوقع في المناطق الجنوبية أكثر حزماً مع الفصائل المسلحة المختلفة بعد خساراتها المتلاحقة لصالح تنظيم الدولة الإسلامية، فقد اعتقل التنظيم عدداً من قادة الجيش الحر، وقام باعتقال قائد لواء الحرمين شريف الصفوري تموز/يوليو ٢٠١٤، كما كثّف من سيطرته عبر سلسلة من الحواجز الأمنية، وزيادة حجم خدماته المحلية وفرض منظوراته الإيديولوجية من خلال الدروس والدورات الشرعية.

أصبحت درعا المقر الأساسي، وقد مثّلت منذ تأسيس التنظيم المعقل الرئيس له، وهي التي نزح إليها من تبقى من قيادات النصرة وعناصرها في المناطق الأخرى. السبب الرئيس في صلابة التنظيم وتجانسه في درعا يعود إلى طبيعة مكوّناته هناك، على الصعيدين الهيكلي التنظيمي والإيديولوجي

الفقهي، إذ ينتمي معظم أعضائه إلى سوريين من المجتمع المحلي منسجم مع التركيبة الاجتماعية للمنطقة، وإلى المكون الأردني الفلسطيني الأكثر حضوراً وتأثيراً والقريب من ذات البنية الاجتماعية، إذ تنتمي القيادات الكبرى للنصرة في درعا إلى هذا المكوّن، أمثال: أبو جليبيب، إياد الطوباسي، أمير النصرة في درعا، والدكتور سامي العريدي، وهو المسؤول الشرعي العام لجبهة النصرة في درعا، وأبو أنس الصحابة (مصطفى عبد اللطيف)، أحد الأمراء الكبار في التنظيم.

٧- الخاتمة

بالرغم من الصعود السريع والملحوظ لجبهة النصرة في المشهد السوري، إلاّ أنّها حملت في جذورها التأسيسية مشكلة الهوية الملتبسة بصورة مزدوجة:

الالتباس الأول بين المحلي والعالمي؛ فهي أولاً عملت على تجنب الإعلان عن انتمائها للقاعدة، وعملت كأنّها فصيل محلي سوري، تعاونت مع الفصائل الإسلامية الأخرى، ولم تحاول فرض هيمنتها وسيطرتها على الفصائل الأخرى، لكنّها وقعت في إشكالية صراعات القاعدة العالمية، والموقف الدولي منها، الذي يصفها بالإرهاب، فأعلنتها الإدارة الأميركية منظمة إرهابية في نهاية العام ٢٠١٢، ما خلق لها جملة من المشكلات، وبالرغم من وقوف مختلف فصائل الثورة السورية معها ضد القرار الأميركي السابق، إلاّ أنّ هذا الموقف اهتزّ مع اعتراف الجولاني بانتمائه للقاعدة المركزية وبيعته لأيمن الظواهري، ما سبّب حرجاً لدى الفصائل الأخرى، بخاصة تلك التي تحصل على دعم دولي وإقليمي، ولا تريد خسارة الحلفاء الغربيين بسبب علاقتها بالنصرة.

مع ذلك بقيت النصرة مصرّة على التعامل مع هذه التوازنات الدقيقة،

واستمرت علاقتها الجيدة بفصائل إسلامية، بل دخلت إلى جانبها في المواجهة مع تنظيم الدولة الإسلامية، واستمرت على نهجها الرئيس في تجنب الاصطدام بالفصائل المحلية والإسلامية المختلفة، إلاّ أنّ شمول النصرة بالضربات الأميركية والغربية أدّى إلى تعزيز إشكالية العلاقة بين المحلي والعالمي في هويتها وشخصيتها الأيديولوجية والسياسية، واضطرت لاحقاً إلى الصدام المسلح مع فصائل محلية عديدة.

أمّا الالتباس الثاني، والأكثر تأثيراً على الجبهة، فيتمثل في موقعها من الأزمة بين القاعدة المركزية وتنظيم الدولة الإسلامية، فكما وجدنا بالرغم من أنّ النصرة تأسست بإشراف من الفرع العراقي وبدعمه وإسناده، إلاّ أنّ زعيمها الجولاني رفض قرار البغدادي لاحقاً (نيسان/ أبريل٢٠١٤) بدمج التنظيمين (السوري والعراقي)، وأعلن انحيازه للقاعدة المركزية، التي حاول زعيمها الظواهري فض النزاع بين الطرفين، إلاّ أنّه أصبح طرفاً فيه ضد تنظيم البغدادي، وانتهى الأمر إلى انشطار تنظيم القاعدة ونشوء حالة استقطاب ملحوظة في أوساط التيار السلفي الجهادي على مستوى العالم، بين مؤيد للقاعدة والنصرة من جهة، ومع تنظيم الدولة الإسلامية من جهة أخرى.

لم تقف خلافات الجبهة مع تنظيم الدولة الإسلامية عند حدود انحياز خيارات الجبهة الأيديولوجية إلى تنظيم القاعدة، في مقابل تنظيم الدولة، فنالت النصرة تأييد أبرز شيوخ السلفية الجهادية، مثل أبي قتادة الفلسطيني وأبي محمد المقدسي وغيرهما، بل تجاوزت الخلافات بين الطرفين إلى اعتماد النصرة جذراً أيديولوجيّاً خاصاً بها، ينأى بها عن تنظيم الدولة الإسلامية ويتمثّل في تأثّر قياداتها التنظيمية والفكرية بأبي مصعب السوري وبالسلفية الجهادية السورية، التي تمتد بدورها إلى تنظيم الطليعة المقاتلة (الإخواني- القطبي)، ثم إلى المدرسة السلفية الحركية في سورية.

وكما أنّ تنظيم الدولة الإسلامية في العراق مرّ بمرحلة العرقنة، وظهر ذلك جليّاً مع خلفاء الزرقاوي العراقيين، وكما أنّ التنظيم حاكى الأزمة السُنيّة العراقية التي دخلت في صدام طائفي مع القوى السياسية الشيعية؛ فإنّ جبهة النصرة مالت بدورها نحو البحث عن الهوية السوريّة والشاميّة، وتأثرت بالحالة السلفية السوريّة، التي وإن أخذت مسار السلفية الجهادية، إلاّ أنّ لها اجتهادات تختلف تماماً عن مواقف التنظيم العراقي.

خلال هذا الفصل تكشّف لنا اختلاف جوهري في المرجعية الفكرية بين تنظيم الدولة والنصرة، فالأول تأثّر، فقهياً وأيديولوجيا، بكتابات أبي عبد الله المهاجر، شيخ الزرقاوي، وهي التي تأخذ منحى عدائياً مع المخالفين، سواء كانوا من السُنّة أو الشيعة، وتقدم "مدونة فقهية" تفتح لنا الباب لفهم سلوك التنظيم في مسألة قتل المختلفين والتوسّع في العمليات الانتحارية ومسائل الذبح والتمثيل بالجثث، كما تأثر التنظيم، عملياً، بفكرة إمارة التوحش، من خلال محاولته بسط السيطرة والنفوذ وإقامة الحكم على المناطق التي يسيطر عليها.

في المقابل، فإنّ تنظيم جبهة النصرة تأثر بأبي مصعب السوري وبامتداد الفكر السلفي والقطبي الإخواني، فتجنّب بسط نفوذه وحاول الابتعاد عن مربع الصدام والصراع مع الفصائل الإسلامية والمحلية، وكان أكثر مرونة في مواقفه الفقهية والأيديولوجية، نسبياً، من تنظيم الدولة الإسلامية.

انبثق عن انشطار القاعدة وانفجار الخلافات الداخلية صدامٌ عنيف على مختلف المستويات، الأيديولوجي والفكري والإعلامي والسياسي، والعسكري أيضاً، وحملت الأيام التالية تمدداً وصعوداً لتنظيم الدولة الإسلامية مقابل تراجع وانحسار وتصدّع جبهة النصرة، وربما هذا بحد ذاته يحمل في طيّاته سؤالاً جوهرياً ورئيساً؛ لماذا؟ كيف نفسّر ذلك، بالرغم من

أنّ جبهة النصرة هي التي كانت أقرب إلى الحالة السوريّة، اجتماعياً وسياسياً وحتى دينياً، بينما تنظيم الدولة أقرب إلى التلبس بقضية السُنّة في العراق؟

هو – بالضرورة- سؤال كبير، لكن أحد المفاتيح في الإجابة عليه هو أنّ تنظيم الدولة استطاع تحقيق اختراقات كبيرة في الساحة العراقية، وتمكّن في تلك الفترة من السيطرة على مساحة شاسعة من الأراضي، فأثبت قدراته وقوته، وهو ما خلق جاذبية "النموذج"، فالقوي دائماً يمتلك قوة التأثير والنفوذ والإقناع، بينما كانت النصرة تعاني من أزمتها المزدوجة في الهوية والمسار، وارتبكت في التعامل مع الموقف الدولي والإقليمي العدائي، ومع شعور العناصر السلفية الجهادية فيها بأنّ تنظيم الدولة يحقق مدى أكبر وأكثر صراحةً وسفوراً في التعبير عن هذه الهوية في مقابل النصرة التي حاولت التحايل على الخلافات الأيديولوجية بينها وبين الفصائل الإسلامية الأخرى.

وإذا كان مفتاح قوة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق يتمثّل في الأزمة السُنيّة هناك، وتبنّيه الخطاب الهويّاتي السُنّي؛ فإنّ الحال في سورية بدأ يأخذ المسار نفسه، مع انحراف طبائع الصراع وتنامي شعور السُنّة في سورية بحالة من الاستهداف والغبن وتعرّضهم لمستوىً عالٍ من الضغوط النفسية والاجتماعية، الناجمة عن قدر كبير من العنف الذي يمارسه النظام السوري وما يرتكبه من مجازر، ما أدى إلى مقتل مئات الآلاف وعشرات الآلاف من المعتقلين وملايين المشرّدين، ما عزّز من مشاعر الإحباط واليأس والتهديد الوجودي، وهي عوامل ترجّح كفّة تنظيم الدولة الإسلامية، الذي بدأ -بدوره- يكتسب قاعدة من السوريين في الآونة الأخيرة.

ثمّة أسباب وعوامل لوجستية وواقعية أخرى يمكن أن تساهم في تفسير هذا التفوق لدى تنظيم الدولة، ويتمثّل في سيطرته على منابع النفط

وقدراته على التمويل والخبرات التكنوقراطية، عسكرياً وإعلامياً، التي توافر عليها بصورة أفضل بكثير من جبهة النصرة.

أدركت قيادة النصرة حجم الأزمة البنيوية، وذاقت طعم الخسارة الفادحة، عسكرياً، أمام تنظيم الدولة، فبدأت تحاول الخروج من الأزمة، والحفاظ على التماسك الداخلي، عبر فكرة إنشاء الإمارة، إلاّ أنّ الفكرة جاءت بعد أن تراجع التنظيم وانحسار نفوذه ليتمركز في المناطق الجنوبية، ما أضعف هذه الفكرة، التي لم ترى النور إلى الآن، ولم تؤدّ الهيكلة القيادية الجديدة بإبعاد أبي مارية القحطاني وبعض القيادات التوافقية مع الفصائل الأخرى إلى تغييرات جوهرية في منهج النصرة إلى الآن، إلاّ أنّها ما تزال عالقة في أزمة مفتوحة ناجمة عن معضلة الهوية المزدوجة التي ولدت معها منذ لحظة التأسيس وظهرت جليّاً في الصراع مع تنظيم الدولة الإسلامية.

الفصل الثالث

الطريق إلى "إعلان الخلافة"

الفصل الثالث

الطريق إلى "إعلان الخلافة"

مقدّمة

توقفنا في الفصل الأول عند اللحظة التاريخية، التي كان تنظيم دولة العراق الإسلامية يواجه فيها تحدياً أساسيا تمثل بتمرد حاضنته السُنيّة على سياساته الهويّاتية الطائفية ونهجه المتشدد، فقد تشكلت مجالس إسناد عشائرية سُنيّة، وتأسست قوّات الصحوة، ما مثّل نقطة تحول كبيرة في المشهد السُنيّ من موقف داعم للمسلَّحين الجهاديين إلى موقف متعاون مع القوات الأميركية (الصحوات)، بقيادة الجنرال ديفيد بترايوس، الذي دشن استراتيجية تدفق القوات و"مكافحة التمرد"، إذ عمدت الولايات المتحدة إلى تسليح قوات الصحوة، ودعمها مالياً، وقد بلغ عددها أكثر من مائة ألف مسلّح(١٣٦).

إلاّ أنّ مشاركة السُنّة في حرب القاعدة لم تُسفر عن اختراقات تذكر في تركيبة النظام السياسي الجديد في العراق، إذ كان النفوذ الشيعي يشهد تناميا مطردا في كافة أجهزة الدولة، ولم تنجح مساعي دمج الصحوات في الأجهزة العسكرية والأمنية، فزادت مشاعر السُنّة بالإقصاء والتهميش(١٣٧).

---

(١٣٦) انظر: هشام الهاشمي، صحوات الفصائل السنية، على الرابط: http://www.ynewsiq.com/?aa=news&id22=3155&iraq=%D5%CD%E6%C7%CA%20%C7%E1%DD%D5%C7%C6%E1%20%C7%E1%D3%E4%ED%C9

(١٣٧) عمر عاشور، القاعدة في العراق: القضاء على القادة لن يقطع بالضرورة شرايين الحياة، على الرابط: http://carnegieendowment.org/2010/06/30/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D9%84%D9%86-

في مرحلة لاحقة شهدت حقبة الزعيم الحالي لتنظيم الدولة، أبي بكر البغدادي، تحولات داخلية عميقة على صعيد البنية الأيديولوجية والتنظيمية، وذلك بالتزامن مع تولي نوري المالكي رئاسة الوزراء لولاية ثانية أواخر عام ٢٠١٠، وكانت الولايات المتحدة قد بدأت إجراءات الانسحاب من العراق بموجب الاتفاقية المبرمة مع الحكومة العراقية عام ٢٠٠٨.

بالنتيجة؛ مع انتهاء مفعول الاتفاقية العراقية- الأميركية، واستكمال الانسحاب (في ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١١)، كان العراق يقع في مجال النفوذ الإيراني(١٣٨)، وهيمنة المكون الشيعي، وتنامي السلطوية(١٣٩)، وغارق في سياسات الطائفية، واستبعاد السُنّة، ومفاصل الدولة متخمة بالفساد(١٤٠).

تداعيات الانسحاب الأميركي من العراق:

تزامن الانسحاب الأميركي من العراق مع حدثين مهمين: تمثل الحدث الأول- بانطلاق موجة الاحتجاج الثوري في العالم العربي المطالبة بالحرية والعدالة والديمقراطية والكرامة، بدءاً من تونس نهاية عام ٢٠١٠، ثم مصر وليبيا واليمن، ودخول سورية (منتصف آذار/ مارس ٢٠١١) آفاق التغيير، ووصول فعاليات الاحتجاج إلى العراق أواخر ٢٠١٢ .

%D9%8A%D9%82%D8%B7%D8%B9-
%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%A9-
%D8%B4%D8%B1%D8%A7%D9%8A%D9%8A%D9%86-
%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9/gbol?reloadFlag=1

(١٣٨) انظر: انتوني كوردسمان، النتائج الحقيقية من الحرب على العراق: المنافسة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وإيران، تقرير صادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الأميركي CSIS، ترجمة دار بابل للدراسات والإعلام، على الرابط: http://www.darbabl.net/show_tarjama.php?id=251

(١٣٩) انظر: توبي دودج، الدولة والمجتمع في العراق بعد عشر سنوات من تغيير النظام: صعود السلطوية من جديد، ترجمة: شادي عبد الوهاب، على الرابط: http://www.baghdadcenter.net/print-149.html

(١٤٠) خلال الفترة بين ٢٠١٠ و٢٠١١، أصبح الفساد مستشرياً في كافة مفاصل الدولة العراقية، بحيث كان مؤشر إدراك الفساد الذي تقوم به منظمة الشفافية الدولية يضع العراق في المرتبة ١٧٥ من إجمالي ١٨٢ دولة، انظر: منظمة الشفافية الدولية، مؤشر مدركات الفساد ٢٠١١، على الرابط http:// cpi.transparency.org/cpi2011/results

أما الحدث الثاني- فتمثل بمقتل أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة المركزي في الثاني من أيار/ مايو ٢٠١١ على يد قوات خاصة أميركية في أبوت آباد في باكستان، وتولي أيمن الظواهري زعامة القاعدة.

مع حلول العام ٢٠١٢، بدأ التنظيم يستعيد عافيته ويتغذّى بصورة واسعة على أخطاء حكومة المالكي، وما تثيره الأحداث السوريّة من تداعيات طائفية تساعد على حشد وتجنيد السُنّة، فعادت استراتيجيات التنظيم في العراق لتتوجه فعلياً نحو استعادة السيطرة على المناطق التي فقدها خلال مرحلة الصحوات. فهاجم في كافة المحافظات العراقية بلا استثناء، ولم تعد أهدافه محدودة أبداً، حتى وإن ظهرت في الآونة الأخيرة أنها مركزة ضد الصحوات ورؤوسهم.

رمّم التنظيم قدرته على التجنيد والاستقطاب عبر استثمار "الأزمة السُنيّة"، سواء في العراق أو في سورية، فلم يبقَ في العراق من شماله إلى جنوبه، خاصة بغداد والأنبار، ما هو خارج دائرة الاستهداف، ابتداء من القوات الأميركية أو الدولة ومؤسساتها الوزارية والمالية، وانتهاء بالقوى المحلية الحليفة لهما[١٤١].

في هذا الفصل سنناقش الديناميكيات التي استخدمها التنظيم لترميم قدراته وموارده والانطلاق من جديد، سواء على الصعيد الاستراتيجي أو التكتيكي أو الهيكلة القيادية الداخلية، وسنرصد الشروط التي دفعته إلى الأمام، وتحديداً سياسات المالكي وتنامي النفوذ الإيراني في العراق عقب الانسحاب الأميركي، وفي الأثناء سنراقب الخطاب الأيديولوجي الذي رافق قرار إعلان الخلافة الإسلامية، وما أثاره ذلك من تداعيات واقعية وفكرية.

---

(١٤١) الدكتور أكرم حجازي، الدورة التاريخية: العراق ما بين البغدادي الأول والبغدادي الثاني (٤)، على الرابط: http://www.almoraqeb.net/main/articles-action-show-id-239.htm

استراتيجية جديدة، تكتيكات مختلفة، وإعادة هيكلة

لم تأتِ التحولات في أولويات التنظيم وهيكليته التي نجحت في ترميم نفوذه ومصادر قوته، بل توسعه وتمدده لاحقاً من فراغ، بل نجمت عن مراجعة عميقة للمسار والرؤية المستقبلية، واستراتيجية التعامل مع الواقع العراقي الطائفي والعرقي والتداخل بين العوامل الداخلية والإقليمية والدولية.

بحلول العام ٢٠١٠ ومع اقتراب موعد انسحاب القوات الأميركية، أصدر التنظيم وثيقة مهمة وأساسية، تفسّر استراتيجيته والمراجعات لرؤيته المستقبلية وتكتيكاته الجديدة، وجاءت بعنوان "خطة استراتيجية لتعزيز الموقف السياسي لدولة العراق الإسلامية".

أشارت تلك الوثيقة إلى الأسباب الحقيقية وراء ظهور الصحوات، واعتبرت أن التنظيم تأخر في قتالها بحجة الحاضنة الاجتماعية، كما أدانت الوثيقة اتهام فصائل المقاومة الوطنية للتنظيم بالإتيان بتصرفات خاطئة أدت إلى ظهور الصحوات، واتهمت الفصائل الوطنية بأنها باتت مرتعا "لتفريخ الصحوات"، واعترفت بتراجع نفوذ التنظيم وسيطرته في كثير من المناطق، كما اتهمت الولايات المتحدة بشن "حرب قذرة"، تضمنت القيام بتفجيرات في الأسواق والمحال العامة والمساجد وقتل المخالفين للدولة وإلصاقها بـ"دولة العراق الإسلامية".

تحدثت الوثيقة عن نجاح استراتيجية "الدولة الإسلامية" في ضرب الصحوات، الأمر الذي أدى إلى تراجعها وانحسارها، كما تشير إلى أن التنظيم بدأ يستعيد نفوذه وسيطرته تدريجياً. إلا أن الغرض الأساسي للوثيقة هو وضع استراتيجية للتنظيم لمرحلة ما بعد الانسحاب الأميركي، وقد وضعت الوثيقة خمسة أعمدة رئيسة لعملها المستقبلي:

أولاً: السعي الجاد لتوحيد الجهود: ومن الواضح هنا أن الوحدة تعني بصورة أساسية انضمام الفصائل الأخرى إلى "دولة العراق الإسلامية"، التي ترى القاعدة أنها ضحَّت وتنازلت في سبيل إقامتها، وتستند إلى فقه الاحكام السلطانية على شرعيّة قيام الدولة ووجوب التوّحد خلفها، فأشارت إلى عدم ضرورة الاجماع الكامل، وتقتبس الوثيقة دعوة أبي حمزة المهاجر الجماعات الأخرى إلى التخلي عن المصالح الخاصة والانخراط في مشروع الدولة باعتباره يمثل الأمة.

ثانياً: التخطيط العسكري المتوازن: الذي يستند إلى أن القوات الأميركية قد أجمعت أمرها على الرحيل، ولم تعد تطيق البقاء في العراق. وعلى هذا الأساس تدعو الوثيقة لتركيز الجهود على استهداف من أسمتهم الأعداء الداخليين، إذ تضع ثلاثة مبادئ:

١ - مبدأ "تسع رصاصات على المرتدين ورصاصة على الصليبيين"، باستهداف قوات الجيش والشرطة، ونشر الرعب لمنع مزيد التجنيد في صفوفها.

٢ - مبدأ "التطهير" بحرمان القوّات العراقية من تحقيق مراكز وتجمعات ومقرات دائمة، بتطهير الأرض وتشريد العدو.

٣ - مبدأ "سياسة الاستهداف" بالتركيز على القوات الأكثر تأهيلاً من النخبة، والرموز السياسية الفاعلة.

ثالثاً: مجالس الصحوة الجهادية: إذ تقر الوثيقة بقيام الصحوات العشائرية، وتشير إلى أن دوافعها مالية بتحصيل منافع شخصية، وإيديولوجية معادية للشريعة، وتضع ملامح لخطة معاكسة للتعامل مع هذا الموضوع تتمثل بإنشاء مجالس للصحوات الجهادية، تقوم على ما تعتبره أسساً أخلاقية شرعية، وتعتمد أسلوب إدارة لا مركزي، يعطي صلاحية واسعة لشيوخ العشائر في إدارة الوضع الأمني لمناطقهم في ظل "دولة العراق الإسلامية".

رابعاً: العناية بالرمز السياسي: من خلال إبراز نماذج قيادية تتمتع بالقبول والرضا من المجتمع، وتتمتع بالكفاءة والقدة والنزاهة.

خامساً: طمأنة المواطنين: من خلال إقامة الحكم العادل في أي منطقة يحصل فيها التمكين، والاهتمام بالجوانب الإدارية ومحاولة إقامة الاستقرار وبناء الجبهة الداخلية عن طريق إرساء هياكل قانونية لتنظيم الاقتصاد والقانون الجنائي وفق الشريعة الإسلامية[١٤٢].

لم يقف الأمر في عهد أبي بكر البغدادي عند حدود المراجعة الاستراتيجية والتكتيكية، بل طالت تركيبة التنظيم الأمنية والشرعية أيضاً، إذ اعتمد في الجانب العسكري على ضباط عراقيين سابقين سلفيين وفي مقدمتهم: حجي بكر وعبدالرحمن البيلاوي، فأصبح الجناح العسكري أكثر احترافاً وأشد تماسكاً على الصعيد الأمني، ومعظم قياداته من العراقيين، وفي الوقت نفسه استثمر البغدادي الجهاديين العرب والأجانب في الأجهزة الشرعية، وخصوصاً أبناء دول الخليج العربي، أمثال: أبو بكر القحطاني (عمر القحطاني)، وأبو همام الأثري، المعروف بتركي البنعلي (تركي بن مبارك بن عبد الله) من البحرين، والسعودي عثمان آل نازح العسيري، وغيرهم.

اعتمدت القيادة الجديدة على "حلقة تلعفر التركمانية"، في المواقع الأمنية الأساسية، وفي مقدمتهم أبو علي الأنباري، وعلى العرب والأجانب في المؤسسة الإعلامية، وفي مقدمتهم السوري أبو محمد العدناني الناطق باسم الدولة الإسلامية.

تحول نسق العمليات المسلحة للتنظيم عام ٢٠١١ من الطابع العشوائي إلى السلوك المنظم والمنسق. فالمجموعات المسلّحة، هي من تملك المبادرة،

(١٤٢) خطة استراتيجية لتعزيز الموقف السياسي لدولة العراق الإسلامية، على الرابط: http:// www.hanein.info/vb/showthread.php?t=158433

ومن تقرر المكان والتوقيت، فاستهدفت العمليات مقرات المحافظات ومجالسها ومنها محافظة بغداد. وحوّلت المجموعات المسلّحة أسلوب عملها إلى موجة أو سلسلة عمليات الواحدة بعد الأخرى بدل العمليات الفردية أو زرع العبوات، وكانت هذه العمليات تثير الصدمة والرعب ويثبت التنظيم من خلالها تطوره ووجوده ميدانياً وإعلامياً، ويعكس قدرته التنظيمية.

أطلق تنظيم "دولة العراق الإسلامية" على عملياته الجديدة اسم "هدم الأسوار" في إشارة الى أن العمليات القادمة تستهدف إخراج سجنائه.

خطة "هدم الأسوار": استعادة النفوذ والانتشار

عقب خروج القوات الأميركية من العراق عام ٢٠١١، وبروز الثورات الشعبية العربية على الركح السياسي، مع إصرار المالكي على سياسات إقصاء وتهميش السُنّة، وعدم إدماج الصحوات بل ملاحقتهم واعتقالهم، حدثت تحولات عميقة في تصورات المجتمع السُنّي ومنظوره للعملية السياسية، وبدأت الحراكات والاحتجاجات في المحافظات السُنيّة تتواتر وتتصاعد، الأمر الذي استثمره تنظيم الدولة للبرهنة على صواب نهجه الهويّاتي ونجع استراتيجيته القتالية، وبدأ يعيد بسط نفوذه وسيطرته التي كان يتمتع بها سابقاً.

وضع التنظيم "خطة هدم الأسوار" لاستعادة نفوذه وسيطرته الجغرافية، ففي خطاب أبي بكر البغدادي بعنوان " ويأبى الله إلا أن يتمَّ نوره" (في تموز/ يوليو ٢٠١٢) أعلن عن بدء الخطة الجديدة "ومن كان يظنُّ أنَّ الناس لا يريدون دولة الإسلام فليعلم أنَّ أكثر أهل السنة في بلاد الرافدين يؤيِّدونها منتظرين عودتها، ولا يسعني إلا أن أُثني على عشائرنا وأهلنا في بلاد الرافدين -شيوخًا وأفرادًا-؛ الذين كانوا ولا زالوا مادَّة الجهاد في العراق، ومأوى المجاهدين وحصنهم. وإنِّي بمناسبة بدء عودة الدولة للمناطق التي انحازت منها كما ترون، أستنفركم وأحثُّكم على بذل

المزيد، والـزَّجِّ بأبنائكم في صـفـوف المجـاهدين دفـاعًـا عن دينكم وأمـوالكم وأعراضكم، وطاعةً لله وامتثالاً لأمره وأمَّا أولئك الذين لُبِّس عليهم من بعض شيوخ وأفراد عشائرنا فوقفوا في صفوف أمريكا الصليبية، ثمَّ غدَوا أتباعًا وأذنابًا للحكومـة الصـفـوية، فنقـول لهم: مـا ضـرَّكم والله لو اتَّبعـتم الحقَّ ونصـرتم دين الله كمـا حـاربتـمـوه، فتـوبوا وأصلحـوا يغـفـر الله لكم ويبـدِّل سيئاتكم حسنات، ولئن قيل لكم أنَّ الدولة الإسـلامية تقتل كل من حاربها ولا تقـبل منه عـدلاً فـإنَّما ذلك ممَّا يُفـتـرى علينا –ومـا أكثـره–، ولتعلمـوا أنَّا لا نسأل من أراد التوبة عدلاً ولا شفاعة"(١٤٣).

لم ينسَ البـغدادي مخاطبة الشيعة، بلغةٍ عدائيـة سـافرة، مشـدداً على مسـألة تأكيـد الهوية وتمثيل تنظيمه لـلإسلام السُنّي "أمَّا أنتم أيُّها الروافض الحـاقـدون؛ فنحن أبناء الحـسن والحـسين، وأحـفـاد أبي بكر وعـمـر وذي النورين، نحـن جدُّنا حيدرة الكرار أميـر المؤمنين علي، وأنتم شـيـعـة المجوس أحفاد أبي لؤلؤة وابن سبأ ورستم وجدُّكم كسرى، وهيهات هيهات أن تغلب شيعة مجوس أبناء الحسن والحسين"(١٤٤).

وكالعـادة؛ فصّل النـاطق باسم تنظيم الدولة، أبو مـحـمـد العـدناني، في كلمة صوتيةٍ بعنوان "الاقتحامات أفجع"، الخطة الجديدة للتنظيم، فأشار إلى أن الدولة تمضي في خطتهـا لبسط نفـوذها من جـديدٍ على المناطق التي خسرتها سابقاً، إذ يقول: "لقد أعلن أمير المؤمنين في دولة العراق الإسلامية –حفظه الله– الشيخ المجاهد (أبو بكر البغدادي) عن بدء مرحلةٍ جديدة من العمل الجهادي للعودة إلى المناطق وبسط السيطرة عليهـا بالقـوة ودحـر الجيش الصفـوي وأنصـاره، فـأعلن –حفظه الله– عن خطة (هدم الأسوار)

(١٤٣) أبو بكر البـغـدادي، كلمـة صـوتيـة بعنوان: ويأبى الله إلا أن يتمَّ نوره، رمضـان ١٤٣٣ هـ –تموز/يونيـو/ ٢٠١٢م، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط:

http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=153320

(١٤٤) المرجع نفسه.

وأعطى توجيهاته وأوامره لضرب مفاصل المشروع الصفوي وأركانه، واستهداف دقيق لرؤوس الحكومة الصفوية ومقراتها الحكومية ومراكزها الأمنية والعسكرية وأوكار الشر الرافضية وأذنابها وأزلامها من خونة السنة، فاستنفرت وزارة الحرب رجالها وأبطالها، فهبّت كتائب المجاهدين وسراياهم تجوس خلال الديار واجتاحت البلاد طولاً وعرضًا في عملياتٍ متزامنة أظهرت فشل وانهيار الخطط الأمنية وعجز الأجهزة الاستخباراتية التي يتبجح بها العدو ويجعجع لها في وسائل الإعلام ليل نهار، وغَدَا قادتهم ورؤوسهم -الذين غدوا أُضحوكة الشارع- يلعن بعضهم بعضًا وسط تلاومٍ وتبادلٍ للاتهامات وتضاربٍ بالتصريحات، وأضاف: أتت المرحلة تمامًا كما أراد الشيخ وخطط، فتم اقتحام الثكنات وسحق السيطرات ودك المقرات وإسقاط الطائرات وقطف رؤوس الكفر في كافة أنحاء البلاد، وبحمد الله ومنِّه فقد تحققت الخطة المرسومة وأُنجزت الأهداف الموسومة، وسوف تنتهي هذه المرحلة في الفترة الزمنية التي تم إقرارها وتبدأ مرحلةٌ جديدةٌ نعلن عنها في وقتها المناسب إن شاء الله"(١٤٥).

بدت الثقة واضحة في خطاب العدناني عندما تحدث عن مرحلة جديدة بقوله "فالآن نغزوهم ولا يغزوننا، وقد ظهرت بوادر الانتصارات بهروب الجنود وترك عملهم وتوبة المرتدين من أهل السنة والتفاف الناس حول دولة العراق الإسلامية"(١٤٦).

ووصل الناطق باسم التنظيم، في نهاية تلك الكلمة المهمة، إلى إعلان التحدي بالقول: "لقد أعلنتها دولة العراق الإسلامية عاليةً مدوية: لا تفاوض، لا مساومة، لا مداهنة، ثباتٌ لا تراجع، حربٌ لا هوادة فيها"(١٤٧).

---

(١٤٥) أبو محمد العدناني، المتحدث الرسمي باسم دولة العراق الإسلامية، كلمة صوتية بعنون "الاقتحامات أفجع"، ٢٠١٢/٧/٢٣، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=FdsJp1Rjcjg

(١٤٦) المرجع نفسه.

(١٤٧) المرجع نفسه.

أخـذت الظروف الداخليـة والإقليـميـة تخـدم التنظيم وتسـاعـده في استعادة قوته؛ فبعد مرور عام عن الإعلان عن خطة "هدم الأسوار"، بات التنظيم قوة ضاربة، وقد توجت الخطة (في ٢١ تموز/ يوليو ٢٠١٣)، بشن هجوم مزدوج على سجني "ابو غريب"، الذي يقع غرب بغداد، وسجن التاجي في شمالها، وأسفر ذلك عن تهريب قرابة ستمائة سجين بينهم عدد من كبار قادة التنظيم، وقد أصدر تنظيم الدولة في ٢٣ تموز/ يوليو ٢٠١٣، بيانا تبنى فيه العملية وأطلق عليها: غزوة "قهر الطواغيت"(١٤٨).

مع الإعلان عن انتهاء خطة "هدم الأسوار"، دشن التنظيم خطة جديدة تهدف إلى السيطرة المكانية على المحافظات السُنيّة في العراق، والتمدد والسيطرة على المحافظات السوريّة، وقد أطلق التنظيم على الخطة الجديدة اسم "حصاد الأجناد" في (٢٩ تموز/ يوليو ٢٠١٣). ففي بيان بعنوان "غزوة العشر الأواخر"، رداً على حملات تهجير أهل السُنّة، جاء فيه "استمراراً لسلسة الغزوات النوعيّة التي انطلقت في الشهور الماضية نُصرة لمستضعفي أهل السنّة الذين يُعمل على قمعهم وتهجيرهم من ديارهم في مختلف المناطق وخاصة في ولاية ديالى، بعد أن أظهر المشروع الصفوي أهدافه بلا

(١٤٨) بيانٌ عن غزوة "قهر الطّواغيت" في سجني أبي غريب والتاجي، مؤسسة الاعتصام، على الرابط: http://daawla.tumblr.com/page/18

أثارت العملية جدلاً واسعا داخل الحكومة العراقية وتبادل الاتهامات وتحميل المسؤوليات، نظراً لضخامتها، وخطورتها وتوقيتها، بل أن وزير العدل العراقي حسن الشمري ذكر أنّ هروب مئات المعتقلين من سجني أبو غريب والتاجي ومعظمهم ينتمون إلى تنظيم "القاعدة" كان مدبراً بمعرفة مسؤولين عراقيين كبار، وأنّ الهدف كان إقناع واشنطن التخلي عن خططها لضرب نظام الرئيس السوري بشار الأسد، عبر تعظيم دور القاعدة وتنظيم "داعش"، إلا أن ذلك كان سيشير إلى تصاعد قوة تنظيم الدولة، وقد كشفت التحقيقات لاحقاً عن هذه الحقيقة، ولمزيد من التفصيل، انظر: أحمد هاشم الحبوبي، غزوة "قهر الطواغيت".. خاتمة خطة "هدم الأسوار"، على الرابط: http://www.kitabat.com/ar/page/02/09/2013/16209/%D8%BA%D8%B2%D9%88%D8%A9-laquo%D9%82%D9%87%D9%80%D9%80%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%88%D8%A7%D8%BA%D9%8A%D8%AAraquo%D8%AE%D8%A7%D8%AA%D9%85%D8%A9-%D8%AE%D8%B7%D8%A9-laquo%D9%87%D8%AF%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%88%D8%A7%D8%B1raquo.html

مواربة وأماط اللثام عن وجهه الكالح القبيح بلا تقيّة، انطلق رجال الدّولة الإسلاميّة في أولى عملياتهم النّوعية في العراق ضمن خطة "حصاد الأجناد" بعد أن ختموا المرحلة السابقة "هدم الأسوار" بالعملية الجريئة في كسر قيود الأسود وفك أسرهم في سجني التاجي وأبي غريب، ليدكّوا عمق المحميات الصفوية في بغداد الخلافة وغيرها"[١٤٩].

أما الناطق باسم التنظيم، أبو محمد العدناني، فقد أكد في كلمة صوتية بعنوان: "لن يضروكم إلا أذى"، عن بدء الخطة الجديدة لتمكين التنظيم، ونهاية خطة "هدم الأسوار"، وقدم تفصيلات عن عملية سجني أبو غريب والتاجي[١٥٠].

أكّدت الأشرطة والمواد الدعائية، التي تُصدرها الأذرع الإعلامية التابعة للتنظيم، وأبرزها مؤسسة "الفرقان"، على التحول الكبير في بنيته وقدراته الفائقة، وتكتيكاته العنيفة، وطبيعته الهويّاتية، واستراتيجيته القتالية المرعبة. فقد أصدر سلسلة من الأفلام المتقنة، أطلق عليها "صليل الصوارم"[١٥١]، وتتضمن سلسلة متنوعة من العمليات النوعية والوصايا الجهادية، وتدعو الصحوات والقوى السياسية السُنيّة للتوبة والرجوع إلى دينهم، وتطلق عليهم وصف عملاء الحكومة الشيعية، كما يتخللها خطابات لقادة التنظيم تؤكد على الهوية السُنيّة وتهاجم الشيعة، وما تصفه بالمشروع الصفوي، والتشديد على فساد العملية السياسية وتهميش وإقصاء السُنّة.

وتُظهر الأشرطة المصوّرة، التي تتوافر على مستوى عالٍ من الجودة

---

(١٤٩) بيان عن غزوة "العشر الأواخر"، ردا على حملات تهجير أهل السُنّة، مُؤسَّسةُ الاعتصام للإنتَاج الإعلامي، وزارة الإعلام – الدّولة الإسلاميّة في العراق والشّام، على الرابط: http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=324265

(١٥٠) أبو محمد العدناني، كلمة صوتية مفرغة بعنوان: "لن يضروكم إلا أذى"، مؤسسة الفرقان، على الرابط: http://bab-ul-islam.net/showthread.php?p=44980&langid=8

(١٥١) انظر: سلسلة صليل الصوارم بأجزائه الأربعة، على الرابط: http://ansarkhelafa.weebly.com/15871604158716041577-1589160416101604-1575160415891608157515851605.html

والإنتاج الفني المتقن، تأثير العمليات "الانتحارية"، والسيارات المفخخة، والعبوات اللاصقة والطائرة، وفعالية الاقتحامات للمواقع الأمنية والعسكرية والشرطية للحكومة الشيعية، كما تُظهر تأثير استخدام السلاح الكاتم للصوت ضد الصحوات ومن تطلق عليهم صفة "العملاء". لكن أهم ما في هذه الإصدارات هو عودة التنظيم بقوة إلى المناطق التي انحازوا منها سابقاً، كما توثق الإصدارات لسلسلة من العمليات النوعية التي نفذها جنود التنظيم.

الرسالة المهمة، التي سعى إليها التنظيم عبر هذا الإنتاج الإعلامي المكثف والنوعي، تمثلت بالقول بأنّه لا خلاص للمجتمع السُنيّ العراقي إلا عن طريق استخدام القوة والانحياز لمشروع "الدولة" الإسلامية السُنيّة، الذي أصبح قوّة ضاربة قادرة على إلحاق الأذى بالجيش العراقي وبالقوى الشيعية ومواجهة النفوذ الإيراني في العراق.

المالكي شريكاً في صعود تنظيم "الدولة الإسلامية"

تزاوج عاملان أساسيان في تدعيم تنظيم الدولة وتحويله إلى وحش ومارد جديد في المنطقة، الأول: تدشين الثورات المضادة وسياسات إعادة إنتاج السلطوية في العالم العربي، التي تجسدت بالانقلاب على نتائج الديمقراطية والعمل على احتواء الثورات الشعبية، والثاني: سياسات إيران التي كانت تسعى إلى تدعيم نفوذها في العراق، وتدخلها المباشر عبر الحرس الثوري واستثمار شبكة المليشيات العراقية واللبنانية وغيرها لإنقاذ حليفها الأسد من السقوط الذي عمل مع إيران وروسيا على كبح الثورة السوريّة باعتبارها ذات طبائع إرهابية وطائفية.

تعزز المنظور الإيديولوجي الهويّاتي والنهج العسكري الاستراتيجي لتنظيم الدولة في العراق والشام بعد الانقلاب على الثورات السلمية وحركة الاحتجاجات العربية، إذ أصبح شعار سلمية الثورات فاقداً للجاذبية والفعالية، وكان الانقلاب العسكري في مصر (في ٣ تموز/يوليو ٢٠١٣) تحت شعار

"مصر تحارب الإرهاب"، واعتبار جماعة الإخوان المسلمين جماعة إرهابية وتنظيمها تنظيماً إرهابياً، يؤسس لمرحلة جديدة تقطع مع مسارات الديمقراطية وتدشن عهداً جديداً من السلطوية، وتبعث على التمسك بخيار القوة العسكرية، كخيار وحيد للوصول إلى الدولة الإسلامية وإعلان قيام الخلافة.

لم تقف التحولات المصرية عند الحدود الداخلية، بل أخذت أبعاداً إقليمية، فقد طالت حركة حماس وحظر أنشطتها (في ٤ آذار/ مارس ٢٠١٤)، استناداً إلى دعوى بأن الحركة قد تحولت من حركة مقاومة إلى منظمة "إرهابية"، كما أصدرت السعودية قائمة بالمنظمات الإرهابية في ٧ آذار/ مارس ٢٠١٤ اعتبرت جماعة الإخوان المسلمين تنظيماً إرهابياً.

استثمر "تنظيم الدولة" تلك الأحداث لتعزيز رؤيته الإيديولوجية ونهجه الاستراتيجي القائم على الكفر بالديمقراطية وعدم إيمانه بالنهج السلمي في التغيير، (ففي ٣١ آب/ أغسطس ٢٠١٣) أصدر الناطق باسم التنظيم، أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان "السلمية دين من؟" يشدد فيها على صواب نهج الجهاد والقتال، وكفر الأنظمة الديمقراطية، وكل من آمن بها وتحاكم إليها وفي مقدمتهم جماعة الإخوان المسلمين ويدعوهم للتوبة، إذ يقول: "فلتعلموا يا أهل السنة الثائرين في كل مكان: أن داءنا ليس هو الأنظمة الحاكمة وإنما القوانين الشركية التي بها يحكمون فلا فرق بين حاكم وحاكم ما لم نغير الحكم؛ لا فرق بين مبارك ومعمر وابن علي، وبين مرسي وعبد الجليل والغنوشي، فكلهم طواغيت يحكمون بنفس القوانين"[(١٥٢)].

يضيف العدناني مؤكّداً على عدم جدوى المسار السلمي في التغيير "آن لنا أن ندرك ونقر ونعترف أن السلم لا يحق حقاً ولا يبطل باطلاً، لقد آن

(١٥٢) أبو محمد العدناني، الناطق باسم تنظيم الدولة، كلمة صوتية بعنوان "السلمية دين من؟"، على الرابط:
http://bab-ul-islam.net/showthread.php?t=20110

لدعاةِ السلمية أن يكفوا عن دعواهم الباطلة، فلا يمكن لأهل الكفر أبداً أن يسالموا أهل الإيمان، ولا يمكن لإيمان أعزل مسالم أن يقف في وجه كفر مسلح مجرم صائل.. إن نيل الكرامة والتحرر من الظلم وكسر قيود الذل لا يكون إلا بصليل الصوارم، وسكب الدماء، وبذل النفوس والمهج، ولن يكون أبداً بالدعوات السلمية أو بالانتخابات البرلمانية"[١٥٣].

ويخصص العدناني جزءاً من كلمته في مهاجمة جماعة الإخوان وحزب النور السلفي (يصفه بحزب الظلام)، اللذين شاركا في الانتخابات "وما الإخوان إلا حزب علماني بعباءة إسلامية، بل هم أشر وأخبث من العلمانيين. حزب يعبدون الكراسي والبرلمانات؛ فقد وسعهم الجهاد والموت في سبيل الديمقراطية ولم يسعهم الجهاد والقتل في سبيل الله.. وحزب الإخوان وأخيه حزب الظلام تخلوا عن كل ثوابت الإيمان وكثير من فروع الإسلام، تخلَّوا عن ثوابت الإيمان عندما وافقوا على نسبة الحكم والتشريع لغير الله تعالى"[١٥٤].

ربما أهمّ ما يعنينا في هذه الكلمة هي تلك النصائح التي ينهي بها العدناني كلماته، وتخاطب من يسمّيهم "أهل السُنّة"، جامعاً المصريين والعراقيين، ومقرنا الجيش المصري بالعراقي (الذي يطلق عليه الصفويّ)، مطالباً المجتمع السُنّي بـ" نبذ الدعوات السلمية، وحمل السلاح والجهاد في سبيل الله؛ لدفع الصائل من الجيش المصري والجيش الصفوي"[١٥٥].

تلك البيئة الإقليمية العربية النافرة من التحولات الديمقراطية، التي تتجه نحو الفوضى واستعادة الحالة السلطوية والتفكّك، تزاوجت مع الأزمة السُنيّة في العراق وسورية، فقد استخدم رئيس الوزراء العراقي السابق، نوري المالكي، السياسات الطائفية في تعزيز سلطته ونفوذه، وبدعم من إيران

(١٥٣) المرجع السابق.

(١٥٤) المرجع نفسه.

(١٥٥) المرجع نفسه.

والولايات المتحدة تحت ذريعة "الحرب على الإرهاب"، واستخدم "قانون الإرهاب" للتخلص من معارضيه وخصومه السياسيين، وتدعيم سلطته، واستثمر "قانون المساءلة والعدالة" الذي حل مكان قانون "اجتثاث البعث"، في تهميش واستبعاد سياسيين بارزين من السُنّة بحجة وجود ارتباطات بمراتب عليا في حزب البعث السابق، كما فضّ الاعتصامات السُنيّة بالقوّة، إلى حد قتل ٥٠ محتج سلمي وجرح أكثر من ١١٠ في مدينة الحويجة بمحافظة كركوك بتاريخ ٢٣ نيسان/ أبريل ٢٠١٣ .

قبل أحداث الحويجة، اصطدمت قوات الأمن بالمتظاهرين في مناسبتين، في الفلوجة (في ٢٥ كانون الثاني/يناير)، وفي الموصل (في ٨ آذار/مارس) ٢٠١٤ ما أدى إلى مصرع سبعة أشخاص في الحادثة الأولى وشخص واحد في الثانية، وأصر على أنّ بينهم إرهابيين ينتمون إلى حزب البعث السابق، أو أنهم مدفوعون بالعداء الطائفي للشيعة[١٥٦].

لم تؤدّ تلك السياسات إلى تثوير المجتمع السُنّي واستفزازه فقط، بل دفعت – في الوقت نفسه– الطائفة الشيعية نحو قدر أكبر من الراديكالية، الأمر الذي بلور اقتناع السُنّة العراقيين بعدم جدوى النضال السلمي، وهو ما استثمره تنظيم الدولة الإسلامية عبر توسيع دائرة التجنيد وتكثيف نطاق عملياته المسلحة، ونسج تحالفات موضوعية على أساس الهوية.

وعلى الرغم من سياسات المالكي الطائفية إلا أن الولايات المتحدة وافقت خلال زيارته إلى واشنطن مطلع تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٣، على بيع العراق كميات كبيرة من الأسلحة المتطوّرة بذريعة محاربة "الإرهاب" وعدم السماح بانتقال الفوضى في العراق إلى الدول المجاورة له، وكبح جماح الجهاديين في سورية، وقد ساندت الولايات المتحدة سياسات المالكي،

(١٥٦) انظر: مجموعة الأزمات الدولية، سُنّة العراق والدولة: فرصة كبرى أو خسارة فادحة، تقرير الشرق الأوسط، رقم ١٤٤، آب/ أغسطس ٢٠١٣، على الرابط: http://www.crisisgroup.org/~/media/Files/Middle%20East%20North%20Africa/Iraq%20Syria%20Lebanon/Iraq/Arabic%20translations/144-make-or-break-iraq-s-sunnis-and-the-state-arabic.pdf

والتـزمت بتـزويده بأسلحـة نـوعيّـة كطـائرات الاسـتطلاع وصـواريخ هلفـاير، وبدأت تتفـاوض على تدريب قـوات خـاصـة مـشـتـركـة، وتعـمل على تأسـيس قواعد لطائرات بدون طيار بحجة التصدي لتنظيم "القاعدة"، الأمر الذي تفاقم بداية كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤ بتأسيس "مجالس عسكرية سُنيّة".

ومع تحول الاحـتجـاجـات السلمـيـة إلى حركة مـسلحـة بدأت العـمليـات تتسع في الرمادي ثم انتهت بالسيطرة على الفلوجة، الأمر الذي تعامل معه المالكي باعتباره إرهاباً تقوده القاعدة والدولة الإسلامية في العراق والشام، وسـاندته الولايات المتحـدة ثم مـجلس الأمن الدولي (في ١١ كـانون الثـانـي/ يناير ٢٠١٤)، الذي أعرب عن دعمه لجـهود الحكومـة العراقيـة فـي الأنبـار ضد ما أسماه العنف والإرهاب، مدينا هجمات تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، دون الإشارة إلى الفاعلين الآخرين ولا إلى المطالب العادلة.

مشاعـر الغضب والاستياء والتمـرد لدى فعاليات وتوجهات وقوى الحراك السُنيّ بلغت أوجها مع إعلان الولايات المتحدة ومجلس الأمن دعم المالكي، إذ عملت على تأكيد عدم اكتراث العالم بحراكهم السلمي، وبهذا تشكّلت مجالس عسكرية مكونة من بعض أفراد الجيش العراقي السابق، وعناصر عشائرية مسلحة، وعمل على انبعاث جماعات المقاومة العراقية أمثال: "الجيش الاسلامي"، و"حماس العراق"، و"كتائب ثورة العشرين"، و"جيش المجاهدين"، و"أنصار السُنّة"، و"جيش الطريقة النقشبندية"، الأمر الذي استثمره البغدادي في عقد صلات وتحالفات مع القوى السُنيّة التي باتت مقتنعة بطبائع الحرب الهويّاتية الطائفية للمالكي وحلفائه تحت ذريعة الإرهاب.

في هذه اللحظة المفصلية؛ تقدمت "الدولة الإسلامية" كـ"رأس حربة" للتصدي لقوات المالكي وميليشياته، عبر إعادة بناء الحاضنة الشعبية السُنيّة، فقد عملت دولة البغدادي على استكشاف قدرات جيش وشرطة المالكي، وتبيّن لها ضعفها وعدم قدرتها على الفعل وانهيار معنويات جنودها، وخلال فترة وجيزة تمكن تنظيم الدولة الإسلامية من خلال عمليات الدمج

والاستيعاب عبر أخذ البيعات و"الاستتابة" أو إجبارهم على التزام الصمت والبيوت من إقصاء فصائل المقاومة، التي كان قد اصطدم معها عام ٢٠٠٧، وعمل على تحييد "المجلس العسكري" ومجموعة الشيخ عبد الله الجنابي.

إعلان دولة الخلافة وإزالة الحدود

منذ العام ٢٠١٢، كانت دولة البغدادي تتطور بصورة لافتة، فبعد أن ظنّ كثيرون بأن مسألة الإعلان عن قيام الدولة مسألة دعائية وهمية، لا تتعدى حدود العوالم الافتراضية، تبدّل الموقف الدولي والإقليمي والمحلي بعد أن استيقظ الجميع فجر الثلاثاء ١٠ حزيران/ يونيو ٢٠١٤، على وقع صدمة سقوط مدينة الموصل في محافظة نينوى على يد التنظيم، وبات يتحدث عن دولة حقيقية في حيز العوالم الواقعية، حتى ظهر الناطق باسم الدولة الإسلامية، أبو محمد العدناني، في اليوم التالي (١١ حزيران/ يونيو ٢٠١٤) في تسجيل صوتي بعنوان: "ما أصابك من حسنة فمن الله" مهددا بالزحف على بغداد، وبلهجة طائفية ظاهرة، قائلاً: "إنّ بيننا تصفيةٌ للحساب، صدقتَ وأنتَ الكذوب، حسابٌ ثقيلٌ طويل، ولكنّ تصفية الحساب لن يكون في سامرّاء أو بغداد، وإنّما في كربلاء المُنَجَّسَة والنَّجَس الأشرَك، وانتظِروا إنّا معكُ مُنتظِرون"(١٥٧).

بالتزامن مع تمدد تنظيم الدولة الإسلامية في سورية، وسّع التنظيم مناطق سيطرته ونفوذه في العراق، وبدأ عقب مقتل رئيس المجلس العسكري للتنظيم، أبي عبد الرحمن البيلاوي (في ٤ حزيران/ يونيو ٢٠١٤- إذ فجّر نفسه في الموصل، بعد أن حاصرته قوات عراقية) بشن هجومه الواسع (فجر الثلاثاء ١٠ حزيران/ يونيو ٢٠١٤) والذي أسفر عن سقوط مدينة الموصل(١٥٨) في محافظة نينوى بيد التنظيم. ونعى العدناني في اليوم التالي

(١٥٧) انظر: أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان: "ما أصابك من حسنة فمن الله"، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=Zpjlj5jqbt4

(١٥٨) لقد أثارت الطريقة التي سقطت فيها الموصل علامات استفهام كبيرة، وظهرت سيناريوهات عديدة تفسر ما حدث من انهيار للقوات العراقية، كانت نظرية "المؤامرة" في مقدمتها، فأصرت الرواية الرسمية

للهجوم على الموصل استشهاد البيلاوي، وعدد مآثره، ووجه رسالة تهديد إلى رئيس الوزراء المالكي بالزحف على بغداد(١٥٩).

وفي ٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٤ بث التنظيم شريطاً مصوراً (من خلال مؤسسته الإعلامية الاعتصام) بعنوان "كسر الحدود"(١٦٠)، يُظهِر آليات التنظيم وهي تزيل السواتر بين الحدود العراقية السورية، وقد ظهر في الشريط عددٌ من قادة تنظيم الدولة وسط حشد من مقاتلي التنظيم، فألقى الناطق باسم الدولة، أبو محمد العدناني، الذي ظهر مع تمويه وجهه، منددا ً بـ"حدود الذلّ" و"صنم الوطنية" ومبشراً بوعد النبي (صلى الله عليه وسلم) بعودة "الخلافة على منهاج النبوة"، وكان إلى جانبه القائد العسكري عمر الشيشاني، الذي تحدث باللغة الشيشانية مع وجود ترجمة عربية في أسفل الشريط، متحدثاً عن انجازات الدولة، وفي نهاية الشريط بث التنظيم صوراً لإعدام عدد من حراس حدود "سايكس-بيكو"، ومجموعة من الأسرى الذين يقال لهم: "دولة الإسلام" فيصرخون بصوت عال "باقية".

وفي الوقت الذي كان فيه المجتمع الدولي تحت وقع صدمة سقوط مساحات شاسعة من العراق بيد التنظيم، ظهر الناطق باسم الدولة أبو محمد العدناني في ٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٤ معلنا في تسجيل صوتي بعنوان "هذا وعد الله" قيام دولة "الخلافة"، وتنصيب أبي بكر البغدادي، إبراهيم عواد البدري، خليفة للمسلمين. ولم يقتصر الأمر على الإعلان، بل إلى فرضه على القوى والجماعات كافة. إذ يحذر العدناني الجميع "ونتبّه

على تواطؤ بعض القيادات العسكرية والسياسية، إلا أن ذلك كان بفعل الصدمة الشديدة والتلبس بحالة "إنكار" تتعلق بجاهزية وقدرة الجيش العراقي، والمشاكل السياسية، وبروز المسألة الطائفية، وتنامي قوة تنظيم الدولة الإسلامية، ولمزيد من التفصيل حول الاتهامات وتبادل المسؤوليات، والوصول إلى رواية أقرب للدقة، انظر: نيد باركر وايزابيل كولز ورحيم سلمان، كيف سقطت الموصل؟ ضابط عراقي كبير يشكك في رواية بغداد، تقرير خاص، رويترز، على الرابط: http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKCN0I412C20141015?sp=true

(١٥٩) انظر: أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان: "ما أصابك من حسنة فمن الله"، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=Zpjlj5jqbt4

(١٦٠) الدولة الإسلامية، كسر الحدود، مؤسسة الاعتصام، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=yst8UgICCvc

المسلمين: أنه بإعلان الخلافة؛ صار واجبًا على جميع المسلمين مبايعة ونصرة الخليفة إبراهيم حفظه الله، وتبطل شرعيّة جميع الإمارات والجماعات والولايات والتنظيمات، التي يتمدد إليها سلطانه ويصلها جنده". ولا يقف الأمر عند التنبيه، بل يصل حد القتل، فالعدناني يتوعد أنصار التعددية بقوله: "ومَن أراد شق الصف: فافلقوا رأسه بالرصاص، وأخرجوا ما فيه، كائنًا مَن كان، ولا كرامة"[(١٦١)].

في اليوم التالي لتنصيبه خليفة للمسلمين (بتاريخ ١ تموز/ يوليو ٢٠١٤) أصدر البغدادي خطاباً أقرب لـ"حالة الخلافة وبيان أحوال المسلمين" بعنوان "رسالة إلى المجاهدين والأمة الإسلامية في شهر رمضان" يدعو فيه جنود تنظيم الدولة التمسك بالجهاد واستكمال رسالة الخلافة، ويخاطب العالم "إن للمسلمين اليوم كلمة، عالية مدوّية، وأقدامًا ثقيلة؛ كلمة تُسمِع العالم وتفهمه معنى الإرهاب، أقدامًا تدوس وثن القومية، وتحطّم صنم الديمقراطية وتكشف زيفها، فاسمعي يا أمة الإسلام، اسمعي وعِي، وقومي وانهضي؛ فقد آن لك أن تتحرري من قيود الضعف، وتقومي في وجه الطغيان؛ على الحكام الخونة، عملاء الصليبيين والملحدين، وحرّاس اليهود"[(١٦٢)].

ويدعو البغدادي -في نهاية كلمته- المسلمين إلى الهجرة لمناطق سيطرة التنظيم بوصفها "دار الإسلام"، فيقول "يا أيها المسلمون في كل مكان من استطاع الهجرة إلى الدولة الإسلامية فليهاجر فإن الهجرة إلى دار الإسلام واجبة"[(١٦٣)].

وبعدها بأيّام قليلة ظهر البغدادي (الخليفة)، للمرة الأولى، صوتا وصورة، خطيبا للجمعة في مسجد الموصل الكبير في السادس من رمضان[(١٦٤)].

---

(١٦١) أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان "هذا وعد الله"، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=b1qkBXKvs_A

(١٦٢) أبو بكر البغدادي، رسالة إلى المجاهدين والأمة الإسلامية في شهر رمضان، مؤسسة الفرقان، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=Ud_drSE2n0Q

(١٦٣) المرجع نفسه.

(١٦٤) انظر: خطبة وصلاة الجمعة في الجامع الكبير بمدينة الموصل لمولانا أمير المؤمنين حفظه الله، على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=itu6NhED9Yk

في الأيام التالية، ومع انهيار القوات العراقية الحكومية وفرارها وانسحابها، تمكن تنظيم الدولة الإسلامية من الاستيلاء على أربع فرق عسكرية ومخازن السلاح، وبدأ بالتوسع والسيطرة على مناطق ومدن في محافظة الأنبار غربي العراق، وعلى مدينة القائم الواقعة إلى الغرب من العراق عند الحدود مع سورية، وعلى بلدتي راوه وعانة غرب مدينة الرمادي بمحافظة الأنبار، بعد انسحاب القوات الحكومية منهما، كما فقدت القوات العراقية سيطرتها أيضا على معبر ربيعة الحدودي الرسمي مع سورية، الواقع في محافظة نينوى، لصالح قوات البشمرجة الكردية. كما سيطر تنظيم الدولة على مدينة تكريت مركز محافظة صلاح الدين وبلدتي الضلوعية والمعتصم (على بعد تسعين كيلومتر شمال بغداد)، إلى جانب مناطق عراقية أخرى، في حين سيطرت قوات البشمرجة على كركوك، وسط استمرار القتال حول مصفاة بيجي وفي تلعفر.

التمدّد والصعود في المشهد السوري

كان تنظيم الدولة الإسلامية يقاتل على جبهتين في العراق وسورية، ويستثمر الظروف الموضوعية في العراق وتنامي الحركات الاحتجاجية السُنيّة السلمية، وتصاعد الاستقطاب السُنّي الشيعي وبروز الطائفية. وفي الوقت الذي كان يخوض فيه التنظيم صراعاً دامياً في العراق؛ استثمرت الفصائل الجهادية المعارضة لتنظيم الدولة الإسلامية في سورية انشغال التنظيم على الجبهة العراقية، وفرض سيطرتها على مدينة الفلوجة من خلال هجوم منسق واسع النطاق على مناطق نفوذ "الدولة" في ٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤، الذي بدأ بهجوم "جيش المجاهدين"[(١٦٥)] على مقارّ

(١٦٥) أعلن عن تأسيس "جيش المجاهدين" في ٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤، قبل يوم إعلانه الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، ويتكون من مجموعة من الفصائل الإسلامية المقاتلة وهي: الفرقة ١٩ ، وحركة النور الإسلامية، وتجمع استقم كما أمرت، وكتائب نور الدين الزنكي، ولواء الحرية الإسلامي، ولواء أنصار الخلافة، ولواء أمجاد الإسلام، ولواء الأنصار، ولواء جند الحرمين.

"الدولة" في الأتارب، وفي الأحياء الغربية لمدينة حلب، ثم أعلنت "جبهة ثوّار سوريا"(١٦٦) مشاركتها فاقتحمت غالبية المقارّ في ريف إدلب.

وقد جاء الهجوم بعد يومين من إعلان "الجبهة الإسلامية" مقتل أبي ريان (حسين السليمان) أحد قياديي "حركة أحرار الشام" على يد تنظيم "الدولة الإسلامية"، تحت التعذيب، وعقب رفض تنظيم الدولة تسليم العناصر التي قامت بقتله وصلت الخلافات إلى مداها الأقصى، مع الفصائل، حيث أعلن جمال معروف قائد "جبهة ثوار سوريا" الحرب على جماعة "الدولة" في ٣ كانون الثاني/ يناير وأمهلهم ٢٤ ساعة للرحيل، كما تم تشكيل "جيش المجاهدين"، وقد ربط كثيرون في حينها لاحقاً بين اقتراب موعد مؤتمر جنيف ٢ الذي بدأ في ٢٢ كانون الثاني/ يناير٢٠١٤ وبين هذه التداعيات.

وخلال هذه المرحلة كان تنظيم الدولة الإسلامية يتعرض لهجوم واسع، فقد تزامن الهجوم المسلح على التنظيم مع هجوم إعلامي وسياسي وشرعي أوسع، فقد أصدرت الروابط والهيئات الإسلامية السورية بيانا في ٢٢ كانون الأوّل/ ديسمبر ٢٠١٣ اتّهمت فيه "داعش" بتعمّد افتعال الخلافات مع فصائل المعارضة، ودعته إلى عدم التدخّل في شؤون السوريين، والكفّ عمّا وصفته بالتصرّفات التي تدعو إلى الفتنة والشرّ، وضمت الهيئات والروابط التي وقّعت البيان: هيئة الشام الإسلامية، ورابطة العلماء السوريين، وعلماء ودعاة الثورة، والهيئة الشرعية في حلب، ورابطة خطباء الشام، وجمعية علماء الكرد في سوريا، والملتقى الإسلامي السوري، وهيئة العلماء الأحرار(١٦٧).

(١٦٦) أعلن عن تأسيس جبهة ثوار سوريا في ٩ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٣م، ويعتبر "تجمع كتائب وألوية شهداء سوريا" بقيادة جمال معروف المكوّن الأساس في الجبهة مع كتائب مختلفة تتركز في ريف إدلب بمعظمها، وقد شاركت الجبهة بقوة في القتال ضد تنظيم دولة العراق والشام منذ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤، وهي مقربة من السعودية.

(١٦٧) انظر: "الهيئات الإسلامية بسوريا: سلوك –داعش– يدعو للفتنة والشر"، العربية نت، ٢٠١٣/١٢/٢٢، على الرابط: http://goo.gl/m9Ok4P

وأصدر الائتلاف الوطني المعارض بيانا في ١ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤، يصف فيه تنظيم "داعش" بـ "الإرهابي". ولفت إلى أنّ علاقة عضوية تربطه مع النظام السوري، وأنّ "سيل دماء السوريين على يد هذا

وشاركت فصائل من "الجبهة الإسلامية"[١٦٨]، في حصار مقرّ التنظيم في محافظة إدلب، واشتبكت معه في ريف حلب الشمالي والغربي، والرقّة، فضلا عن مشاركة فصائل من "الجيش الحر"، أما "جبهة النصرة"، فقد فضلت الحياد وعدم الدخول في الحرب ضد تنظيم الدولة، وقامت بدور الوسيط، ولم تدخل الحرب ضد التنظيم إلا في الرقة، وما لبثت أن انسحبت مع أحرار الشام وبقية الفصائل لتستقر الدولة منذ شباط/فبراير ٢٠١٤ في الرقة والباب ومنبج وجرابلس.

العملية العسكرية المنسقة والواسعة ضد تنظيم الدولة فاجأته، وحملته على التراجع في مناطق عديدة، وكبدته خسائر فادحة، ومنها مقتل قائد المجلس العسكري، حجي بكر، وأسر زوجته وولديه.

لكنّ تلك الحملة الواسعة، وهنا المفارقة، أدّت إلى "نقطة تحول" عكسية استثمرها التنظيم جيداً، فقد انسحب مقاتلوه إلى مدينة الرقّة وقاموا بإعادة ترتيب صفوفهم والتخطيط لهجوم مضادّ عنيف وفق التكتيكات المرعبة المعهودة، وذلك باستخدام السيارات المفخّخة[١٦٩]، والعمليات الانتحارية، والعبوات اللاصقة، والاشتباكات المميتة، والاغتيالات الدقيقة[١٧٠]، لاستعادة السيطرة على المناطق التي فقدها والتوسع في غيرها.

التنظيم رفع الشكّ نهائيًا عن طبيعته الإرهابية والمعادية للثورة، انظر: "الائتلاف يصف تنظيم -داعش- بالإرهابي عقب مقتل مدير معبر حدودي.. ويدعو المقاتلين للانسحاب منه"، سيريا نيوز، على الرابط:
http://www.syrianews.com/readnews.php?sy_seq=166221

(١٦٨) أعلن عن تشكيل الجبهة الإسلامية في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر٢٠١٣، ويتكون من سبع فصائل إسلاميّة مسلحة وهي: حركة أحرار الشام، وألوية صقور الشام، وجيش الإسلام، ولواء التوحيد، ولواء الحق، وكتائب أنصار الشام، والجبهة الإسلاميّة الكردية.

(١٦٩) نفذ التنظيم عدداً من الهجمات بالسيارات المفخخة على مدرسة المشاة في ١ شباط/ فبراير ٢٠١٤، وقام بالسيطرة على سجن الراعي التابع للواء التوحيد في ريف حلب في١ و ٢ شباط/ فبراير، ثم سيطر على حقل "كونيكو" للغاز في دير الزور التابع لجبهة النصرة في ٢ شباط/ فبراير.

(١٧٠) نفذ التنظيم بتاريخ ١ شباط/ فبراير ٢٠١٤، خلال يوم واحد اغتيال القائد العسكري في لواء التوحيد عدنان بكور، والقائد العسكري في ألوية صقور الشام أبو حسين الديك، والقائد العسكري للواء شهداء إدلب، حمدو الباشا.

وكان التنظيم قد أصدر بياناً يوم ٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤ أمهل فيه الفصائل التي تحاربه ٢٤ ساعة لإيقاف الهجمات ضدّه، ورفع الحواجز أمام حركة مقاتليه، وإطلاق جميع أسراه، وهدّد بالتصعيد والانسحاب من جبهات القتال مع النظام في حلب(١٧١).

أدت خبرة التنظيم العسكرية دوراً أساسياً في مواجهة الفصائل المقاتلة، كما أن آلته الإعلامية بدت فاعلة، ولجنته الشرعية نشطة، ومجلسه الأمني الاستخباري متفوق، واستثمر خبرته الواسعة في التعامل مع المجتمع المحلي ذي الطبيعة القبلية باستمالته بطرائق عديدة ترغيبا وترهيبا لضمان ولائه(١٧٢).

أمّا معظم المقاتلين الأجانب "المهاجرين" فقد انضموا إلى تنظيم الدولة، و"بايعوا البغدادي" أميراً، وأصبح القائد العسكري عمر الشيشاني، هو المسؤول الأهم لتنظيم الدولة الإسلامية على الجبهة السورية، وقاد العمليات، وهاجم مقارّ "جبهة النصرة" في حلب وإدلب والرقّة، واستولى التنظيم عليها بالقوة.

كما بدأ التنظيم بالاستيلاء على المناطق "المحرّرة" بالقوّة المسلحة، وأجبر الكتائب الصغيرة والعشائر والأهالي في المناطق التي يحتلّها على بيعة أميره البغدادي، وفرض الاحتكام إلى محاكمه الشرعية، والتعلّم في كتاتيبه ومدارسه، وترك مؤقتا القتال مع النظام وتفرّغ بشكل شبه كامل لمحاربة كتائب المعارضة المختلفة بذريعة دخولها في "الكفر"، و"الردّة"، و"تشكيل صحوات"، و"التعاون والعمالة للأمريكان".

(١٧١) بيان: نداء من الدولة الإسلامية في العراق والشام، على الرابط:
http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=344788

(١٧٢) لمزيد من التفصيل حول تعامل التنظيم واستراتيجيته مع المجتمع المحلي القبلي والعشائري، وضمان ولائه، انظر: فليكس لغراند، استراتيجية داعش الاستعمارية في سوريا، على الرابط: -http://www.arab
reform.net/sites/default/files/
%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D

ومع حلول شـهر تموز/ يوليـو ٢٠١٤، كان تنظيم الدولة يحكم سيطرته على المنطقة الشـرقيـة، بعد انسحاب أبي مـارية القحطاني وجنود جبهة النصـرة نحو مـدينة درعا في الجنوب السوري، وبعد اتهام الأخير لقيادة النصرة والفصائل المسلحة الأخرى بالتخاذل والتهاون في المعركة.

الخاتمة

صحيح أنّ الجميع استيقظ فجر الثلاثاء ١٠ حزيران/ يونيو ٢٠١٤، على وقع سـيطرة التنظيم الخـاطفـة على مـدينـة الموصل، وتمدّده في محافظات عراقية أخرى، وإمساكه بالحدود السورية العراقية؛ إلاّ أنّ ذلك لم يكن محض الصدفة، أو بلا مقدّمات وشروط وديناميكيات، فقد عمل التنظيم - منذ انكساره على يدّ الصحوات وانقلاب المجتمع السُنّي عليه في العام ٢٠٠٧- على مراجعة استراتيجياته وتكتيكاته وإعادة هيكلة أطره القيادية، وهو ما نجح به إلى حدّ بعيد، فتحول من العمل العسكري التوسّعي إلى العمل الأمني الدقيق، وأمسكت قيادة عسكرية وأمنية محترفة بزمام الأمور، في حقبة الزعيم الحالي، أبي بكر البغدادي، وهو ما مكّن التنظيم من ترميم موارده وقدراته وتطوير مهاراته العسكرية والأمنية، فعاد في الانطلاقة الثانية بقوة وزخم أكبر من المرحلة السابقة.

إلاّ أنّ العامل الأكثر أهمية في تفسير الصعود الراهن يتمثّل بالعامل السيسيولوجي، أي المجتمع السُنّي، فلولا سياسات المالكي الإقصائية وما حملته من تهميش للسُنّة وتعزيز مشاعر القلق على الهوية، مع تنامي النفوذ الإيراني، وما رافق ذلك من تصفية حساب مع النخبة السياسية، تحت بند "الحرب على الإرهاب"، والتعامل بقوة وقسوة مع الاحتجاجات السلمية السُنيّـة في العـديد من المحـافظات،.. لولا ذلك كله لم تكن الخطط والمراجعات التي قام بها تنظيم الدولة لتؤتي أكلها وتؤدي إلى صعود التنظيم وتقويته.

لا يقف العامل السيسيولوجي عند حدود العراق، فدخول سورية على خطّ الاحتجاجات السلمية الشعبية، وتحوّل طبائع الصراع فيها نحو العسكرة والطائفية، ساعد على ولادة تنظيم جبهة النصرة، ما خلق بدوره عاملاً جديداً لدفع المجتمع السُنّي العراقي إلى الانتفاضة السلمية، وتحولها بسرعة قياسية نحو العمل العسكري.

فشل العملية السياسية في إدماج السُنّة، وقمع الاحتجاجات السلمية، مع انفجار الصراع السوري، وظهور المسألة السُنيّة بوصفها "معضلة إقليمية"، كل ذلك خلق شروط العودة إلى العمل المسلّح في العراق، وهنا تحديداً تبرز نقطة أخرى من نقاط قوة تنظيم الدولة الإسلامية، إذ أنّه بقي خارج دائرة العملية السياسية، في الوقت الذي فكّكت الفصائل السُنيّة المسلحة نفسها، مع مرحلة الصحوات (بداية من العام ٢٠٠٧)، وراهنت شريحة واسعة وعريضة على العمل السياسي والوعود الأميركية، لكن مع تراجع منسوب الزخم السياسي، وشعور السُنّة بالتواطؤ على سرقة انتصارهم الانتخابي - بقيادة حليفهم العلماني الشيعي إياد علاوي- في انتخابات العام ٢٠١٠، ثم ما تعرّضوا له من حملة تطهير سياسية وأمنية خلال الفترة التالية، كل ذلك كان يخدم خطاب تنظيم الدولة ودعايته السياسية، ويعزّز قدرته على التجنيد والتقاط اليائسين من العملية السياسية، والمنبوذين منها، من الجيش العراقي السابق، وهو ما رفد التنظيم بخبرات عسكرية وبموارد بشرية وبشروط تدشين الولادة الثانية الجديدة له في العراق، وتكوين "سلالة جديدة" أكثر عنفاً وأشد فتكاً، مما سبق.

العامل السيسيولوجي المتمثّل في الأزمة السُنيّة الممتدة بين العراق وسورية ولبنان هو الحاسم في تفسير القوة التي امتلكها التنظيم، وهو الذي يفسّر (ولا يبرّر بأيّ حالٍ من الأحوال)، أيضاً، بدرجة رئيسة التوجّهات الأيديولوجية له وسلوكه الوحشي مع الخصوم، الذي لا يخرج عن مربع الردّ على التوحّش الآخر ضد المجتمع السُنّي.

الشـرط الرئيس والمفتـاح الذهبي فـي تبـديد الهـالة السـحـرية التي تمّ إضفـاؤها على التنظيم وقوته ونشاطاته، يتمثل بمصطلح "الأزمـة السُنيّة" في المنطقة، جرّاء انحـراف طبائع الصراع إلى سؤال "الهويّة"، فالسُنّة في كل من العراق وسورية ولبنان باتوا يشعرون مع تنامي الصراعات الداخلية والأهلية، بفراغ سياسي عربي وبحالة من الإحباط وخيبة الأمل في ظل تنامي النفوذ الإيراني في كل من العـراق وسـورية، وحـالة الفـراغ السـيـاسـي العـربي، والفوضى والحروب الداخلية.

الفصل الرابع

انشطار القاعدة: السجالات والتداعيات

الفصل الرابع

انشطار القاعدة: السجالات والتداعيات

مقدّمة

تابعنا في الفصول السابقة، كيف تطوّرت الخلافات بين تنظيم القاعدة المركزية وجبهة النصرة من جهة وتنظيم الدولة الإسلامية (القاعدة في بلاد الرافدين سابقاً)، إذ عدنا إلى جذوره منذ بدأ الأب الروحي لتنظيم الدولة الإسلامية في تأسيس شبكته، ثم وصلنا إلى ما أسميناه "العلاقة الملتبسة" بين تنظيم الزرقاوي والقاعدة المركزية، إذ بالرغم من مبايعة الزرقاوي لابن لادن والإعلان عن أنّ تنظيمه أصبح جزءاً من تنظيم القاعدة تحت عنوان "القاعدة في بلاد الرافدين" (٢٠٠٤)، إلاّ أنّ هنالك خلافات جوهرية ناجمة عن رؤية كلا الطرفين لأولوية الصراع، وفي موقف الزرقاوي من الشيعة وتوسّعه في العمليات الانتحارية التي تؤدي إلى قتل أعداد كبيرة من المدنيين.

في مرحلة لاحقة، وبعد مقتل الزرقاوي وانغماس تنظيمه في الشأن العراقي أكثر فأكثر، وتبنّيه لموضوع الهوية السُنيّة، والاقتراب أكثر نحو "عرقنة التنظيم" ازدادت الفجوة مع التنظيم الأم، ثم جاء إعلان خلفاء الزرقاوي لإقامة "الدولة الإسلامية"، في المحافظات السُنيّة العراقية ليعمّق الأزمة غير المعلنة بين الطرفين، إذ عبّرت قيادات في القاعدة عن رفض هذا التوجه، الذي لا ينسجم مع استراتيجية القاعدة العالمية، التي تركّز على المواجهة مع الولايات المتحدة الأميركية دون إقامة "الدولة الإسلامية" في الوقت الراهن.

حمل الإعلان عن الدولة إشكالية ستظهر انعكاساتها الجوهرية في مرحلة لاحقة، إذ اعتبرت الدولة بأنّ "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين" هو جزء من الدولة، وأحد مكوناتها، ما يحمل في ثناياه تناقضاً جوهرياً بين ولاء قاعدة العراق للقاعدة المركزية وانتمائها للكيان المفترض الجديد.

بالرغم من حجم هذه الخلافات إلاّ أنّها بقيت ضمن دائرة "المسكوت عنه" في العلاقة بين الطرفين، وغير معلنة بوضوح على الملأ؛ بيد أنّ الخلافات انفجرت بعد تأسيس جبهة النصرة ونشاطها في سورية، وقد تأسست منذ البداية بإشراف تنظيم العراق ودعمه وبموافقة ومباركة من القاعدة المركزية.

منذ البداية؛ كانت هوية النصرة "ملتبسة"، كما أوضحنا، إذ وقعت في فخ الفجوة بين رؤية التنظيم العراقي والقاعدة المركزية، بعد أن تطوّرت الخلافات بين الطرفين، بعد مقتل أسامة بن لادن (الزعيم الأول للقاعدة العالمية)، فانفجر الخلاف مع رفض زعيم جبهة النصرة القبول بإعلان زعيم التنظيم العراق، أبي بكر البغدادي، دمج تنظيم سورية مع العراق وإقامة "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، وفضّل مبايعة الظواهري، زعيم القاعدة.

لم يُحلّ الخلاف بتدخل الظواهري، إذ تفاقم وتصاعد مع رفض البغدادي قرار الأول بالإبقاء على جبهة النصرة تنظيماً مستقلاً، ومطالبة "تنظيم الدولة" بالبقاء في العراق، وأصبحت القاعدة المركزية طرفاً مباشراً في الصراع، وتدحرجت السجالات والخلافات إلى أن وصلت إلى حدّ الاقتتال بين النصرة وتنظيم "الدولة"، ثم إعلان الظواهري القطيعة مع تنظيم الدولة رسمياً.

أعلن تنظيم الدولة في مرحلة لاحقة إقامة الخلافة الإسلامية، وتمدّد في العراق وسورية، وهو ما دفع بالخلاف إلى مرحلة متقدمة أكثر بعد

رفض أقطاب السلفية الجهادية، مثل أبي قتادة الفلسطيني وأبي محمد المقدسي، الاعتراف بهذا الإعلان.

لم تقف حدود الاختلاف والسجالات عند حدود الصراع بين القاعدة وتنظيم الدولة، إذ شهد تيار السلفية في أغلب مناطق تواجده حالة من الاستقطاب والتجاذب غير المسبوقين بين مؤيد لهذا الطرف أو ذاك، ودخلت السجالات في قضايا أيديولوجية وفقهية وفكرية عديدة.

في هذا الفصل سنضيئ أكثر على تطورات الخلاف بعد صعود النصرة بين القاعدة المركزية وتنظيم الدولة والسجالات والنقاشات التي رافقت ذلك، مع تداعياته على تيار السلفية الجهادية عموماً.

١- بروز الخلافات ومحاولات الاحتواء الفاشلة

كانت خشية الفرع العراقي تتمثل بتسرب مقاتليه دون ضوابط، الأمر الذي دفع مستشار البغدادي، العقيد حجي بكر، إلى طرح فكرة تشكيل مجموعة من غير العراقيين تتوجّه الى سورية بقيادة شخص سوري، للحيلولة دون التحاق أي عراقي بالجبهة السورية من دون إذن مسبق، وبذلك يضمن تنظيم الدولة عدم انشقاق عراقيين عنه، ويتيح للقيادة الجديدة في الشام استقطاب أعضاء غير عراقيين من الخارج، فأوفد المجلس العسكري لدولة العراق الإسلامية، بين تموز/ يوليو وآب/ أغسطس ٢٠١١، أبا محمد الجولاني إلى الشام مع ثمانية آخرين، وكانت مهمة هؤلاء تنحصر بتهيئة الأرضية لتشكيل تنظيم جهادي يكون امتداداً لـ "دولة العراق الإسلامية".

وقع اختيار البغدادي على الجولاني لمباشرة العمل الجهادي في سورية، وقد تم رسم شكل الفرع الجديد في سورية ومناقشة آلية التنفيذ، وتم تجديد بيعة الجولاني للبغدادي على السمع والطاعة في المنشط والمكره،

وبهـذا غـادر الجـولاني العـراق ودخل الأراضي السـوريّة، برفـقـة سـبـعـة أو ثمـانيـة (١٧٣) من كـوادر الدولة الإسـلامـيـة، وباشـر في بناء شـبكة جـهـادية أسفرت عن ولادة "جبهة النصرة"، الأمر الذي أقر به الجولاني لاحقا، إلا أنه قدم تفصيلات في طبيعة العلاقة وحدودها(١٧٤).

كان الفرع العراقي يعمل في سورية وينفذ عملياته تحت اسم "جبهة النصرة"، التي كانت تحقق نجاحات كبيرة، وتستقطب مقاتلين محليين وأجانب، وتتمتع بدعم واسع النطاق من الجهادية العالمية(١٧٥)، وتمكنت حتى كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢ من تنفيذ عمليات كبيرة، وأعلنت مسؤوليتها عن أكثر من ٥٠٠ هجوم، منها سلسلة من الهجمات الانتحارية(١٧٦).

إلاّ أنّ الخلافات بين جبهة النصرة وتنظيم الدولة بدأت بسبب التباس المرجعية الفكرية والاستراتيجية العملية، كما ذكرنا سابقاً، ما أدى إلى مسارعة تنظيم الدولة إلى اختبار مدى ولاء الجولاني لقيادة أبي بكر البغدادي، فاقترح الأخير حل جبهة النصرة والعودة للعمل تحت قيادة الدولة، إلا أن الجولاني حاول التخلص من التزاماته تجاه تنظيمه الأول، واعتذر

---

(١٧٣) انظر: أبو محمد الجولاني، لقاء اليوم: النصرة ومستقبل سوريا، قناة الجزيرة، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/programs/today-interview/2013/12/19/%D8%A3%D8%A8%D9%88-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5%D8%B1%D8%A9-%D9%88%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7

(١٧٤) لمزيد من التفصيل حول البدايات الأولى لجبهة النصرة، والمفاتيح الأساسية للجماعة وأبرز رجالاتها، وجهود الجولاني، انظر رواية أبو مارية القحطاني، الذي أصبح أول مسؤول شرعي للنصرة والمسؤول العسكري للمنطقة الشرقية، وينبغي التنبه لإهماله لدور الفرع العراقي في ظروف النشأة والتأسيس، أبو مارية القحطاني، هلا تركتم لنا أمراءنا، على الرابط: http://justpaste.it/fj1b

(١٧٥) كانت قيادة القاعدة وكافة الفروع الإقليمية للتنظيم تساند جبهة النصرة، كما تمتعت الجبهة بدعم واسناد من كافة الجهاديين العالميين، وذلك قبل حدوث الاختلاف بين الفرع العراقي والنصرة، ومن أبرز الجهاديين: الشيخ الكويتي حامد العلي، وأبو قتادة الفلسطيني، وأبو محمد المقدسي، وسليمان العلوان، وأبو المنذر الشنقيطي، وأبو همام الأثري وأبو محمد الطحاوي، وغيرهم.

(١٧٦) لمزيد من التفصيل حول العمليات العسكرية التي تبنتها جبهة النصرة، منذ صدور البيان رقم (١) بتاريخ ٢٠ آذار/ مارس ٢٠١٢، ولغاية البيان رقم (١٩٩)، بتاريخ ١٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣، انظر: الكتاب الجامع لجميع بيانات جبهة النصرة لأهل الشام: من البيان رقم ١ إلى البيان رقم ١٩٩

برفض مجلس شورى النصرة لقرار العودة، وعقب جولات من الجدل والنقاش تمسك كل طرف بموقفه، وفشلت محاولات رأب الصدع وحل الخلافات.

كانت النقاشات تخترق صفوف جهاديي النصرة، وبدأت الكوادر الجهادية تترقب، وأخذت عمليات الاستقطاب والفرز تتعاظم في العوالم الافتراضية على شبكة الانترنت، وفي العوالم الواقعية في جبهات القتال، وبات الانقسام محتماً.

عبر كلمة صوتية (٩ نيسان/ أبريل ٢٠١٣) أعلن البغدادي عن ضم "جبهة النصرة" في سورية إلى دولته، لتصبح التسمية: "الدولة الإسلامية في العراق والشام"[١٧٧]، فاستعرض مسيرة التنظيم وتطوره من الزرقاوي إلى التوحيد والجهاد، فالقاعدة في بلاد الرافدين، مروراً بإعلان دولة العراق الإسلامية في حقبة أبي عمر البغدادي، وصولاً لإمارته لتنظيم الدولة وتوسعه في سورية[١٧٨].

لم يكشف الإعلان عن الكيان الجديد الخلافات العميقة بين تنظيم الدولة والنصرة فقط، بل أجّج الخلافات التاريخية المكتومة عن العلن بين الفرع العراقي للقاعدة والتنظيم المركزي، التي تم احتواؤها إبان زعامة بن لادن، بعد أن أصدر زعيم "جبهة النصرة" في اليوم التالي لإعلان الدمج في العاشر من نيسان/ أبريل ٢٠١٣ خطابا يرفض فيه الامتثال للدمج والانضمام لتنظيم "الدولة"، ومعلنا ارتباطه بالتنظيم المركزي للقاعدة وإعلان بيعته الصريحة للظواهري[١٧٩]، وفي الوقت نفسه اعترف الجولاني بفضل تنظيم الدولة بتأسيس النصرة وعمله تحت إمرة البغدادي[١٨٠].

(١٧٧) انظر: أبو بكر البغدادي، كلمة صوتية بعنوان: وبشر المؤمنين، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=6MuZrcxvL_w

(١٧٨) أبو بكر البغدادي، وبشر المؤمنين، كلمة صوتية مفرغة، على الرابط: http://ia600606.us.archive.org/15/items/w_bsher_1/tcJN8J.pdf

(١٧٩) انظر: أبو محمد الجولاني، إعلان البيعة لتنظيم القاعدة وبيعة الظواهري، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=_eB3AfI3hgA

(١٨٠) أبو محمد الجولاني، كلمة صوتية مفرغة، على الرابط: http://alshaaaaaaaaaam.blogspot.com/2013/04/blog-post_315.html

حرص الجولاني، في كلمته، على تقديم خطاب متمايز عن خطاب تنظيم الدولة الذي يقوم على فرض السيطرة والتمكين والتغلب، فأكّد على "استراتيجية الأنصار"، واعتماد مبدأ الشورى دون إقصاء أحد، مع إقراره بالهدف النهائي المتمثل بإقامة حكم الشريعة حيث يقول: "وقد أعلنا منذ بادئ الأمر أننا نصبو لإعادة سلطان الله في أرضه ثم النهوض بالأمة لتحكيم شرعه ونشر نهجه وما كنا نريد الاستعجال بالإعلان عن أمر لنا فيه أناة، فمهام الدولة من تحكيم للشريعة وفض للخصومات والنزاعات والسعي لإحلال الأمن بين المسلمين وتأمين مستلزماتهم قائمة على قدم وساق في الأماكن المحررة رغم ما يشوبها من التقصير، فقضية الإعلان لم تكن محل اهتمام في ظل وجود الجوهر، ثم إن دولة الإسلام في الشام تُبنى بسواعد الجميع دون اقصاء أي طرف أساسي ممن شاركنا الجهاد والقتال في الشام من الفصائل المجاهدة والشيوخ المعتبرين من أهل السنة وإخواننا المهاجرين فضلا عن إقصاء قيادات جبهة النصرة وشورتها"[١٨١].

عندما وجد الجولاني نفسه في موقف حرج وصعب، ذهب مع خيار لم يكن مقتنعا به تماماً، بعد أن تنامت نزعته البراغماتية وتكيفاته المحلية السوريّة الشاميّة، وذلك بالهرب إلى الأمام بإعلان البيعة للظواهري، والانضمام لتنظيم القاعدة المركزي، ومحاولة إحراج البغدادي وجلب تأييد الجهادية العالمية[١٨٢].

دخل الظواهري على خط الخلاف في محاولة لرأب الصدع، فبعد شهرين تماماً (في ٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٣) من إعلان البغدادي، رد

(١٨١) المرجع السابق.

(١٨٢) نفس المرجع.

(١٨٣) انظر نسخة مصورة من رسالة الظواهري للبغدادي والجولاني، على الرابط:
http://twecontent.org/amazing/box/oBCex6K5LR0/
%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%A7%D9%84%D8%B8%D9%88.html

الظواهري على بيعة الجولاني برسالة مكتوبة(١٨٣) يعلن فيها تخطئة الأميرين، مشيراً إلى أن "ما حدث من كلا الطرفين لم نستأمر فيه ولم نستشر، ولم نخطر به، وللأسف سمعناه من الإعلام كغيرنا"، وانتهى – في بيان فصل الخلاف – إلى الإعلان عن رؤيته بوصفه زعيماً للقاعدة بالقول "تلغى دولة الشام والعراق الإسلامية، ويستمر العمل باسم دولة العراق الإسلامية، وولايتها المكانية العراق. جبهة النصرة لأهل الشام فرع مستقل لجماعة قاعدة الجهاد يتبع القيادة العامة، وولايتها الشام"(١٨٤).

وانتدب الظواهري، في تلك الرسالة، أبا خالد السوري ممثلاً للقاعدة، ليتم الرجوع إليه للفصل في أي خلاف في تفسير هذا الحكم، وتكون له صلاحية تشكيل محكمة شرعية في حالة وقوع أي تعد من أحد الطرفين على الآخر.

ردّ زعيم تنظيم دولة العراق الإسلامية، أبي بكر البغدادي على رسالة الظواهري جاء سلبياً وحاسماً (بتاريخ ١٤ حزيران/ يونيو ٢٠١٣) في رفض البغدادي قبول الحكم بحجة اشتمال الرسالة على مخالفات منهجية وشرعية مشدداً على عدم تراجعه عن التمدد باتجاه الشام(١٨٥).

وما جاء مجملاً في رسالة البغدادي فصّله الناطق باسم التنظيم، أبو محمد العدناني، في كلمة صوتية بعنوان: "فذرهم وما يفترون" (١٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٣)، فكرر التشكيك في صحة الرسالة ونسبتها للظواهري، والتأكيد على وجود دولة حقيقية تمكنت من العودة في العراق وفرض نفسها في الشام، وعلى اصرارها على تحطيم الحدود وإقامة الدولة وتطبيق الشريعة، وعلى بطلان حكم الظواهري بفصل الولاية المكانية بين العراق وسورية، والتأكيد على أن جبهة النصرة ما هي إلا فرع يتبع تنظيم الدولة

---

(١٨٤) المرجع السابق.

(١٨٥) أبو بكر البغدادي، كلمة بعنوان: "باقية في العراق والشام"، على الرابط: http://justpaste.it/gtch

(١٨٦) أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان: "فذرهم وما يفترون"، على الرابط: http:// www.youtube.com/watch?v=BK1XShwkPhw

اقتضت الظروف الأمنية عدم الإعلان عن تبعيتها(١٨٦).

لكنّ الظواهري عاد ليصدر كلمة صوتية تؤكد صحة ما جاء في الرسالة، في ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣، لا تخرج في مضمونها عما جاء في الأولى، فأكد فيها على صحة ما نسب إليه من قرارات(١٨٧).

الخلاف بين الظواهري (زعيم القاعدة المركزية) والبغدادي (زعيم تنظيم دولة العراق والشام الإسلامية) فجّر الأزمة التاريخية المكتومة بين القاعدة وفرعها العراقي مرة أخرة، وكانت مسألة هوية التنظيم الإيديولوجية، وأولويات الصراع والمسألة الطائفية أحد ركائز الصراع، إذ شكّلت موضوعة حروب"الهوية" عقدة الخلاف، فقد كانت القاعدة المركزية تصر على استراتيجية "حرب الأنصار"، وسعت إلى بناء تحالفات مع إيران لمواجهة ما تصفه بالمشروع الأميركي- الصهيوني في المنطقة، أما الفرع العراقي فقد تمسك بحروب الهوية لمواجهة المشروع "الصفوي" وكسر نفوذه، وإيران، وحلفائه من الشيعة، مع حفظ الصراع مع الولايات المتحدة وحلفائها.

٢- "دليل عمل" جديد للقاعدة بعد مراجعات بن لادن

من المهم الإشارة إلى أنّ وثائق "أبوت اباد" (التي وجُدت في مخبأ بن لادن) كشفت عن انتقادات حادّة، غير معلنة في أروقة القاعدة المركزية، لنهج الفرع العراقي وتوسيع نطاق استهداف الشيعة، إلا أن الخلاف لم يتطور إلى درجة القطيعة إلاّ في الآونة الأخيرة، بينما كان بن لادن حريصاً على تجنب الاصطدام بالزرقاوي وتنظيمه، ويحاول باستمرار معالجة الخلافات بصورة هادئة وغير معلنة(١٨٨).

(١٨٧) انظر: أيمن الظواهري، إبطال الدمج وفصل الولاية المكانية، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=Cax1C6ETCp0

(١٨٨) انظر: محمد أبو رمان، قراءة في أبعاد الخلاف بين الظواهري والبغدادي، مرجع سابق.

بعد مقتل بن لادن أصدر الظواهري في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٣ بياناً يعتبر دليلاً ومنهاجاً لعمل تنظيم القاعدة بعنوان "توجيهات عامة للعمل الجهادي"، ومؤكداً على أن "العمل العسكري للقاعدة يستهدف أولاً رأس الكفر العالمي أمريكا وحليفتها إسرائيل، وثانياً حلفائها المحليين الحاكمين لبلادنا"، ويشدد على: "عدم مقاتلة الفرق المنحرفة مثل الروافض والإسماعيلية والقاديانية والصوفية المنحرفة ما لم تقاتل أهل السنة، وإذا قاتلتهم فيقتصر الرد على الجهات المقاتلة منها، مع بيان أننا ندافع عن أنفسنا"[١٨٩] وهو منهج يعكس حجم التباين والاختلاف بين رؤية كلا الطرفين (القاعدة وتنظيم الدولة)، سواء في الموقف من أولويات الصراع أو حتى من الشيعة والفصائل الإسلامية الأخرى، التي لا تتفق مع تنظيم القاعدة في التصورات الدينية أو السياسية.

في المقابل؛ استثمر العدناني نجاح خطة "هدم الأسوار"، (التي توّجت في ٢١ تموز/ يوليو ٢٠١٣- بشن هجوم مزدوج على سجني "أبو غريب"، الذي يقع غرب بغداد، وسجن "التاجي" في شمالها، وتحرير المعتقلين، عندما أصبح التنظيم قوة ضاربة) للتذكير والتأكيد على طبيعة الخلافات بين تنظيم الدولة والقاعدة، وتفنيد جملة من الشبهات، ومنها: أن "الدولة" تجبر الآخرين على البيعة وأنها تقاتلهم ابتداءً، فيقول "الدولة لا تجبر أحداً على بيعتها، وهي لا تقاتل إلا من قاتلها"؛ أما شبهة أنها لا تهتم بالدعوة إلى الدين وإنما بالقتال فقط، فقد أكد على أنها تمارس الدعوة قبل القتال، كما ردَّ على تهمة أن التنظيم يكرّر أخطاء العراق، وأن "الدولة" بلا مشروع سياسي؛ ويشدد على أن مشروع الدولة هو مشروع الأمة، "فلنقاتلنّ لإقامة "الدولة الإسلامية" كل من يقاتلنا.. ونكفَّ عمّن يكفّ عنا، هذا مشروعنا الذي لن نتنازل عنه أو نساوم عليه".

---

(١٨٩) انظر: أيمن الظواهري، توجيهات عامة للعمل الجهادي، مؤسسة السحاب، على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=4154

واستعرض العدناني -في كلمته- تلك التي جاءت بعنوان "لن يضرّوكم إلاّ أذىً"، المشاريع المقابلة، واختزلها في مشروعين" الأول: مشروع دولة مدنية ديمقراطية، وهو مشروع علماني تدعمه جميع مِلَل الكفر قاطبة على تضارب مصالحها واختلاف مناهجها، ليس حباً بأهل العراق ولا رأفةً بأهل الشام وإنما خوفاً من إعادة سلطان الله إلى أرضه وإقامة الخلافة الإسلامية، ونقول لأهل هذا المشروع: لقد فُضحتم في مصر وبانت سوءاتكم؛ فقد سقط الصنمان: الديمقراطية والمفلسون "الإخوان"، ولتعلمنّ أن بينكم وبين دولة لا تحكم بشرع الله في الشام بحاراً من الدماء وجبالاً من الجماجم والأشلاء. ولن تحلموا بأمن ولا أمان، والثاني: مشروع دولة محلية وطنية تُسمّى "إسلامية"، وإن هذا المشروع ظاهره إسلامي أما حقيقته فمشروع دولة وطنية تخضع للطواغيت في الغرب وتتبع لهم في الشرق، ويهدف لحرف مسار الجهاد وتوجيه ضربة له في الصميم".

وانتهى العدناني إلى التأكيد على موقف تنظيم الدولة في نقطة الخلاف المركزية مع خصومها، إذ رأى أنّه لا يشترط التمكين الكامل من أجل إعلان قيام الدولة(١٩٠).

ليس ذلك فحسب، بل اتهم العدناني - في كلمة أخرى بعنوان "عذراً أمير القاعدة"(١١ أيار/ مايو ٢٠١٤)- الظواهري نفسه بالانحراف عن نهج القاعدة ونفى وجود أي "بيعة" بين الدولة والقاعدة، فـ"الدولةُ ليست فرعاً تابعاً للقاعدة، ولم تكن يوماً كذلك، بل لو قدّر اللهُ لكم أن تطؤوا أرض الدولة الإسلامية، لَمَا وسعكم إلاّ أن تبايعوها وتكونوا جنوداً لأميرها القرشيّ حفيد الحسين، كما أنتم اليوم جنودٌ تحت سلطان المُلاّ عمر، فلا يصحّ لإمارةٍ أو دولةٍ أن تُبايع تنظيماً"(١٩١).

(١٩٠) أبو محمد العدناني، كلمة صوتية مفرغة بعنوان: "لن يضروكم إلا أذى"، مؤسسة الفرقان، على الرابط:
http://bab-ul-islam.net/showthread.php?p=44980&langid=8

(١٩١) أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان: عذراً أمير القاعدة، مؤسسة الفرقان، على الرابط: http://
www.youtube.com/watch?v=lrwvi5vqC_w

وصل الخلاف حدّاً غير مسبوق من الاتهام والتشكيك بالطرف الآخر، إذ تضمنت كلمة العدناني تلك إشارة للمرة الأولى للعلاقة السريّة بين إيران والقاعدة المركزية "ظلّت الدولة الإسلاميّة تلتزم نصائح وتوجيهات شيوخ الجهاد ورموزه، ولذلك لم تضرب الدولة الإسلامية الروافض في إيرانَ منذ نشأتِها، وتركت الروافض آمِنين في إيران، وكَبَحَت جِماح جنودها المستشيطين غضباً، رغمَ قدرتها آنذاكَ على تحويل إيرانَ لِبُرَكٍ من الدماء، وكظمَت غيظَها كلّ هذه السنين تتحمّل التُّهَمَ بالعمالة لألَدِّ أعدائِها إيران لعدم استهدافها، تاركةً الروافض ينعمون فيها بالأمن.. امتثالاً لأمر القاعدة للحفاظ على مصالحها وخطوط إمدادها في إيران. للقاعدة دين ثمين في عنق إيران. الدولة لم تضرب في إيران ولا في بلاد الحرمين تلبية لطلب القاعدة وللحفاظ على مصالحها- أي القاعدة - وخطوط إمدادها"[١٩٢].

أدى هذا الجدل إلى سلسلة من عمليات الفرز والاستقطاب في صفوف الجهاديين، فقد أطلقت "الجبهة الإسلامية" و"جبهة النصرة" على حربها وقتالها لتنظيم الدولة "معركة النهروان"، مع "الخوارج في دولة البغدادي"، فيما اعتبرت الأخيرة نفسها بدورها تخوض مجدداً "حروب الردّة"، مع فصائل الجيش الحر من الكفار المرتدين، والعملاء والصحوات مع الفصائل الإسلامية.

٣- الانشطار: تداعيات الانفصال

انتقلت الخلافات إلى أرض الميدان وأخذت طابعاً عسكرياً في الصراع على النفوذ بين تنظيم الدولة الإسلامية والفصائل الإسلامية الأخرى، وفي مقدمتها جبهة النصرة. وبالرغم من أنّ الحملة العسكرية والإعلامية والسياسية على تنظيم الدولة الإسلامية كانت واسعة النطاق، لكن التنظيم استمر في نهج السيطرة والتطهير المكاني باستخدام تكتيكاته القتالية

---

(١٩٢) أبو محمد العدناني، المرجع السابق.

المرعبة، ولم يحفل بالوساطات وطلبات التحكيم، واستطاع تحقيق انتصارات عسكرية حاسمة، كما تبيّن لنا، في الصفحات السابقة.

بعد فشل جهود الوساطة وتحوّل محاولات المصالحة إلى سجال حادّ بين الطرفين، وانفجار الصراع المسلح بين الفصائل الإسلامية نفسها، قرّر زعيم القاعدة، أيمن الظواهري، في نهاية الأمر، إعلان انفصال التنظيم عن القاعدة وقطع الصلة به. فقد أصدر بياناً (في ٢ شباط/فبراير ٢٠١٤)، يقول فيه إن الدولة الإسلامية في العراق والشام ليست فرعاً من جماعة "قاعدة الجهاد"، وليس للأخيرة أية علاقة تنظيمية معها، كما أن "الجماعة" ليست مسؤولة عن تصرفات "الدولة"[(١٩٣)].

حمل قرار القاعدة بالقطيعة تنظيمَ الدولة على مزيد من التصلب وحسم النزاع والصراع عسكرياً، فقد بدأ التنظيم بالهجوم على مناطق نفوذ جبهة النصرة في دير الزور في اليوم ذاته، الذي صدر فيه بيان القاعدة، وسيطر على حقل "كونيكو" للغاز، ثم هاجم مناطق في ريف ولاية الحسكة، وقطع طرق الإمداد نحو ولاية دير الزور، الأمر الذي شجع جبهة النصرة مع قرار القاعدة برفع وتيرة التهديد، فأصدرت بياناً (في ٧ شباط/ فبراير ٢٠١٤) بعنوان "وقد أعذر من أنذر"[(١٩٤)]، تسرد فيه حيثيات اعتداءات تنظيم الدولة، وهددت بالرد على "العدوان والبغي".

بعد يومين (في ٩ شباط/ فبراير ٢٠١٤) أصدر تنظيم الدولة بياناً للرد على اتهامات النصرة بعنوان "هذا بيان للناس"[(١٩٥)]، يتضمن التأكيد على تبعية النصرة للدولة، واتهام قادتها بالخيانة والغدر والوقوف في صفوف

(١٩٣) تنظيم قاعدة الجهاد-القيادة العامة، بيان بشأن علاقة جماعة قاعدة الجهاد بجماعة "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، على الرابط: http://justpaste.it/ea9k

(١٩٤) جبهة النصرة، بيان بعنوان: وقد أعذر من أنذر، على الرابط: https://justpaste.it/ec4z

(١٩٥) الدولة الإسلامية في العراق والشام، ولاية البركة، بيان بعنوان: هذا بيان للناس، على الرابط: http:// justpaste.it/ecx3

(١٩٦) جبهة النصرة: بيان بعنوان "فتبينوا" رداً على بيان جماعة "الدولة" المسمى "هذا بيانٌ للناس"، على الرابط: http://justpaste.it/ed7l

"الصحوات"، والمرتدين، والدعوة للاعتبار بما حدث لصحوات العراق. وبعد يوم (في ١٠ شباط/ فبراير) أصدرت جبهة النصرة بياناً بعنوان "فتبينوا"(١٩٦)، تؤكّد فيه براءتها من تهمة الصحوات وأنها تتعاون مع عموم المسلمين وليس المرتدين ولا صلة لها بالخونة والعملاء، وأن قتال الفصائل المسلحة والعشائر لتنظيم الدولة كان رداً على ظلم واعتداءات الدولة.

لم تفلح حرب البيانات في تغيير الوقائع، فقد أصبح تنظيم الدولة الإسلامية أكثر عنفاً في التعامل مع الفصائل المقاتلة في سورية، منذ بدء الهجوم المنسق بداية كانون الثاني/ يناير ومقتل قائده العسكري حجي بكر، الأمر الذي استدعى طرح مبادرات عديدة للصلح والتحكيم(١٩٧).

---

(١٩٧) من أشهر المبادرات في تلك الفترة، مبادرة قام بها الشيخ السعودي عبد الله المحيسني، وهو أحد المرجعيات المعتبرة لدى الحركات السلفية الجهادية، وقد أطلقت في ٢٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤، باسم " مبادرة الأمة"، وقد لاقت المبادرة صدىً إعلامياً واسعاً وأيدها العديد من الشيوخ والرموز، انظر نص "مبادرة الأمة"، على الرابط: http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=348225

إلا أن تنظيم الدولة رفضها تماماً، الأمر الذي دعا المحيسني بعد عشرة أيام من طرح المبادرة إلى إصدار بيان يعلن فيه رفض "الدولة الإسلامية" لمبادرته ويحمّلها مسؤولية القتال الحاصل بين الفصائل. انظر: بيان د. عبدالله المحيسني، عن مبادرة الأمة، ألا هل بلّغت، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=s08_Tm_Mbyg

(١٩٨) في أواخر شباط/ فبراير ٢٠١٤، وقّع سبعة عشر جهادياً على بيان "المناصرة الخراسانية للدولة الإسلامية"، كان من بينهم أبو عبيدة اللبناني، وفي ١٨ شباط/ فبراير ٢٠١٤، نشر عشرون من علماء الجهادية العالمية بياناً يؤيدون فيه تنظيم الدولة وينصحون "أصحاب العقيدة الصحيحة من أبناء الجماعات الجهادية في العراق والشام، أن ينضموا للدولة الإسلامية في العراق والشام وأن يبايعوا أميرها"، ومن بينهم أبو المنذر الشنقيطي، وفي ٢ شباط/ فبراير ٢٠١٤، أصدر مجلس شورى المجاهدين – أكناف بيت المقدس – بياناً بعنوان "لا تسُبوا أهل الشام ولكن سُبوا ظَلَمَتهم" جاء فيه: "إن أصل الاقتتال في الشام هو عدم إنصاف الدولة الإسلامية وأميرها أمير المؤمنين أبي بكر البغدادي". أما فروع تنظيم القاعدة في المغرب وجزيرة العرب والصومال فقد التزمت الصمت دون الانحياز لطرف بشكل صريح.

(١٩٩) أبو خالد السوري من مواليد مدينة حلب عام ١٩٦٣، واسمه الحقيقي محمد بهايا، وهو من قيادات الجيل الأول لتنظيم القاعدة، وشهد ولادة "الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين" عام ١٩٩٨، وكان مقرباً لأسامة بن لادن وأيمن الظواهري، سلمته باكستان للسلطات السورية وأشيع بأنها أطلقت سراحه لفترة وجيزة في نيسان/ أبريل ٢٠١٢ ثم أعادت اعتقاله. وصفه المنظر السلفي الجهادي الكبير أبو مصعب السوري في كتابه "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية" بقوله " أخي وصديقي ورفيق دربي ومساري الصابر المجاهد الشيخ، أبو خالد السوري، حفظه الله وأمتعنا والأمة به وبأمثاله، وقال: كم كنت أتمنى أن يطلع على هذا الكتاب قبل نشره بالإضافة إلى الشيخ أسامة بن لادن، والدكتور أيمن الظواهري، والشيخ أبو الليث الليبي".

لكن مع تزايد المؤيدين لتنظيم الدولة وتوالي البيعات الداخلية والخارجية[١٩٨]، مضى تنظيم الدولة الإسلامية في تطبيق خطته للسيطرة والهيمنة وتصفية الخصوم، التي توجت بعملية اغتيال أبي خالد السوري[١٩٩] (في ٢٣ شباط/ فبراير ٢٠١٣)، التي أثارت عاصفة من الجدالات والنقاشات الحادة بين فصائل السلفية الجهادية المسلحة في سورية، كما أثارت جملة واسعة من الاتهامات بين الجهاديين في سورية وخارجها، فرجل القاعدة الخفي الذي عمل لسنوات طويلة كمنسق عملياتي بين تنظيم القاعدة المركزي وفروعه الإقليمية وشبكاته الممتدة، دون أن تتمكن أجهزة الاستخبارات الدولية من قتله أو إلقاء القبض عليه، لقي حتفه مع ستة من رفاقه نتيجة عملية انتحارية في مقر حركة أحرار الشام بحي الهلك[٢٠٠].

بعد أقل من يومين من عملية الاغتيال أصدر أبو محمد الجولاني

(٢٠٠) يبدو أن إعلان البغدادي بضم النصرة لدولته قد أغضب أبو خالد السوري كونه لا يُفضل الإعلان عن دولة أو تنظيم في ظل إمارة القتال ومرحلة بناء الشوكة والنكاية، ولا يؤمن بجدوى الإعلان عن قيام دولة أو إمارة قبل مرحلة التمكين، ولعل هذا الموقف هو ما دعا بعض أعضاء وأنصار حركة أحرار الشام والجبهة الإسلامية إلى اتهام الدولة الإسلامية في العراق والشام باغتياله، استناداً إلى البيان الذي أصدره أبو خالد السوري في كانون الثاني/ يناير في إطار مهمة التحكيم، الذي تضمن "نصائح إلى جماعة دولة الإسلام في العراق والشام"، يدعو فيه أفراد "الدولة الإسلامية" إلى "التوبة"، معتبراً أن ادعاءهم "الانتساب إلى مشايخ الجهاد" كأسامة بن لادن والظواهري وأبو مصعب الزرقاوي "بعيد كل البعد عن المنهج السوي". انظر: "بيان الشيخ القائد أبو خالد السوري في تحول بعض المجاهدين لقطاع طرق صحوجية مخترقين ونصحه لهم، على الرابط:

http://www.muslm.org/vb/showthread.php?526745-%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%A6%D8%AF-%D8%A3%D8%A8%D9%88-%D8%AE%D8%A7%D9%84%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84-%D8%A8%D8%B9%D8%B6-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%A7%D9%87%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D9%84%D9%82%D8%B7%D8%A7%D8%B9-%D8%B7%D8%B1%D9%82-%D8%B5%D8%AD%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%AE%D8%AA%D8%B1%D9%82%D9%8A%D9%86-%D9%88%D9%86%D8%B5%D8%AD%D9%87-%D9%84%D9%87%D9%85

(٢٠١) أبو محمد الجولاني، تسجيل صوتي بعنوان: "ليتك رثيتني"، مؤسسة المنارة البيضاء، على الرابط:
http://bab-ul-islam.net/showthread.php?t=24119

تسجيلاً صوتياً (الثلاثاء ٢٥ شباط/ فبراير ٢٠١٤)، حمل عنوان "ليتك رثيتني" (من خلال مؤسسة المنارة البيضاء الإعلامية التابعة لـ "جبهة النصرة")، حدد فيه طبيعة العلاقة مع تنظيم دولة "البغدادي"[(٢٠١)].

وعلى الرغم من أن الجولاني أعاد - في كلمته - طرح مسألة التحاكم إلى الشريعة في تسوية الخلافات بين تنظيم "الدولة" وباقي الفصائل الجهادية، واختار أبا محمد المقدسي وأبا قتادة الفلسطيني وسليمان العلوان، وهم ثلاثة من أبرز علماء ومنظّري السلفية الجهادية في العالم اليوم، كمحكمين لفض الخصومة والنزاع، إلاّ أنّ هؤلاء الثلاثة أنفسهم كانوا قد أعلنوا تأييدهم لجبهة النصرة، ما يعني أنّ الجولاني كان يعلم تماماً أن جواب الدولة سيكون برفض التحكيم.

حملت كلمة الجولاني جرعة أكبر من الهجوم على تنظيم الدولة ونقده؛ فوصفه بـ "فكر جاهل متعدي"، ودعاه لإلغاء فتاويه المتعلقة بـ "تكفير الجماعات الجهادية"، وحدّد مهلة خمسة أيام للتنظيم للاستجابة لمطالبه، وقد هدد بإفنائه من جذوره في العراق فضلاً عن سورية، إذ يقول: "إذا لم تكفّوا بلاءكم عن الأمة لتحملن الأمة على الفكر الجاهل المتعدي ولتنفينّه حتى من العراق، وأنتم تعلمون مئات الإخوة الأفاضل الذين ينتظرون من الأمة إشارة في العراق"[(٢٠٢)].

أدان الظواهري، بدوره، مقتل أبي خالد السوري في كلمة صوتية بعنوان "رثاء شهيد الفتنة الشيخ أبي خالد السوري"[(٢٠٣)] بتاريخ ٥ نيسان/ أبريل ٢٠١٤، وحمّل المسؤولية ضمناً لتنظيم الدولة الإسلامية، إلا أنه دعا إلى نبذ الاقتتال والعودة للتحكيم والصلح وحذر من الغلو والتكفير واستباحة الدماء

(٢٠٢) المرجع السابق.

(٢٠٣) أيمن الظواهري، كلمة صوتية بعنوان: رثاء شهيد الفتنة الشيخ أبي خالد السوري رحمه الله، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=M0zk6OsjjdI

بين المجاهدين مذكراً بما حدث في الجزائر من انحراف خلال حقبة التسعينيات من القرن الماضي.

لكنّ نصائح زعيم القاعدة لم تعد مجدية بالنسبة لتنظيم الدولة الإسلامية بعد صدور قرار التبرؤ من الفرع العراقي وفصله من تنظيم القاعدة،[٢٠٤] فقد كان القرار متوقعاً ومنتظراً، ومناسبة لإعلان الاستقلال التام، وبناء سردية جهادية تحتكر تمثيل الحق والحقيقة الجهادية، فقد اتهم الناطق باسم تنظيم الدولة، أبو محمد العدناني، الظواهري نفسه بالانحراف عن نهج القاعدة في رسالة صوتية (صدرت بتاريخ ١٨ نيسان/ أبريل ٢٠١٤) بعنوان "ما كان هذا منهجنا ولن يكون"، هاجم فيها الظواهري واتهمه بالوقوف مع الرئيس المصري المعزول محمد مرسي والدعاء له، كما عرّض بجلوسه بعيداً عن ساحات القتال، وانتقده لقبوله بيعة "المنشق الخائن الغادر الجولاني"، واتهمه بالانحراف عن نهج القاعدة التاريخي بزعامة بن لادن، إذ يقول العدناني: "تنظيم القاعدة اليوم لم يعد قاعدة الجهاد فليست بقاعدة الجهاد من يمدحها الأراذل ويغازلها الطغاة ويناغيها المنحرفون والضالون.. ليست قاعدة الجهاد من يتخندق في صفها الصحوات والعلمانيون.. إن القاعدة اليوم باتت قيادتها معول لهدم الدولة الإسلامية والخلافة القادمة"[٢٠٥].

في اليوم التالي لكلمة العدناني (بتاريخ ١٩ نيسان/ أبريل ٢٠١٤) نشرت مؤسسة السحاب الإعلامية التابعة لتنظيم القاعدة المركزي لقاءً

(٢٠٤) خلال هذه المرحلة كان الجدل محتدماً في صفوف الجهادية العالمية حول تبعية تنظيم الدولة الإسلامية لتنظيم القاعدة، وطبيعة العلاقة التاريخية، وفي سياق محاولة نزع الشرعية وإثبات تمرد الفرع العراقي، قام الشيخ المصري هاني السباعي المقيم في لندن والمقرب من "القاعدة"، بتاريخ ٢٥ آذار/ مارس ٢٠١٤ بنشر مجموعة من الأسئلة تتعلق بالخلاف بين "الدولة" و"القاعدة" وعن وجود بيعة ملزمة، وقد وجّه السباعي أسئلته للظواهري طالباً الإجابة، لكن الأسئلة كانت عبارة عن دعم وإسناد لنهج النصرة والقاعدة وإثبات انحراف تنظيم الدولة، خصوصاً أنها جاءت بعد قرار القاعدة بفصل تنظيم الدولة وتقدم الأخيرة ميدانياً وحصولها على مزيد من التأييد من بعض أطراف الجهادية العالمية.

(٢٠٥) أبو محمد العدناني، ما كان هذا منهجنا ولن يكون، على الرابط:

http://alplatformmedia.com/vb/showthread.php?t=44901

صوتياً مع الظواهري أكد فيه على التبرؤ من الفرع العراقي وتحميله مسؤولية الاقتتال بين الفصائل الجهادية في سورية وانحرافه عن نهج القاعدة، وأكد الظواهري على أن "القاعدة رسالة قبل أن تكون تنظيما.. فإذا شوهنا هذه الرسالة فقد خسرنا حتى لو كنا نتمدد تنظيميا وماديا"، ونبه إلى انحراف الفرع العراقي بقوله: "إننا نقدم لأعدائنا أكبر فرصة لتشويه سمعتنا وفصل الأمة عنا"(٢٠٦).

٤- بين نموذجين

على الرغم من يأس الظواهري من إمكانية رأب الصدع ووقف القتال بين أنصار البغدادي والجولاني واستنكاره لنهج دولة البغدادي العنيف، أصدر الظواهري رسالة صوتية (في ٢ أيار/ مايو ٢٠١٤) بعنوان "شهادة لحقن الدماء"، استجابة لرغبة هاني السباعي، القريب من أوساط القاعدة والسلفية الجهادية، وقد أكد الظواهري على تبعية تنظيم الدولة تاريخياً للقاعدة ووجود بيعة، وسرد جانباً من بعض الرسائل المتبادلة، كما أكد على موضوعة "البيعة" الملزمة للبغدادي ودولته لتنظيم القاعدة، وجدد دعوته إلى التحاكم لهيئة شرعية مستقلة تقضي فيما وقع بينهم من خلافات. إلا أنه مع ذلك خاطب البغدادي بلطف بـ"الشيخ المكرم أبي بكر الحسيني البغدادي"، راجيا إياه الاقتداء بالحسن بن علي رضي الله عنهما حين وأد الفتنة، وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين(٢٠٧).

كان رد الفرع العراقي على الظواهري حاسماً في مناسبات عديدة فيما يتعلق بطبيعة الصراع، بعد أن تَمكّن من حسم المعركة مع النصرة والفصائل الجهادية عسكرياً في سورية، وبدأ باستعادة السيطرة على مناطق واسعة في

---

(٢٠٦) أيمن الظواهري، الواقع بين الألم والأمل، لقاء السحاب السابع، على الرابط:
https://nokbah.com/~w3/?p=4630

(٢٠٧) أيمن الظواهري، رسالة صوتية بعنوان: شهادة لحقن الدماء، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=rfvgCLq-BBY

العـراق، فـأصـدر النـاطق الرسـمي لتنظيم الدولـة الإسـلاميـة أبو مـحـمـد العـدناني رسـالة صـوتيـة (في ١١ أيار/ مـايو ٢٠١٤) بعنوان "عـذراً أمـيـر القاعدة"، نفى فيها وجود أي "بيعة" بين الدولة والقاعدة، فـ"الدولةُ ليست فرعاً تابعاً للقاعدة، ولم تكن يوماً كذلك، بل لو قدّر اللهُ لكم أن تطؤوا أرض الدولة الإسلامية، لَمَا وسعكم إلاّ أن تبايعوها وتكونوا جنوداً لأميرها القرشيّ حفيد الحسين، كما أنتم اليوم جنودٌ تحت سلطان المُلاّ عمر، فلا يصحّ لإمارةٍ أو دولةٍ أن تُبايع تنظيما"(٢٠٨).

من الواضح أنّ تأخر رد دولة "البغدادي" على رسالة الظواهري كان مدروساً، فقد جاء بعد نجاح التنظيم في صد الهجمات المضادة، وتوسيع سيطرته المكانية، ولم يقف عند حدود نفي وجود أي "بيعة" بين الدولة والقاعدة، والتأكيد على انحراف نهج القاعدة بزعامة الظواهري، بل اتّهم القاعدة المركزية بالعلاقة المشبوهة مع إيران، إذ يقول العدناني: "للقاعدة دين ثمين في عنق إيران"، وكشف بأنّ تنظيم الدولة لم يضرب في إيران، ولا في السعودية، تلبية لطلب القاعدة و"للحفاظ على مصالحها - أي القاعدة - وخطوط إمدادها".

كما حمّل العدناني الظواهري مسؤولية ما حدث من قتال بين الجهاديين، واتهمه بتفريق وتمزيق القاعدة ووقوعه في مخالفات شرعية ومنهجية قاتلة ووضعه أمام خيارين لا ثالث لهما؛ إذ يقول للظواهري إما أن: "تستمر في خطئك وعنادك ويستمر الاقتتال والانشقاق في العالم، أو تعترف بزلتك وتستدرك.. ونمد إليك أيدينا من جديد"، ودعاهُ لرد بيعة الجولاني باعتباره "خائنا غادرا" من أجل "حقن الدماء"، بل دعا أمير القاعدة إلى "عدم التلاعب بالأحكام والألفاظ الشرعية"، وإلى توضيح مواقفه في أمور عدّة، منها الموقف من الرئيس المصري المعزول محمد مرسي، الذي يُعتبر

(٢٠٨) أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان: عذراً أمير القاعدة، مؤسسة الفرقان، على الرابط: http:// www.youtube.com/watch?v=lrwvi5vqC_w

(٢٠٩) أبو محمد العدناني، المرجع نفسه.

كُفره واضحاً، لدى العدناني، ومن "جماعة الإخوان المسلمين"، كما دعاهُ إلى "نبذ السلمية" وإلى "دعوة المسلمين للجهاد صراحة"، وشدّد على أن قيام محكمة مستقلة أمر "مستحيل"، و"الدولة" لن تخرج من سورية، ودعا جميع فروع القاعدة كي تأخذ موقفاً رسمياً من الخلاف الدائر[٢٠٩].

من جهته، كلّف الجولاني - كما فعل البغدادي- المسؤول الشرعي العام في جبهة النصرة، وقائد عمليات المنطقة الشرقية، أبا مارية القحطاني بالرد على العدناني إذ أصدر بعد يومين كلمة صوتية في ١٣ أيار/ مايو ٢٠١٤، بعنوان "أيها المتردد"، والذي بدوره لم يتلطف وكان حاسماً بدعوة جميع "المجاهدين" في سورية، إلى قتال تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، بهدف استئصالهم كلياً، وإراحة المسلمين منهم.

وقد أكد القحطاني على أن قتال جماعة الدولة التي وصفها بـ"خوارج هذا العصر" أصبحت أمراً لا بد منه، لإيقاف همجية التنظيم، والسعي في إسقاطه، معتبراً أن أي مجاهد يتردد في قتالهم، يكون معيناً لهم في الاستمرار في ظلمهم وخيانتهم بحق الشعب السوري، مضيفاً "دواء هذه الجماعة، هو سيف عليّ الذي استأذن به عليّ الرسول لقتال الخوارج في النهروان، طالباً من الله الأجر والثواب"[٢١٠].

وحمّل القحطاني تنظيم الدولة مسؤولية سقوط حمص بأيدي النظام، عندما قطع جنود التنظيم الإمدادات على المجاهدين داخل المدينة، محذراً من سقوط حلب بنفس الطريقة، بعد كشف تنظيم الدولة، الثغور التي يرابط عليها مقاتلي الفصائل الأخرى، معتبراً أن النظام متنفع بهذا التنظيم، الذي أعان "النصيريين" على الاستمرار في انتهاك أعراض المسلمين، وقتل الأبرياء، على حد تعبيره[٢١١].

---

(٢١٠) أبو مارية القحطاني، كلمة صوتية بعنوان: أيها المتردد، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=bzFhOXwWsdU

(٢١١) المرجع نفسه.

كـانت حـرب البـيـانات والخطابات الموازية لحـرب السـيطرة المكانيـة الميدانية بداية لمرحلة جديدة داخل الفضاء السلفي الجهادي العالمي، تؤشر على صـعـود تنظيم الدولة الإسـلامـيـة في العـراق والشـام، ومـرحلة تراجع وتصدع جبهة النصرة، وانشطار تنظيم القاعدة، وبداية الصدام المسلح بين الجهاديين في سورية وتنظيم "الدولة الإسلامية"، فقد انحازت حركات وجماعات وجبهات جهادية لجبهة النصرة، واختارت مجاميع جهادية عديدة في صفوف هذه الحركات بيعة البغدادي والانضمام لتنظيم الدولة، وبدأت الفصائل الجهادية السورية مرتبكة ومفككة وغير قادرة على بناء تصوراتها المستقبلية وطبيعة العلاقة مع دولة البغدادي ونظام الأسد، وما هي طبيعة الدولة الموعودة، وعلاقاتها مع المجتمع الدولي، وقد ظهر الارتباك على أطروحاتها التكيّفية مع إعلان عدد من الفصائل بتاريخ ١٧ أيار/ مايو ٢٠١٤ عن "ميثاق الشرف الثوري"(٢١٢).

وفي الوقت الذي صدرت فيه فتاوى عديدة من هيئات وجماعات وحركات إسلامية سياسية وجهادية ودعوية تستنكر إعلان أبي بكر البغدادي عن قيام دولة الخلافة(٢١٣)، وتستند إلى عدم اكتمال الشروط الفقهية

(٢١٢) طرحت فصائل سورية مسلحة "ميثاق شرف ثوري للكتائب المقاتلة" تضمن أهم المبادئ التي تحكم العمل الثوري وبينها رفض الغلو والتكفير، واحترام حقوق الإنسان، ورفض تقسيم سورية، والاعتماد على العناصر السوريّة في القتال ضد النظام. ووقع على الميثاق كل من الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، وفيلق الشام، وجيش المجاهدين، وألوية الفرقان، والجبهة الإسلامية. وقد لقي الميثاق معارضة من طرف "جبهة النصرة"، وذلك لتركيزه على الجانب "السوريّ" وذكره الالتزام بالقوانين والمواثيق، أما تنظيم الدولة الإسلامية فلم يهتمّ لهذا الميثاق ولم يردّ عليه بصفة رسمية، وقد أصبح التوقيع على الميثاق لاحقاً وصمة كفر وعار، يلاحِق الجهاديون كل من وقّع عليه، حيث بدأ الجهاديون السوريون بالتبرؤ منه والتنصل مما جاء فيه، باعتباره تراجعاً عن فكرة الدولة الإسلامية، انظر بيان الإعلان عن ميثاق شرف ثوري للكتائب المقاتلة، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=6xPyM3bjgGw

(٢١٣) انتقدت هيئات وجماعات وشخصيات إسلامية الإعلان عن "الخلافة"، ففي العراق أكدت" هيئة علماء المسلمين" أن "إعلان أي جهة قيام دولة أو إمارة إسلامية أو غير إسلامية في ظل هذه الظروف لا يصب في صالح العراق ووحدته"، كما انتقد الشيخ الدكتور أحمد الريسوني، نائب رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي يرأسه الشيخ يوسف القرضاوي، الإعلان، وقال: إن إعلان تنظيم "الدولة الإسلامية" قيام الخلافة هو "وهم وسراب وأضغاث أحلام"، أما حزب التحرير فقد اعتبر إعلان "الخلافة" لغو لا يقدم ولا يؤخر في واقع تنظيم الدولة.

(٢١٤) انظر: خطبة وصلاة الجمعة في الجامع الكبير بمدينة الموصل "لمولانا أمير المؤمنين حفظه الله"، على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=itu6NhED9Yk

الشرعية، ومن أهمها غياب "التمكين"، وجهالة حال أبي بكر البغدادي، ظهر "الخليفة" علناً، خطيباً للجمعة في مسجد الموصل الكبير في السادس من رمضان، الموافق ٥ تموز/ يوليو ٢٠١٤ قاطعاً الجدل والسجال حول شخصيته الحقيقية ووجوده الواقعي[٢١٤].

لم تقتصر الانتقادات على إعلان "الخلافة" على التيارات والهيئات والجماعات والشخصيات من خارج التيار الجهادي، فقد انضم إلى المنتقدين عدد من رموز التيار الجهادي العالمي أمثال: أبو محمد المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني، إذ كتب المقدسي مقالاً على موقعه "منبر التوحيد والجهاد" بعنوان: "هذا بعض ما عندي وليس كله"[٢١٥]، أثار فيه جملة من التساؤلات دون أن يقطع بموقف يتناسب مع بياناته ورسائله وتصريحاته الصريحة السابقة، فهو يتساءل مشككاً بإعلان الخلافة وشرعيتها بالقول: "هل ستكون هذه الخلافة ملاذا لكل مستضعف وملجأ لكل مسلم أم سيتخذ هذا المسمى سيفا مسلطا على مخالفيهم من المسلمين.. وما مصير سائر الجماعات المسلمة المقاتلة المبايع لها من أفرادها في العراق والشام وفي كافة بقاع الأرض وما مصير دمائهم عند من تسمى بمسمى الخلافة"؟

أما أبو قتادة الفلسطيني فقد انتقد إعلان "خلافة البغدادي" بشدة، محذراً في رسالة مطولة بعنوان "ثياب الخليفة"، من أن الإعلان سيدخل العاملين المجاهدين في صراع داخلي، ويخلص إلى القول: "ما أعلنته جماعة الدولة الإسلامية في العراق بأنها "دولة الخلافة الإسلامية" باطل من وجوه.. وجهالة من جهالات الذين لا يقدرون على إنزال الفروع على الأصول"، ووصف تنظيم الدولة بأنها "جماعة بدعية.. لا يقاتل تحت رايتها إلا اضطرارا"، ونصح عقلاء الجماعة بقوله: "وعلى العقلاء من هذه

---

(٢١٥) أبو محمد المقدسي، هذا بعض ما عندي وليس كله، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:
http://www.tawhed.ws/r?i=01071401

(٢١٦) عمر محمود أبو عمر، أبو قتادة، ثياب الخليفة، على الرابط: http://eldorar.net/sites/default/files/klefha.pdf

الجماعة أن يمنعوا المزيد من الغلو فيهم إن كانوا يريدون لأنفسهم ولإخوانهم الخير"[(٢١٦)].

كانت جبهة النصرة أكثر اهتماماً بمسألة إعلان الخلافة فقد انحاز عدد من أعضائها لبيعة البغدادي، وقد جاء الرد الأشد عن طريق الشيخ أبي مارية القحطاني المسؤول الشرعي لجبهة النصرة والقائد العسكري للمنطقة الشرقية، فأكد - عبر حسابه على موقع تويتر- على أن تنظيم الدولة ينتمي إلى الخوارج الغلاة، كما أن الخلافة موهومة ومزعومة غرضها استقطاب المقاتلين العرب والعجم لسد النقص في صفوفهم.

٥- الخاتمة

تجاوزت الخلافات بين تنظيم القاعدة، وفي ظله جبهة النصرة، مع تنظيم الدولة الإسلامية محاولات الاحتواء أو رأب الصدع، ولم تقف عند حدود العراق وسورية، ولا حتى لبنان، إذ انعكست عبر حالة من الاستقطاب في أوساط التيارات السلفية الجهادية في مناطق تواجدها، ما بين مؤيد ومؤمن بنموذج الدولة الإسلامية وآخرين بنموذج القاعدة والنصرة.

أصبحنا، بالفعل، اليوم أمام تيارين متباينين، بل ومتخاصمين ومتصارعين، يُكفّر ويُخوّن كلّ منهما الآخر، فقيادات السلفية الجهادية والقاعدة والنصرة ترى بأنّ التيار الآخر هو من الخوارج- التكفيريين، وأنّه يخدم بأجندته خصوم الحركات السلفية الجهادية، وأنّه نموذج لن يكتب له الاستمرار، بالرغم من القوة الراهنة الحالية، وربما يختزل لنا أبو قتادة الفلسطيني هذا الرهان بعدم استمرارية نموذج الدولة بوصفه بـ"فقاعة".

بينما يصف أبناء تنظيم الدولة الإسلامية الظواهري بالانحراف عن منهج أسامة بن لادن، والنصرة بالخيانة ونقض البيعة والوفاء مع تنظيم الدولة، ويصرّون على أنّ هذا التنظيم وما يقدمه من نموذج على القوة والصلابة والشراسة في القتال مع الخصوم هو الأقدر على الاستمرار

والدفاع عن المجتمعات السُنيّة وهويتها في كل من العراق وسورية ولبنان، وهو الأكثر وضوحاً في تعريف مصادر الخطر والتهديد، وفي مقدمتها الشيعة والنفوذ الإيراني في المنطقة والأنظمة العربية المحافظة التي تحارب هذا التنظيم.

وفي مواجهة آراء التيار الرافض لإقامة الدولة الإسلامية وعدم الاعتراف بها، نشر مقرّبون من هذا التيار كتباً وردوداً عديدة للدفاع عن الدولة والرد على الخصوم، فنجد ذلك في موضوع الخلاف بين الدولة والقاعدة حول جبهة النصرة، وحول إقامة الدولة الإسلامية، وحول الاقتتال بين الفصائل، وأخيراً حول إعلان الخلافة[٢١٧].

ما تزال صورة الانقسام داخل الأوساط السلفية الجهادية عالمياً وعربياً فيها قدر كبير من الضبابية، فهنالك مجموعات أعلنت، بوضوح أو ضمنياً، تأييدها لتنظيم الدولة، سواء كان عبر إعلان البيعة أو تبنّي شعار التنظيم أو محاكاة أساليبه، مثل مجلس شورى المجاهدين في درنة- ليبيا[٢١٨]، ومجموعات داخل التيار السلفي الجهادي الأردني[٢١٩] والمغاربي[٢٢٠]، بينما ما

(٢١٧) تعتبر مدونة جرير الحسني، على شبكة الانترنت، من أبرز المواقع المتخصصة في نشر ردود المقربين من الدولة على الطرف الآخر، انظر رابط المدونة: http://thabat111.wordpress.com/page/6/

(٢١٨) عبد الله سليمان علي، داعش في درنة الليبية: محكمة شرعية واستمالة ضباط، السفير البيروتية، ٢٠١٤/١٠/٢٢ .

(٢١٩) انظر، على سبيل المثال الحالة الأردنية تقرير تامر الصمادي، تنظيم الدولة.. قبلة الجهاديين الأردنيين، الجزيرة نت، على الرابط:

http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2014/10/25/%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D9%82%D8%A8%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%87%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%AF%D9%86%D9%8A%D9%8A%D9%86

(٢٢٠) انظر: وليد رمزي، انقسام القاعدة في المغرب الإسلامي حول دولة الخلافة، موقع مغاربية الالكتروني، ٢٠١٤/٧/١٨، على الرابط: http://magharebia.com/ar/articles/awi/features/2014/07/18/feature-01

(٢٢١) انظر: سعود بن صالح السرحان، قاعدة اليمن.. بوادر تصدّع والبغدادي يتقدم، صحيفة الشرق الأوسط، ١٣ اكتوبر ٢٠١٤، على الرابط: http://www.aawsat.com/home/article/199751

تزال مجموعات على علاقتها بالقاعدة المركزية، مثل أنصار الشريعة في تونس، فيما هنالك حالة من الاختلاف والتباين في داخل مجموعات أخرى، مثل قاعدة الجزيرة العربية في اليمن[٢٢١].

أصبح تنظيم الدولة الإسلامية يقدّم نموذجاً واقعياً منافساً للقاعدة يسعى إلى سحب البساط من تحت أقدامها والحصول على شرعية تمثيل التيار السلفي الجهادي، بوصفه قصة نجاح في صناعة القوة والشوكة وتحقيق حلم إقامة الدولة الإسلامية، وهي أهداف كبرى ضمن دائرة مفاهيم وقيم أبناء هذا التيار، إلاّ أنّ نجاح هذا النموذج يعتمد على قدرته على الاستمرار والبقاء، وهو تحدٍّ كبير ووجودي، بخاصة بعد أن تشكّل تحالف دولي وإقليمي لمحاربته عسكرياً، في كل من العراق وسورية، وربما التطورات الأخيرة تطرح سؤالاً آخر بدورها فيما إذا كانت هزيمة التنظيم عسكرياً في كل من العراق وسورية ستقضي على النموذج أو تضعفه وتردّ الاعتبار للطرف الآخر، القاعدة الأمّ، أم أنّنا أمام ولادة جيل جديد من أبناء السلفية الجهادية يتجاوز في رؤيته الأيديولوجية وسلوكه الطرح التقليدي السلفي القاعدي؟

سنؤجّل الجواب على هذا السؤال إلى أن نناقش الأفق المستقبلي في خاتمة الكتاب، لكن بعد أن نتطرق في الفصول الأخيرة، لتطور المسار الأيديولوجي لتيار السلفية الجهادية عموماً، ثم البناء الهيكلي التنظيمي لكل من تنظيم الدولة الإسلامية والنصرة.

الفصل الخامس

الصراع على أيديولوجيا السلفية الجهادية

الفصل الخامس

الصراع على أيديولوجيا السلفية الجهادية

مقدّمة

بالرغم من الاختلاف الواضح بين ما آلت إليه أيديولوجيا تنظيم الدولة الإسلامية من جهة وتنظيم القاعدة من جهةٍ أخرى؛ إلاّ أنّهما ينتميان إلى رحم السلفية الجهادية نفسه، ويمثّلان مرحلة جديدة من تطوّره وانقسامه الجديد، لكنّهما يشتركان معاً في جملة من القضايا المركزية المهمة، التي تمثّل الجذر الأيديولوجي الأساس لكل من ينتمي إلى هذا التيار العام.

ومن الضروري التذكير، هنا، بأنّ الحركة السلفية الجهادية المعاصرة وممثلها الأبرز تنظيم القاعدة، كانت قد دشنت قطيعة واضحة مع الفكر الإسلامي الإصلاحي، الذي تبلور مع نهاية القرن الثامن عشر، وامتد حتى منتصف القرن العشرين، إذ وضعت مفهوم الجهاد في قلب أولوياتها، وأعادت تشكيل دلالاته النظرية والواقعية؛ من مفهوم مرتبط بالصراع الخارجي أو مع الاحتلال إلى مفهوم ثوري يهدف إلى الانقلاب على مجمل الأوضاع والأطروحات الإصلاحية التي تطالب بتطبيق الشريعة تدريجياً، بالاعتماد على منهج سلمي في الوصول إلى غاياتها وأهدافها.

أصبح مفهوم "الجهاد" مع السلفية الجهادية المعاصرة أقرب إلى أيديولوجيا ثورية انقلابية تهدف إلى الإطاحة بالأنظمة "الجاهلية" التي تتحكم في مصائر العالمين العربي والإسلامي، استناداً إلى مبدأ "الحاكمية" الذي ينص على كُفر ورِدَّة الأنظمة، والدول الإسلامية المعاصرة التي تكونت

عقب أفول المرحلة الاستعمارية، وقيام الدولة الوطنية المعاصرة التي تبنت منهجاً يقوم على أساس الفكرة القومية، أو الديمقراطية الليبرالية، أو الاشتراكية اليسارية، أو خليطاً من هذه الأيديولوجيات.

الخلافات القائمة في أوساط السلفية الجهادية، وما انبثق عنها من التيارين الرئيسين المذكورين، لم تُطح بالمفاهيم المؤسسة للسلفية الجهادية، فكلاهما يؤمن بإقامة الدولة الإسلامية، وبكُفر الحكومات العربية التي لا تطبق الشريعة الإسلامية، وبمبدأ الولاء والبراء، وبالقتال كاستراتيجية للتغيير، وبالمواجهة مع الولايات المتحدة الأميركية والغرب، وبالعقائد الإلهية المستمدة من الأدبيات السلفية التاريخية المعروفة، وبرفض الطريق الديمقراطية، وبخطأ مسار الجماعات الإسلامية الأخرى، مثل جماعة الإخوان المسلمين، والفروع السلفية التي لا تتبنى العمل المسلح، مثل السلفية التقليدية والحركية، لكنّهما تختلفان في قضايا أخرى لا تقل في الأهمية عن الأولى، ولا تدخل جميعاً في باب التكتيك، فهنالك رؤيتان مختلفتان لهيكلية الصراع وأولوياته؛ هل هو مع الشيعة عموماً والفصائل الإسلامية الأخرى، التي تختلف مع طرح السلفية الجهادية، كما فعل تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسورية، أم التركيز على العداء مع الولايات المتحدة والغرب ومحاولة استمالة الأنصار والمؤيدين وعقد التحالفات مع الإسلاميين الآخرين، كما فعلت النصرة؟

تمتد مساحة الاختلاف ودوائره إلى العديد من القضايا، مثل الموقف من إقامة الدولة (أو إمارة التوحش)، والموقف من الشيعة والتوسع في العمليات الانتحارية، وحدود التكفير والتضليل، ومسائل متعلقة بالقتل والدماء وغيرها من مسائل خلقت فجوة واسعة بين التيارين.

في هذا الفصل سنقدّم صورة مختصرة لمسارات السلفية الجهادية وتطور رؤيتها الأيديولوجية تاريخياً، والمراحل التي مرّت بها، منذ بروزها في

منتصف الستينيات، كجماعات محلية، مروراً بـ"الجهاد التضامني" في المحطة الأفغانية في الثمانينيات، ثم تأسيس نواة القاعدة في آخر ذلك العقد، والانتقال لاحقاً نحو الصيغة العالمية في الجهاد، وبروز الجيل الجديد بعد الحرب الأميركية ـ الأفغانية ٢٠٠٢، وصولاً إلى مرحلة ظهور "الدولة الإسلامية" وتشكّل أيديولوجيتها المختلفة، فالمراجعات التي قامت بها القاعدة المركزية، ومحاولتها لـ"التكيف الأيديولوجي" مع الربيع العربي، وصولاً إلى أيديولوجيا النصرة، وانفجار الخلافات الأيديولوجية الأخيرة.

١- "الآباء المؤسسون" لأيديولوجيا السلفية الجهادية

تطوّر مفهوم الجهاد، في حقبة الدولة العربية الوطنية الحديثة، واستُخدِم في سياق مواجهة الأنظمة المحلية باعتبارها لا تتوافر على المبادئ الأساسية للشرعية الدينية الإسلامية، وتلبسها بالطغيان والاستبداد، وموالاة المستعمر.

وبالرغم من أنّه أحد أبرز قادة جماعة الإخوان المسلمين في مصر ومنظّريها الأيديولوجيين؛ يعتبر سيد قطب، في الوقت نفسه، أحد مؤسسي أيديولوجيا السلفية الجهادية المعاصرة، فقد شكّلت أفكاره قطيعة مع الفكر الإصلاحي الإسلامي، ومنعرَجاً في رؤية جماعة الإخوان.

يُعتبر كتاب قطب "معالم في الطريق" دستوراً تعتمد عليه السلفيات الجهادية في مجمل أطروحاتها، حول الرؤية، ومنهج الحركة، وآلية التغيير، والعمل، بناءً على مفهومين تأسيسيين؛ وهما: "الحاكمية" و"الجاهلية"، وقد استعار قطب مفهوم "الحاكمية" من المفكر الإسلامي في شبه القارة الهندية، أبي الأعلى المودودي.

الجاهلية، بحسب قطب، "تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله في الأرض، وعلى أخص خصائص الألوهية وهي "الحاكمية"، فهي تسند

الحاكمية للبشر في صورة إعطائهم حتى وضع التصورات والقيم والشرائع والقوانين والأنظمة والأوضاع بمعزل عن منهج الله للحياة"(٢٢٢).

لقد كان الدافع الأساس لسيد قطب عند بحثه لمفهوم الحاكمية والجاهلية وحكم "الدار" العربية والمسلمة اليوم (هل هي بلاد إسلامية أم لا؟)، هو التأكيد على نزع الشرعية عن الأنظمة العالمية القائمة اليوم، سواء أقومية كانت، أم اشتراكية، أم ديمقراطية، تمهيداً لتغييرها والانقلاب عليها، وذلك عن طريق التأكيد على الوظيفة الثورية الانقلابية لمفهوم "الجهاد" في الإسلام، فشنّ حملة لا هوادة فيها ضد كل من يقصر الجهاد على وظيفة الدفاع في مواجهة العدو الخارجي، فأولئك الذين يتبنون هذا النهج، وفقاً له "مهزومون روحيًا، وعقليًا تحت ضغط الواقع اليائس لذراري المسلمين الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان:

"إن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع، أو يحسبون أنهم يسدون إلى هذا الدين جميلاً بتخليه عن منهجه، وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعًا، وتعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد، إلى العبودية لرب العباد! لا بقهرهم على اعتناق عقيدته، ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة، بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة، أو قهرها حتى تدفع الجزية، وتعلن استسلامها، والتخلية بين جماهيرها، وهذه العقيدة"(٢٢٣).

ويمكن القول أن الظروف، التي مرت بها مصر بعد انتصار ثورة تموز/يوليو ١٩٥٢، وتحديداً مع الاضطهاد الذي تعرضت له جماعة الإخوان المسلمين غداة حادث المنشية ١٩٥٤، تسبّبت، بشكل كبير، في انقسام الجماعة، بين تيار سلميّ قادهُ حسن الهضيبي، وتيار ثوريّ قادهُ سيد قطب،

(٢٢٢) سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، ص١٠ .

(٢٢٣) سيد قطب، ثلاث رسائل في الجهاد، دار عمار، عمان، ١٩٩١، ص١١٣ - ١١٤ .

وكان ذلك بدايةً لتشكّل وتكوّن الجماعات الجهادية، التي بدأت بالظهور والتناسل منذ ذلك الحين(٢٢٤).

ثمّ شهدت السلفية الجهادية تطوراً ملموساً على يد الأكاديميّ الفلسطيني الدكتور صالح سرية(٢٢٥)، الذي عمل منذ استقراره في مصر عام ١٩٧٤، على إنشاء جماعة جهادية، عرفت باسم "الكلية الفنية العسكرية"، ووضع خلاصة فكره في "رسالة الإيمان"، التي كتبها عام ١٩٧٣، وتُعدّ هذه الرسالة بمثابة الأساس الإيديولوجي للحركات الجهادية اللاحقة.

يشخص سرية (في رسالته) المشكلة المعاصرة في المجتمع بمصطلح "الردِّة الجماعية"، ويُحّدد الأساس المنهجي الذي يسمح بتكفير الدولة، وتجهيل المجتمع، بوصفهما كينونتين عامتين.

تبدأ الرسالة بمعاينة الواقع لتحديد الهوية، ثمّ الحكم على المجتمعات العربية والإسلامية بالكفر، ويقرر أنه لا إيمان إذا لم يقترن القول بالعمل، وعليه فإن حصر الدين في العبادة، يكافئ النمط الكنسي، الذي يفصل التشريع والمعاملات.

وفي أحسن الأحوال اعتباره شريكاً مع المصادر الأوروبية الغربية

---

(٢٢٤) كان أول تنظيم جهادي في مصر قد ظهر سنة ١٩٥٨، بقيادة الشاب نبيل برعي، الذي خرج من جماعة الإخوان المسلمين، وطالب باستخدام العنف، واعتمد في أفكاره بشكل رئيسي على ابن تيمية منهجاً للحركة، ثم انشق عنه علوي مصطفى سنة ١٩٧٣، الذي أنشأ تنظيماً جديداً أسماه تنظيم "الجهاد"، وعن الظروف والملابسات التي رافقت تطور أفكار قطب من سلمية إلى راديكالية أنظر: محمد أحمد خلف الله، "الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي"، ندوة، مقالة "الصحوة الإسلامية في مصر"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ص ٦٤-٦٧ .

(٢٢٥) صالح سرية من مواليد عام ١٩٤٧، ولد في يافا في فلسطين، وعاصر أحداث أيلول في الأردن، التي أسفرت عن خروج التنظيمات الفلسطينية من الأردن، واستقرارها في بيروت، بعد صدام مسلح، ولم يشارك سرية في هذه الأحداث، انتقل بعدها إلى العراق، ثم فر إلى مصر سنة ١٩٧١، هرباً من حكم غيابي بالإعدام، على خلفية اتهامه بتكوين خلية لحزب التحرير، ومناهضة النظام الحاكم. وفي مصر عمل في مقر جامعة الدول العربية، وهو حاصل على شهادة الدكتوراه في التربية من جامعة عين شمس، أسس سنة ١٩٧٣ تنظيم "شباب محمد"، الذي عرف باسم "الفنية العسكرية"، ودبر انقلاباً فاشلاً، وأعدم سنة ١٩٧٥، ولا صلة له بحزب التحرير تنظيمياً، وإن كان قد اطلع على تراث الشيخ تقي الدين النبهاني.

(الرأسـمـاليـة)، والشـرقيـة (الاشـتـراكيـة)، والعـربيـة المصطنعـة (القوميـة والوطنيـة)، وكل مـا يتمـخض عنهـا من مـؤسسـات ومظاهـر "تغـريبيـة" مـادية وثقافية، تُعَد كفراً وَرِدَّةٍ جماعية.

يبنـي سـرية علـى مـا سـبق حكمـاً خطـراً وهو أنّ الأنظمـة القـائمـة في جميع بلاد الإسلام، هي أنظمة كافرة، والمجتمعات فيها كلها مجتمعات جاهلية، فالتكفير في الدولة ينسحب على كل القوانين المخالفة للإسلام، وكل الممارسات والسلوكيات المنافية للإسلام. أمّا على صعيد الأفراد فإن كل من يوالي هذه الأنظمة ويعتبرها إسلامية ويؤيد إجراءاتها، وسياساتها الباطلة فهو كافر[٢٢٦].

السبيل الوحيد، وفقاً لسرية، هو "الجهاد لتغيير هذه الحكومات وإقامة الدولة الإسلامية"، وهو "فرض عين على كل مسلم ومسلمة، لأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة"[٢٢٧].

كانت أواخر السبعينيات، وبداية الثمانينيات من القرن الماضي حاسمة في صعود عدد من الجماعات الجهادية في مصر، التي أعطت زخماً إضافياً للجهادية المحلية، وآذنت بانتشارها في شتى أقطار العالم العربي والإسلامي، وقد جاءت المساهمة الكبرى في التنظير لأفكار الجماعات السلفية الجهادية عن طريق المهندس محمد عبد السلام فرج[٢٢٨]، الذي وضع كتاباً بعنوان "الفريضة الغائبة" (يقصد بها الجهاد)، يعد الركيزة الأساسية والمرجع الرئيس للجماعات الجهادية السلفية.

---

(٢٢٦) صالح سرية، رسالة الإيمان، اتحاد طلاب كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٧، ص٢٨ .

(٢٢٧) المرجع السابق، ص ٣٧ .

(٢٢٨) محمد عبد السلام فرج من مواليد عام ١٩٦٢، تخرج في كلية الهندسة، جامعة القاهرة، وعمل في نفس الجامعة، له اطلاع واسع على كتابات سيد قطب، والمودودي، بالإضافة إلى تراث ابن تيمية، وابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب، كان أول أمير لجماعة الجهاد، وهو المخطط الرئيس لاغتيال الرئيس المصري السابق أنور السادات، ألقي القبض عليه بعد حادث المنصة في ٦ تشرين الأول/ اكتوبر١٩٨١، وحكم عليه بالإعدام، ونفذ فيه سنة ١٩٨٢، ويعتبر كتابه "الفريضة الغائبة" دستور الحركات السلفية الجهادية في العالم العربي والإسلامي.

يقرر فرج -في كتابه- بأن غالبية الجماعات الإسلامية تجتمع على هدف محدد هو إقامة الدولة الإسلامية، تأسيساً على أن الدولة الحالية لا تمت إلى الإسلام بصلة، ويجتهد في البرهنة والاستدلال على مسألتين أساسيتين، هما: كفر الدولة القائمة حالياً، في أي مكان من العالم العربي والإسلامي، ووجوب القتال باستحضار ركن "الجهاد"، باعتباره الوسيلة الشرعية الوحيدة القادرة على إحداث التغيير المنشود.

يستند فرج في تكفير الدولة على مسألة "التشريع"، الذي تحكم به نخبة علمانية، تُصر على اعتبار الشعب هو مصدر السيادة، وتمنح المجالس النيابية صفة المشرع الوحيد في دساتيرها. وهكذا؛ فإن الشريعة الإسلامية تُختزل بوصفها جزءاً يسيراً من مصادر تشريعات ذات جذور رأسمالية أو اشتراكية أو وطنية أو قومية، وهذا ما يجعل الدولة اليوم (وفقاً لفرج) كافرة[٢٢٩] عملاً بالنص القرآني "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون".

يؤسس فرج على تكفير الحكومات العربية اليوم بوجوب القول بفرضية الجهاد وفق استراتيجية تقوم على العنف، من أجل خلع هذه الأنظمة وتغييرها لإقامة الدولة الإسلامية، وذلك وفق معيارين هما: أولاً تحديد العدو القريب، والعدو البعيد، وثانياً القتال والجهاد، باعتباره فرض عين على كل مسلم[٢٣٠].

في الحقبة نفسها (السبعينيات والثمانينيات من القرن المنصرم)، تنامت وانتشرت الحركات الإسلامية الراديكالية، فقد ظهرت "الطليعة المقاتلة" في سورية، بزعامة مروان حديد، واصطدمت مع النظام الحاكم، وفي الجزائر ظهر تنظيمٌ سلفيٌّ جهادي، بقيادة مصطفى بويعلى، وفي المغرب ظهرت أفكار عبد الكريم مطيع، كما ظهرت في السعودية جماعة جهيمان العتيبي، الذي سيطر على الحرم المكي عام ١٩٧٩، وفي أفغانستان

(٢٢٩) محمد عبد السلام فرج، الجهاد: الفريضة الغائبة، على الرابط: http://alkalema.net/algehad.htm
(٢٣٠) المرجع السابق.

أعلن في العام نفسه عن بدء الجهاد ضد النظام الموالي للاتحاد السوفييتي، ثم الدخول في صدام مسلح مع القوات السوفييتية بعد دخولها إلى أفغانستان.

٢- من الجهاد التضامني إلى العالمية

استقطب الجهاد الأفغاني معظم رموز السلفية الجهادية، وفي مقدمتهم الشيخ عبد الله عزام، الذي عمل على تأسيس "مكتب الخدمات"، منذ وصوله إلى أفغانستان عام ١٩٨٤، وكان بن لادن والظواهري، وبقية شيوخ السلفية الجهادية قد جاءوا إلى أفغانستان من مختلف أنحاء العالمين العربي والإسلامي، وعملوا على تأسيس معسكرات خاصة بهم.

شهدت تلك المرحلة توسعاً في المفاهيم التي جاء بها مؤسسو الخطاب السلفي الجهادي، أمثال قطب، وسرية، وفرج، كالحاكمية والجاهلية والجهاد، وقد أثر القادمون من الجزيرة العربية على مجمل الأطروحات الجهادية، فبدأ منظرو التيار بالاستفادة من تراث أئمة الدعوة الوهابية النجدية على وجه الخصوص، وبدت أطروحاتهم أكثر التصاقاً بالتراث الحنبلي، وخصوصاً أطروحات الفقيه الحنبلي ابن تيمية، وتلاميذه أمثال ابن القيم، وابن كثير وابن رجب الحنبلي، وصيغته الحديثة مع محمد بن عبد الوهاب، وأبنائه وأتباعه، وقد بدأ التوسع في مفاهيم الولاء والبراء، والحكم بغير ما أنزل الله، ومفهوم الإرجاء في العقيدة، والعذر بالجهل، ونواقض الإيمان، والطائفة المنصورة، والديمقراطية، والطاغوت، وغيرها من المسائل المعروفة في العقائد السلفية الوهّابية، وقد شكلت هذه القضايا (الحاكمية، الجاهلية، الجهاد، الولاء والبراء،..) أسس منظومةٍ أيديولوجية متكاملة للسلفية الجهادية تنتهي إلى القول بتكفير الأنظمة والدول في أرجاء العالم كافة، كفراً أصلياً لأهل الكتاب من أتباع الديانات السماوية، والمنظومات الرأسمالية الديمقراطية، والاشتراكية والشيوعية والقومية لأتباع

الأيديولوجيات الوضعية، وكُفر رِدَّة وشِرك ونِفاق في العالمين العربي والإسلامي ممن تخلوا عن المرجعية الإسلامية أو زاوجوا بين المنظومة الإسلامية التاريخية والمنظومة الحداثية الغربية، وهي المسألة التي أخذت مساحة واسعة في الفكر السلفي الجهادي، وربما يلخّص أساس هذه الرؤية الأيديولوجية، الأب الروحي للمجاهدين العرب الأفغان، د. عبد الله عزام، إذ يقول "التحاكم إلى الكتاب والسنة هو الإسلام فحسب، ولهذا فالتحاكم إلى كلام البشر عن رضا وطواعية هو خلع لربقة الإسلام من الأعناق، فكل من رضي بترك كلام الله وبتحكيم كلام غيره، أو تقديم كلام أي بشر على القرآن والسنة، فلا حظ له في دين الإسلام، وهذا هو الكفر بعينه، لا غبش فيه ولا لبس ولا خفاء". ويضيف "الطاغوت هو الطاغوت، عربياً كان أو أمريكياً، أو أفغانياً، أو روسياً، فالكفر ملة واحدة، والذين يشرعون بغير ما أنزل الله كفار وإن صلوا وصاموا وأقاموا الشعائر الدينية، والقانون الذي يحكم به في الأعراض والدماء والأحوال هو الذي يحجج هوية الحاكم من حيث الكفر والإيمان"(٢٣١).

وضع الجيل الأول للقاعدة بزعامة بن لادن المبادئ الأساسية للتنظيم، الذي تبلور عام ١٩٨٨، فأصبحت القاعدة تنظيماً مركزياً يتوافر على هيكلية واضحة المعالم بإمارة بن لادن، التي تمت من خلال بيعة الأعضاء، ووجود مجلس شورى ولجان متعددة، كاللجنة العسكرية والمالية والإدارية والمالية والإعلامية، لم تكن أفكار ذلك الجيل وأيديولوجيته قد استقرت(٢٣٢) حول جملة من القضايا الرئيسة، واتّسم في البدايات بالسريّة البالغة، ولم يكن له نشاط إعلامي مستقل.

---

(٢٣١) عبد الله عزام، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، ص ٩٤، وانظر: أبو عبادة الأنصاري، مفهوم الحاكمية في فكر الشهيد عبد الله عزام، مركز الشهيد عبد الله عزام الإعلامي، بيشاور، باكستان.

(٢٣٢) حول تنظيم القاعدة، انظر: عبد الباري عطوان، القاعدة: التنظيم السري، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ وجيل كيبيل، الفتنة: حروب في ديار المسلمين، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ وكميل الطويل، القاعدة وأخواتها: قصة الجهاديين العرب، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ .

ثمّ شكلّت حرب الخليج الثانية ١٩٩١ منعطفاً حاسماً في ظهور "الجيل الثاني" للقاعدة، عقب خروج القوات السوفييتية من أفغانستان عام ١٩٨٩، ثم تفكك الاتحاد السوفيتي وانهيار المنظومة الاشتراكية. ومع دخول الجماعات الأفغانية المحلية في صراع داخلي مسلح، بدأ الجهاديون العرب والأجانب هناك بالبحث عن جبهات وأماكن جديدة آمنة، فباشرت الحركات الجهادية قتالاً عنيفاً في بلدانها الأصلية، خلال عقد التسعينيات، كما حدث في الجزائر وليبيا ومصر والشيشان والبوسنة وغيرها، واختار بعض الجهاديين البقاء إلى جانب أحد فصائل المجاهدين الأفغان المتناحرة، واختار البعض الأخر اللجوء إلى أوروبا وخصوصا بريطانيا، التي أصبحت مركزاً إعلامياً ولوجستياً للحركات السلفية الجهادية في العالم وباتت تعرف بـ"لندنستان"(٢٣٣).

ويبدو أن الفشل الذي أسفرت عنه عمليات الصدام مع الأنظمة المحلية، والتحولات الاقتصادية في أغلب الدول العربية نحو القطاع الخاص والاندماج في العولمة عقب انهيار الاتحاد السوفييتي وتفكك المنظومة الاشتراكية، وما نجم عنها من تداعيات اجتماعية وثقافية داخل العديد من المجتمعات العربية؛ كل ذلك ساهم في بلورة "الجيل الثاني" للقاعدة، إذ تولدت قناعة لدى بعض قطاعات السلفية الجهادية، قوامها أن الأنظمة العربية والإسلامية (العدو القريب) لا تقوم بذاتها، وإنما بغيرها، وعلى رأسها الدولة المهيمنة الولايات المتحدة الأميركية.

انتهت تلك الاستنتاجات إلى بلورة نظرية جديدة على يد "أسامة بن لادن" و"أيمن الظواهري"، أسفرت عن ولادة " الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين والأمريكان" عام ١٩٩٨(٢٣٤)، تقوم على مفهوم جهاد

(٢٣٣) حول هذه المرحلة انظر: جيل كيبل، جهاد: انتشار وانحسار الإسلام السِّياسي، ترجمة نبيل سعد، دار العالم الثالث، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ . وراي تاكيه ونيكولاس عفولايف، نشوء الإسلام السِّياسي الراديكالي وانهياره، ترجمة حسان بستاني، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ .

(٢٣٤) بيان صادر عن تنظيم القاعدة العالمي: إعلان الحرب على أمريكا، أفغانستان، ١٩٩٨ .

"النكاية"، من خلال تنفيذ عمليات انتحارية ونوعية، تهدف إلى إلحاق الأذى بالقطب الأميركي المهيمن وتجبره على التخلي عن دعم وإسناد الأنظمة العربية والإسلامية السلطوية، والمستعمرة الاستيطانية (إسرائيل) وتضطره إلى الخروج من المنطقة.

نظّر الظواهري - في كتابه "فرسان تحت راية النبي"[٢٣٥]- للاستراتيجية الجديدة، التي تقوم على تدويل الجهاد والثورة المعولمة، ونجد أنّ هنالك ثلاثة متغيرات وشروط رئيسة تفسّر هذا التحول في أيديولوجيا القاعدة - التي أصبحت بمثابة الممثل الأول للسلفية الجهادية-؛ الأول: محلي وطني يتمثل بإغلاق الأنموذج السياسي وفشل وعود التحول الديمقراطية ورسوخ الاستبداد، والثاني: إقليمي يتمثل بعدم التوصل إلى سلام عادل وحقيقي في فلسطين، والثالث: عالمي تمثل بانهيار الاتحاد السوفيتي وسيادة القطب الأميركي الواحد وحلول العولمة[٢٣٦].

كانت أولى عمليات القاعدة الدولية الخارجية عقب الإعلان عن تأسيس "الجبهة الإسلامية العالمية"، تنفيذ سلسلة تفجيرات تستهدف المصالح الأميركية في شرق إفريقيا في نيروبي ودار السلام عام ١٩٩٨.

ثمّ وقعت هجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، وكانت حاسمة في ظهور "الجيل الثالث" للقاعدة، فقد أسفرت عن قيام الولايات المتحدة باحتلال أفغانستان وإزاحة نظام حكم طالبان، من خلال حشد تحالف دولي بهدف القضاء على القاعدة، وأعلنت عن سياستها الموسومة بـ "الحرب على الإرهاب".

وعلى الرغم من الضربات التي تعرض لها تنظيم القاعدة باغتيال عدد

---

(٢٣٥) أيمن الظواهري، فرسان تحت راية النبي، نشر في صحيفة الشرق الأوسط، كانون الأول/ ديسمبر٢٠٠١، ص ٤١ .

(٢٣٦) فرانسوا بورغا، الإسلام السياسي في زمن القاعدة، ترجمة سحر سعيد، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص٦٠ .

من أبرز قيـاداتهـا الأيديولوجيـة والعسكرية: أمـثال أسـامـة بن لادن، وأنور العولقي، وأبي مصعب الزرقاوي، وأبي يحيى الليبي، وعطية عبد الرحمن، وأبي اليزيد المصري، وأبي حفص المصري، وأبي الليث الليبي، واعتقال خالد شيخ محمد، وأبي زبيدة، ورمزي بن الشيبة، وأبي الفرج الليبي، وغيرهم، إلا أن تنظيم القاعدة برهن على قدرته على التكيُّف مع التحديات مع ظهور "الجيل الثالث"، فقد بدا أكثر خطورة وابتكاراً، فقد دشن عولمة الحركة السلفية الجهادية وتمكن من إنشاء فروع إقليمية في مختلف القارات، وتزامن ظهور الجيل الثالث في العالم الواقعي مع ظهور "الجيل الأول" من الجهاديين في الفضاء السيبيري مع تنامي ديناميكية العولمة والثورة الاتصالية.

لقد عملت السلفية الجهادية – وهي الفضاء الإيديولوجي الواسع لتنظيم القاعدة- على عولمة حركتها وفعاليتها في سياق الاستجابة والرد على عولمة سياسة "الحرب على الإرهاب"، وأظهرت قدرة على التكيُّف والنمو والتجدُّد بعد تعرضها لضربات عسكرية وأمنية أسفرت عن مقتل واعتقال عدد من قياداتها البارزة في شتى أنحاء المعمورة، وذلك بعد دخول القوات الأميركية وقوات حلف الناتو إلى أفغانستان عقب هجمات الحادي عشر من أيلول /سبتمبر ٢٠٠١، إلا أن فقدان القاعدة لملاذها الآمن ومركزيتها في أفغانستان عمل على إحياء الجدل بين منظريها حول موضوعة مركزية التنظيم التي كان يدافع عنها "أبو بكر ناجي" في كتابه "إدارة التوحش"[(٢٣٧)]، ولامركزيته التي تبناها "أبو مصعب السوري" في كتابه "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية"[(٢٣٨)].

وفي الوقت الذي بدا أن أيديولوجيا القاعدة والجهادية العالمية توشك

(٢٣٧) أبو بكر ناجي، إدارة التوحش. بدون تاريخ، ص٢٦، على الرابط: http://www.tawhed.ws/c?i=62

(٢٣٨) أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، طبعة ذي القعدة ١٤٢٥هـ/ ديسمبر ٢٠٠٤م، ص ٨٩٦ .

على الأفول، شكّل الاحتلال الأميركي للعراق في التاسع من نيسان/ أبريل ٢٠٠٣، وإسقاط نظام صدام حسين، ولادة ثانية للقاعدة عن طريق الزرقاوي وشبكته، وإحياء نموذج جهادي جديد أشد عنفاً وأكثر فعالية يقوم على أساس "الهوية" وقتال التمكين.

معالم أيديولوجيا تنظيم الدولة الإسلامية

عندما أطلق الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش حملته العسكرية على العراق في العشرين من آذار/ مارس عام ٢٠٠٣، كان من المفترض أن تختتم فصول سياسة "الحرب على الإرهاب" عبر الإطاحة بنظام صدام حسين "الاستبدادي" واستبداله بنظام "ديمقراطي" موال للولايات المتحدة تمهيداً لتدشين "شرق أوسط جديد".

لكن بعد مرور أكثر من عشرة أعوام على الاحتلال، وقرابة عامين على انسحاب القوات الأميركية من العراق عام ٢٠١١، تبيّن أن السياسات الأميركية فشلت في بناء ديمقراطية مستقرة موالية، كما فشلت في الحدّ من النفوذ الإيراني، وبدلاً من ذلك أدّت إلى تفتيت المجتمع وتدمير الدولة، بل ساهمت بولادة جيل جديد من الجهاديين الأشد خطراً، كما هيأت ملاذات آمنة لتنظيم "القاعدة"، وأصبحت العراق مختبراً لولادة أيديولوجية جهادية على أسس هوياتية سُنيّة أكثر توحشاً وأشد فتكاً وأوسع انتشاراً.

اعتمد الزرقاوي في بناء شبكته وتنظيمه، إيديولوجياً وفكرياً وفقهياً، على أسس تتجاوز الجهاد التضامني ومنطق حروب النكاية، وهي الاستراتيجيات التي حكمت التجربة الأفغانية ثم أيديولوجيا القاعدة في مرحلتها الجديدة، وبدلاً من ذلك تأسست رؤية الزرقاوي الأيديولوجية على إدارة التوحش وتحقيق التمكين، لذلك فقد توجهت اختياراته الاستراتيجية نحو أطروحات أبي بكر ناجي في كتاب "إدارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمة"، وهي المرحلة الجهادية الانتقالية التي تفصل بين مرحلة بناء

"شوكة النكاية" وتفضي إلى الوصول لمرحلة "شوكة التمكين". أما على الصعيد الفقهي فقد اعتمد الزرقاوي على مرجعية شيخه أبي عبدالله المهاجر، الذي كان له الأثر المباشر في بناء عقيدة الزرقاوي القتالية ونهجه الفقهي، خصوصاً المسائل المتعلقة بأولوية قتال "العدو القريب" المتمثل بالمرتدين من الأنظمة العربية والإسلامية الحاكمة، وكذلك مسألة تكفير الشيعة عموماً. فمعظم خيارات الزرقاوي الفقهية المتشددة الخاصة بالعمليات الانتحارية، ومسألة التترس، وعمليات الاختطاف والاغتيال، وقطع الرؤوس، وتكتيكات العنف والرعب، كان قد تلقاها من شيخه أبي عبدالله المهاجر(٢٣٩).

لنبدأ أولاً بكتاب أبي بكر ناجي(٢٤٠)، فهو يؤسس لبناء عقيدة قتالية واستراتيجية عملية للطائفة الجهادية تقوم على أسس دينية إسلامية تستعير النموذج السلطاني الذي يستند إلى فقه الشوكة والغلبة والقوة، وإلى التراث الغربي الثوري الحداثي ومنهج الحروب الكلاسيكية الحديثة وتكتيكات حرب العصابات، وكلاهما يقومان على أسس موضوعية مادية تستند إلى "سنن كونية" مشتركة.

---

(٢٣٩) انظر: بيان حقيقة علاقة البغدادي بأميرنا الزرقاوي، مرجع سابق، على الرابط: http://www.sunnti.com/vb/showthread.php?t=15452

بحسب المسؤول الإعلامي لجماعة الزرقاوي ميسرة الغريب: "كان شيخنا الزرقاوي رحمه الله يُحب شيخه "أبا عبد الله المهاجر" ـ فك الله أسره ـ ويُجلُّه ويثني عليه ويَوَدُّ لو يأتي إلى العراق، وكانت قرائنُ الحال تَدُلُّ أنه لو أتى لأوكل إليه مسؤولية الهيئة الشَرعية، وكان شيخُنا يحثني على تدريس الطلبة كتاب الشيخ المهاجر "أعلام السنة المنشورة في معالم الطائفة المنصورة" وكنا صورناه، وبدأتُ تدريسَه للإخوة، هذا فضلاً عن كتاب "فقه الدماء" الذي كنا ننتظر وصوله إلى الفلوجة وقتَها ولم يصل إلى أن بدأتْ معركة الفلوجة الثانية، وكان الشيخ ذكر لي أنه دَرَسَه عند الشيخ "المهاجر" أربعَ سنوات إن لم تخني ذاكرتي... ثم دارت الأيام ودخل الكتاب إلى العراق بعد أحداث الفلوجة الثانية وطُبِعَت منه نسخٌ كثيرة جداً، تحت اسم "مسائل من فقه الجهاد"، وهو كتابٌ جيد قوي، جدير أن يلخَّص منه ويُدَرَّس للإخوة المجاهدين. انظر: ميسرة الغريب، من خفايا التاريخ، الزرقاوي كما عرفته، مرجع سابق، ص ٣ .

(٢٤٠) ينتمي أبو بكر ناجي إلى الجيل الأول من الجهاديين الافتراضيين، ولا يُعرف من هو في العالم الواقعي، وهي ظاهرة برزت مع الثورة الاتصالاتية على شبكة الإنترنت نهاية عقد التسعينيات من القرن الماضي، ولا أحد يعرف هويّة الجهاديين الواقعية الحقيقية، وقد شهد العالم الافتراضي ظهور موجات من القيادات الجهادية الافتراضية، حيث اشتهر من الموجة الأولى من الجهاديين الافتراضيين التي ظهرت عام ٢٠٠٢: أبو بكر ناجي، وأبو عبيدة القرشي، ولويس عطية، ومن الموجة الثانية التي ظهرت عام ٢٠٠٦: حسين بن محمود وعطية الله، ومن الموجة الثالثة التي ظهرت عام ٢٠٠٩: عبد الرحمن الفقير ويمان مخضب وأسد الجهاد ٢ .

ما يريد أن يصل إليه ناجي من تلك المقدمات هو القول بأنّ بناء الدولة هي مسألة كونية إنسانية، كما هي شرعية دينية، أي أنّ هنالك شروطاً مادية وواقعية تمثّل العامل الأهم في بناء الدولة وقوتها وضعفها، ولا يجوز إهمالها، بل البحث عن السنن والقوانين الاجتماعية الخاصة بها.

يستعير ناجي مفهوم "التوحش" من الفكر الخلدوني، وهو يكافئ مفهوم "الفوضى"، ويؤكد ناجي على حتمية مرحلة التوحش والفوضى ويبحث في طرائق استثمارها، كي تفضي إلى تحقق وقيام "الدولة الإسلامية"، فـ "إدارة التوحش هي المرحلة القادمة التي ستمر بها الأمة، وتُعد أخطر مرحلة فإذا نجحنا في إدارة هذا التوحش ستكون تلك المرحلة – بإذن الله – هي المعبر لدولة الإسلام المنتظرة منذ سقوط الخلافة، وإذا أخفقنا – أعاذنا الله من ذلك – لا يعني ذلك انتهاء الأمر ولكن هذا الإخفاق سيؤدي لمزيد من التوحش..!! ولا يعني هذا المزيد من التوحش الذي قد ينتج عن الإخفاق أنه أسوأ مما هو عليه الوضع الآن أو من قبل في العقد السابق (التسعينيات) وما قبله من العقود بل إنَّ أفحش درجات التوحُّش هي أخفُّ من الاستقرار تحت نظام الكفر بدرجات"[(٢٤١)].

يدرس ناجي –في كتابه– تجارب تاريخية عديدة شهدت إدارة التوحش، ويؤكد على أن الدولة الحديثة يمكن الإطاحة بها نظرياً عن طريق قوتين: "الشعوب"، و"الجيوش"، إلا أنهما باتا مدجنين بوسائل عديدة من الإلهاء والشراء والتلاعب، كما أن الدولة الوطنية تخضع لقوى دولية ونظام عالمي يحرص على الحفاظ على بقائها وإدامة الهيمنة والسيطرة، ومع ذلك فإن المجتمع قد ينتج طائفة لا تخضع لاشتراطات الواقع، تتوافر على فهم طبائع الدولة والمجتمع والسنن الكونية وتسعى إلى التغيير، وعلى الرغم من الإمكانات الكبيرة للدول المهيمنة إلا أنه يؤكد على أنها تقوم على "وهم القوة" الذي تسنده آلة إعلامية جبارة كاذبة، حيث يقول: "صحيح أن هذه القوة

---

(٢٤١) أبو بكر ناجي، إدارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمة، مرجع سابق، ص ٤.

جبارة وأنها تستعين بقوة أنظمة محلية من الوكلاء الذين يحكمون العالم الإسلامي إلا أنها رغم كل ذلك لا تكفي، لذلك لجأ القطبان إلى عمل هالة إعلامية كاذبة تصور هذه القوى أنها لا تقهر، وأنها تحيط بالكون وتستطيع أن تصل إلى كل أرض وكل سماء وكأنها تحوز قوة خالق الخلق"[٢٤٢].

ولضمان نجاح إدارة التوحش، لا بد من تحقيق مهمات عديدة؛ وهي: نشر الأمن الداخلي، وتوفير الطعام والعلاج، وتأمين منطقة التوحش من غارات الأعداء، وإقامة القضاء الشرعي بين الناس الذين يعيشون في مناطق التوحش، ورفع المستوى الإيماني ورفع الكفاءة القتالية أثناء تدريب شباب منطقة التوحش وإنشاء المجتمع المقاتل بكل فئاته وأفراده عن طريق التوعية بأهمية ذلك، والعمل على بث العلم الشرعي والدنيوي، وبث العيون واستكمال بناء إنشاء جهاز الاستخبارات المصغَّر، وتأليف قلوب أهل الدنيا بشيء من المال والدنيا بضابط شرعي وقواعد معلنة بين أفراد الإدارة على الأقل، وردع المنافقين بالحجة وغيرها وإجبارهم على كبت وكتم نفاقهم وعدم إعلان آرائهم المثبطة ومن ثم مراعاة المطاعين منهم حتى يُكف شرهم، والترقي حتى تتحقق إمكانية التوسع والقدرة على الإغارة على الأعداء لردعهم وغنم أموالهم وإبقائهم في توجس دائم وحاجة للموادعة، وإقامة التحالفات مع من يجوز التحالف معه ممن لم يعط الولاء الكامل للإدارة"[٢٤٣].

يقدم ناجي مجموعة من القواعد الأساسية تفضي إلى الانتقال من النكاية والإنهاك إلى الشوكة والتمكين، ويقوم بشرحها مطولاً، ويمكن وصفها بـ "الوصايا" العشر في إدارة التوحش، وهي: ١- إتقان الإدارة، ٢- من يقود ومن يدير ومن يعتمد القرارات الإدارية الأساسية؟ ٣- اعتماد القواعد العسكرية المجربة، ٤- اضرب بقوتك الضاربة وأقصى قوة لديك في أكثر

(٢٤٢) المرجع السابق، ص ٧.

(٢٤٣) المرجع السابق، ص ١٢ .

نقاط العدو ضعفاً، ٥- تحقيق الشوكة، ٦- فهم قواعد اللعبة السياسية، ٧- الاستقطاب، ٨- قواعد الالتحاق، ٩- إتقان الجانب الأمني وبث العيون، ١٠- إتقان التربية والتعلم أثناء الحركة(٢٤٤).

وإذا كان أبو بكر ناجي يقدم رؤية استراتيجية عامة لطبائع الصراع وآليات العمل الجهادي العسكري، فإن شبكة الزرقاوي وصولاً إلى خلافة البغدادي كانت قد طورت رؤيتها الاستراتيجية الخاصة بصورة أكثر حدة وفعالية، كما أنها لم تُدمج وصايا ناجي رسمياً وبوضوح كدليل عمل للتنظيم إيديولوجياً واستراتيجياً، ولم تعتمد كتاباته في تكوين القيادات والكوادر، على خلاف كتب ورسائل أبي عبدالله المهاجر، التي تعتبر الأساس الفقهي والأيديولوجي لتنظيم الدولة منذ بداياتها، وتُعتمد كسلطة مرجعية حاكمة. لكن مع ذلك فإنّ كتاب ناجي يعتبر مفتاحاً مهماً لتفسير الاختلاف بين استراتيجية القاعدة، التي تقوم على ما يسمى بجهاد "النكاية" مع العدو البعيد، واستراتيجية تنظيم الدولة التي تقوم على تأسيس الإمارات والأحكام في المرحلة الانتقالية، حيث تشهد حالة من الفوضى وتفكك الدول والمجتمعات، وعدم الاكتفاء بقتال العدو البعيد.

أمّا كتاب "مسائل من فقه الجهاد" للمهاجر فهو الأساس الفقهي المعتمد، ودليل العمل الإرشادي لتنظيم الدولة الإسلامية، وللكتاب تسمية أخرى رائجة لدى الجهاديين وهي: "فقه الدماء". ويستند المهاجر في مرجعيته إلى الكتاب والسُنّة والتراث الفقهي السُنيّ التاريخي بمذاهبه الفقهية الأربعة (الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي) عموماً، إلا أنه يعتمد بصورة خاصة على المذهب الحنبلي، وخصوصاً اختيارات ابن تيمية وابن القيم والمدرسة السلفية الوهابية الحنبلية.

يشير المهاجر في مقدمته إلى أن الكتاب "في الأصل: الباب الثاني من

(٢٤٤) المرجع السابق، فهرس المحتويات، ص ١.

رسالة أخرى كبيرة بعنوان "الجامع في فقه الجهاد"، وهو الباب الخاص بـ "أحكام الدماء وما يتعلق بها"[٢٤٥].

وباستعراض أبواب الكتاب، نجد تطبيقاته واضحة ميدانياً، وتسري روح الكتاب في كافة خطابات زعماء تنظيم الدولة الإسلامية بدءاً من الزرقاوي مروراً بأبي عمر البغدادي وصولاً إلى أبي بكر البغدادي، إذ يؤسس الكتاب لنهج التنظيم وخياراته الفقهية.

يتناول الكتاب في المسألة الأولى حكم الأنظمة السياسية المعاصرة، ويصل إلى نتيجة مفادها أنها داخلة في حد الكُفر والرِدَّة، ثم يستعرض الأحكام المترتبة كُفرها ورِدَّتها وفي مقدمتها وجوب قتالها باعتبار أنها تحولت إلى دار حرب، ففي بحث "دار الحرب"، يقرر المهاجر أن الدول في العالم وفي مقدمتها العربية والإسلامية كافّة دخلت في حد الرِدَّة والكُفر، ويجب قتالها، فهو يقول: "وهذه الأحكام باقية حتى تعم الدعوة، وتبلغ الكلمة جميع الآفاق، ولا يبقى أحد من الكفرة، وذلك باق متماد إلى يوم القيامة"[٢٤٦]، ثم يخلص إلى القول "انعقد إجماع أهل الإسلام كافة على أن دار الكفر: دار إباحة للمسلمين؛ فإذا دخلوها بغير أمان: فلهم التعرض لدماء الكفار وأموالهم بما شاؤوا"[٢٤٧].

وفي المسألة الثانية يتبنى الكتاب القول بأن لا عصمة من القتل واستحلال المال إلا بالإيمان، فعلّة جواز القتل لا ترتبط بمسألة المحاربة، إذ أن مجرد الكفر يعني الدخول في حد الحرب وجواز أو وجوب القتل، فهو يقرر بأن "كل كافر لم يؤمّنه أهل الإسلام بعهد من ذمة أو هدنة أو أمان: فلا عصمة له في دم أو مال"[٢٤٨] . وقد بحث في المسألة الرابعة مشروعية اغتيال الكافر المحارب، وخصص المسألة الخامسة في جواز العمليات

(٢٤٥) أبو عبدالله المهاجر، مسائل من فقه الجهاد، ص ٨، على الرابط: http://ia601203.us.archive.org/19/items/kotobjehad/masael.pdf

(٢٤٦) المرجع السابق، ص ٢٨ .

(٢٤٧) المرجع السابق، ص ٢٧ .

(٢٤٨) المرجع السابق، ص ٢٩ .

الاستشهادية (الانتحارية)، وعلى الرغم من إقراره بأن المسألة بصورتها المعاصرة تعتبر من "النوازل"، إلا أنه يستدل على جوازها بحوادث متشابهة تاريخيا ونصوص قرآنية وأحاديث نبوية عامة، ويقرر بالقول: "ظهر بما سبق معنا: مشروعية العمليات الاستشهادية بصورتها المعاصرة بدون أدنى شبهة"(٢٤٩).

وفي المسألة السابعة يقرر الكاتب مشروعية رمي الكفار وقتلهم وقتالهم بكل وسيلة تحقق المقصود، إذ يقول "فيشرع لعباد الله المجاهدين في سبيله إعلاء لكلمته: رمي الكفار الحربيين، وقتلهم، وقتالهم بكل وسيلة تخطف نفوسهم، وتنزع أرواحهم من أجسادهم تطهيرا للأرض من رجسهم، ورفعا لفتنتهم عن العباد أيا كانت هذه الوسيلة"(٢٥٠)، ويؤكد على بداهة مشروعية امتلاك واستخدام الأسلحة غير التقليدية حين يقول "إذا تقرر معنا مشروعية رمي الكفار المحاربين، وقتلهم وقتالهم بكل وسيلة تحقق المقصود في قتال الطلب، وإن كانت الوسيلة هي ما يعرف اليوم بأسلحة الدمار الشامل، من الأسلحة النووية، والكيمياوية، والجرثومية ونحوها عند الحاجة إليها، فلا شك في تقرير هذه المشروعية من باب الأولى في قتال الدفع، أي عند نزول العدو الكافر ديار الإسلام"(٢٥١).

أمّا في المسألة الثامنة فيبحث مشروعية رمي الكفار الحربيين بكل ما يمكن من السلاح وإن اختلط بهم من لا يجوز قتله من المسلمين. وفي المسألة التاسعة يتحدث عن مشروعية أعمال التخريب في أراضي وأملاك ومنشآت العدو.

ثم تأتي المسألة العاشرة بعنوان مشروعية خطف الكفار الحربيين، وفي

(٢٤٩) المرجع السابق، ص ١١٤ .

(٢٥٠) المرجع السابق، ص ١٦٣ .

(٢٥١) المرجع السابق، ص ١٨٧- ١٨٨ .

المسألة الحادية عشرة بحث في أحكام المثلة[٢٥٢]، وقد خصص المسألة الثانية عشرة في مشروعية قطع رؤوس الكفار المحاربين، فبحسب المهاجر "لم يختلف أحد من فقهاء الإسلام في مشروعية قطع رؤوس الكفرة المحاربين، وحزّها سواء كانوا أحياء أو أمواتا، بل ذلك عندهم من البديهيات المسلّمات لتواتر المسلمين عليه في جهادهم لأعداء الله جيلا بعد جيل، وقبيلا بعد قبيل من عهد النبوة وإلى يوم الناس هذا"[٢٥٣].

من الواضح أنّ كتاب المهاجر لا نظير له في بحث الوسائل الممكنة التي تفضي إلى القتل، فهو كما أُطلق عليه "فقه الدماء".

لم تكن الإيديولوجيا الدينية التي وضعها ناجي والمهاجر بشقيها النظري والعملي مجرد إرشادات وتوجيهات عامة، بل أصبحت تشكل دليلاً ومنهاجاً لحركة تنظيم الدولة الإسلامية وسلوكه العنيف، وقد أخذت بعداً تطبيقياً في بيئة مثالية للعمل الجهادي في العراق تحققت فيه شروط التوحش والفوضى من خلال الاحتلال الأميركي الذي عمل على تفكيك بنى الدولة، وتفتيت بنية المجتمع على أسس هوياتية صريحة اثنية عرقية، عربية-كردية بصورة أساسية، ودينية مذهبية؛ شيعيّة ـ سُنيّة بصورة رئيسة.

اجتمعت الشروط والأسباب والظروف الموضوعية من الاحتلال الخارجي والاستبداد الداخلي والانقسام البنيوي، الأمر الذي استثمره الزرقاوي وخلفاؤه في تطوير أيديولوجية جهادية قتالية على أساس ديني هوياتي مذهبي في إطار "حاضنة اجتماعية" داخل المجتمع السُنيّ، عانت من القمع والاستبداد والاستبعاد المركب، وقد اكتسبت أطروحته قوة متزايدة وزخماً حركياً، إضافة إلى قدرات عسكرية وأمنية أكبر، تمثلت بانضمام الضباط السابقين في الجيش العراقي، وخبرة المتطوعين العرب في ميادين القتال.

---

(٢٥٢) المرجع السابق، ص ٥٦٩-٥٧٣ .

(٢٥٣) المرجع السابق، ص ٢٧٨ .

جبهة النصرة: مراجعات القاعدة و"التكيّف الأيديولوجي"

تستند إيديولوجيا "جبهة النصرة" إلى مصادر سلفية جهادية متنوعة، إلا أنها تفتقر إلى التجانس والتماسك نظراً لحداثة نشأتها عقب انطلاق الثورة السوريّة في آذار/ مارس ٢٠١١، والإعلان عن تأسيسها في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢، فقد تكونت من خليط هجين من المقاتلين بدعم وإسناد الفرع العراقي، فالسلطة العلمية المرجعية لجبهة النصرة تستند أساساً إلى السلفية الحركية، التي نشأت من رحم جماعة الإخوان المسلمين، وتتبع المدرسة الجهادية التي وضع أصولها النظرية سيد قطب، وأخذ بها أيمن الظواهري زعيم جماعة الجهاد المصرية والقاعدة لاحقاً، وتتباها مروان حديد، مؤسس جماعة "الطليعة المقاتلة" في سورية، وبلور أطروحاتها عبدالله عزام الأب الروحي للأفغان العرب في أفغانستان، وطور مستنداتها أبو مصعب السوري في الشتات.

ثمّة روافد متعددة، إذاً، لأيديولوجيا النصرة؛ ويعود خيطها الرئيس لفكر السلفية الجهادية العام، وما مرّ به من تحولات، وقفنا عليها في الفقرات السابقة، وصولاً إلى ما استقرت عليه بعد ما يسمّى بمراجعات القاعدة المركزية، التي كشفت عنها الوثائق التي حصل عليها الأميركيون في مخبأ أسامة بن لادن لحظة مقتله، ونُشرت لاحقاً.

تُفصح تلك الوثائق المهمة عن استياء قيادة القاعدة من مسار الفرع العراقي، خلال مرحلة أبي مصعب الزرقاوي، مروراً بالإعلان عن قيام الدولة الإسلامية في العراق، وفيها إقرار واضح بجوانب الفشل لدى الشبكة في اجتذاب تأييد الشارع العربي عموماً، وبارتكاب أخطاء جسيمة من قبل بعض الفروع، مثل التوسع في عمليات التترس، ما يؤدي إلى قتل مدنيين أبرياء، واستسهال التكفير.

تصل تلك الوثائق، وهي عبارة عن رسائل متبادلة بين بن لادن وقيادات فكرية إلى ضرورة تصحيح المسار، عبر الاندماج في المجتمعات العربية

والمسلمة، حتى لو أدّى الأمر إلى تغيير اسم القاعدة نفسه، وتبنيّ عناوين أخرى، لتحسين الصورة، سياسياً وإعلامياً وشعبياً(٢٥٤).

عزّزت حقبة الثورات الشعبية العربية من أهمية هذه المراجعات وإخراجها إلى العلن، ونجد خلال المرحلة الأولى من عمر هذه الثورات مجموعة من المقالات والرسائل لقيادات في القاعدة تعكس حالة القلق لديها من خسارة الشارع العربي والإسلامي، وتُظهر محاولات من قبل هذه القيادات لما يمكن أن نسميّه "تكيّفاً أيديولوجياً"، يتم من خلاله تطوير خطاب السلفية الجهادية وحركاتها لكي لا تصطدم بحركة الشعوب السلمية، لكن مع الإبقاء على "النواة الصلبة" في هذه الأيديولوجية، التي تقوم على مبدأ الحاكمية وتطبيق الشريعة الإسلامية، ومواجهة الولايات المتحدة الأميركية، لكن مع ردّ الاعتبار للخيار السلمي في التحرك الشعبي من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية(٢٥٥).

انبثقت عن هذه المراجعات فكرة "أنصار الشريعة"، التي كانت لها تطبيقات عملية في اليمن وتونس، ونجد صداها في اسم الجبهة نفسه وهو النصرة، الذي يقوم على ضرورة الاندماج في الشعوب والاهتمام بالقضايا العامة، في مواجهة الاستبداد، وإقامة النظام الإسلامي، وتوجيه الخيار الثوري نحو الإسلامية، لكن مع البقاء خارج قبة البرلمان وحدود اللعبة السياسية(٢٥٦).

تقوم فكرة أنصار الشريعة على التحوّل من العمل النخبوي النوعي ذي

---

(٢٥٤) يمكن العودة إلى نص الوثائق وتنزيلها من خلال الموقع الإلكتروني لمركز مكافحة الإرهاب الأميركي، على الرابط التالي:

https://www.ctc.usma.edu/posts/letters-from-abbottabad-bin-ladin-sidelined

وانظر كذلك تشكيكاً في الرسائل من موقع مقرب من تنظيم الدولة الإسلامية على الرابط التالي:

http://the-islamic-state.blogspot.com/2013/09/blog-post_7584.html

(٢٥٥) انظر: محمد أبو رمان، من "السلفية الجهادية" إلى "أنصار الشريعة": التكيف مع حقبة الثورات الديمقراطية العربية والدور السياسي الجديد، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلد ٤٢، ع ٢، ٢٠١٤، ص ٢٣٦-٢٤١ .

(٢٥٦) المرجع نفسه ص ٢٤١-٢٥١ .

الطبيعة العسكرية المحضة إلى العمل الشعبي الإعلامي والسلمي العام تحت شعار تطبيق الشريعة الإسلامية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو تحوّل نوعي وكبير مقارنةً في المراحل السابقة من تطوّر أيديولوجية السلفية الجهادية، التي آلت إلى عمل عسكري، والتحول في نهاية التسعينيات من قتال "العدو القريب" (الأنظمة العربية) إلى "العدو البعيد" (الولايات المتحدة الأميركية)؛ فيما الآن أصبح هنالك دمج في أبعاد الصراع، بين الإبقاء على مشروع "عولمة الجهاد" والصدام مع الولايات المتحدة الأميركية من جهة، والسعي إلى استثمار موجة الحراك الثوري الشعبي للدفع نحو تطبيق الشريعة الإسلامية في الدول والمجتمعات التي تتخلص من الأنظمة العربية.

ونجد من خلال متابعة سلوك النصرة، واندماجها في المجتمع، وبحثها عن الأنصار في المجتمع المحلي ومخرجات المراجعات القاعدية المركزية، أنّ هنالك تماثلاً كبيراً، وهو ما يفسّر حرص النصرة والقاعدة في البداية على عدم الإشارة إلى علاقته بالمركز أو الفرع العراقي تجنباً للأخطاء التي وقع فيها التنظيم في العراق، وتعمية على الأجهزة الاستخبارية، ولتسهيل مسار العمل مع الفصائل المسلحة الأخرى وفق نهج "الأنصار".

فبحسب "النهج الجديد"، لا بد من الابتعاد عن إعلان الانتماء للقاعدة، في سبيل عدم إعطاء النظام السوريّ مبررات قمع الثورة تحت ذريعة محاربة "الإرهاب"، وعدم إثارة الولايات المتحدة، وتجنباً لإثارة الحاضنة الاجتماعية اللازمة لجلب مزيد من الأنصار، لكن الجولاني اضطر للكشف عن علاقته بالقاعدة بعد إعلان البغدادي عن إقامة الدولة الإسلامية في العراق والشام، كما يصرّح بذلك الظواهري "فوجئنا بالإعلان [يقصد إعلان الفرع العراقي في نيسان ٢٠١٣ ضم جبهة النصرة] الذي وفّر للنظام السوري ولأمريكا فرصة كانوا يتمنونها"، فضلا عن: "جعل عوام أهل الشام يتساءلون ما لهذه القاعدة تجلب الكوارث علينا؟ ألا يكفينا بشار؟ هل يريدون أن يجلبوا علينا أمريكا أيضا؟"[٢٥٧].

(٢٥٧) أيمن الظواهري، الواقع بين الألم والأمل، مرجع سابق، على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=4630

وجدت قيادة النصرة ضالتها لتعزيز المنهج الجديد في كتب ورؤية أبي مصعب السوري، أحد منظري السلفية الجهادية العالمية، كما ذكرنا سابقاً، وقد طوّر رؤيته الخاصة بالاستناد إلى تراث السلفية الحركية الإخوانية، ممثلة بسيد قطب وعبدالله عزام، مرورا بمروان حديد، والاتكاء على مفهوم "حرب المستضعفين"[٢٥٨].

وتعد كتابات السوري السلطة المرجعية الأساسية لأبي محمد الجولاني مسؤول جبهة النصرة، خصوصاً كتبه: "ملاحظات حول التجربة الجهادية في سورية"، و"أهل الشام في مواجهة النصيرية والصليبية واليهود"، وكتابه الأهم "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية"، الذي يؤسس لبناء "سرايا المقاومة الإسلامية"، ومفهوم الجهاد الفردي (الذئاب المنفردة)، وتحويل الجهاد إلى مشروع أمة، من خلال إنشاء خلايا يجمع بينها الفكر والعقيدة والهدف دون أن تكون في تنظيم يعتمد على هيكلية التنظيمات التقليدية.

الخاتمة

حظيت جبهة النصرة – بعد بروز الخلافات والصدام مع تنظيم الدولة الإسلامية– بدعمٍ كبير من قيادة القاعدة المركزية، وكبار منظّري التيار السلفي الجهادي، فأصدر أبو محمد المقدسي رسالة بعنوان "ليس كمن ترضى بشق ابنها"[٢٥٩]، وأبو قتادة الفلسطيني رسالة بعنوان "رسالة لأهل الجهاد في الشام"[٢٦٠]، كما ظهرت مواقف وكلمات ورسائل عديدة مؤيدة لقرار الظواهري وصواب نهجه ونصرة "جبهة النصرة" من أمثال الشيخ

---

(٢٥٨) قام أبو مصعب السوري بشرح أحد أهم الكتب التي تناولت "حرب المستضعفين"، وله تسجيلات صوتية في شرح الكتاب، وهو يعتمد عليه بصورة أساسية في كتابه "دعوة المقاومة"، انظر: روبرت تابر، حرب المستضعفين: دراسة كلاسيكية في حرب العصابات، تعليق الشيخ أبي مصعب السوري، مرجع سابق، على الرابط: http://alplatformmedia.com/vb/showthread.php?t=20998

(٢٥٩) أبو محمد المقدسي، ليس كمن ترضى بشق ابنها، على الرابط: http://www.tawhed.ws/r?i=17111301

(٢٦٠) أبو قتادة الفلسطيني، رسالة لأهل الجهاد في الشام، على الرابط: http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=335311

سليمان العلوان وإياد القنيبي وغيرهما، ما يشي بأنّ النصرة أصبحت تمثّل المرحلة الجديدة التي استقر عليها المسار العام لأيديولوجيا القاعدة والسلفية الجهادية.

لكنّ -في الوقت نفسه- لم تعد النصرة ولا القاعدة الجديدة تمثّلان الخط الوحيد في الوسط الجهادي، إذ برز هنالك خط آخر، وهو أيديولوجيا الدولة الإسلامية، الذي يستقطب بدوره مجموعة من المنظّرين ونسبة كبيرة من الجيل الجهادي الشابّ الصاعد، ليس فقط في العراق وسورية، بل في مناطق مختلفة من العالم العربي والإسلامي، كما رأينا سابقاً. فقد انحاز لقرار البغدادي وتنظيم الدولة عدد من مناصريه من بعض جهاديي الجيل الثاني والثالث الأكثر نشاطاً في العالم الافتراضي، ومنهم: أبو سعد العاملي في رسالة "تنبيه الأنام لما في التفرقة من آثام وأهمية التوحد في دولة الإسلام"(٢٦١)، وأبو الحسن الأزدي في رسالة "موجبات الانضمام للدولة الإسلامية في العراق والشام"(٢٦٢)، وأبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري في كتابه "مد الأيادي لبيعة البغدادي"(٢٦٣)، وأبو المنذر الشنقيطي في بيانه "نصرة لإعلان دولة الإسلام متى يفقهون معنى الطاعة"، وأبو محمد الأزدي في كتابه "المعارضين لدولة المسلمين"، والشيخ عاني العلم في رسالته "رد الشبهات عن الدولة الإسلامية- شرعية الدولة وصحتها"، وأبو يوسف البشير في رسالته "البيعة ثم البيعة ثم البيعة"، وأبو المنذر عمر مهدي زيدان في مقالات عديدة، وغيرهم(٢٦٤).

(٢٦١) أبو سعد العاملي، تنبيه الانام لما في التفرقة من آثام وأهمية التوحد في دولة الاسلام، على الرابط: https://archive.org/details/bayan_2013

(٢٦٢) أبو الحسن الأزدي، موجبات الانضمام للدولة الاسلامية في العراق والشام، على الرابط: http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=329431

(٢٦٣) أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري، مد الأيادي لبيعة البغدادي، على الرابط: https://archive.org/details/baghdadi-001

(٢٦٤) لمزيد من التفصيل عن الرسائل التي أيدت تنظيم الدولة الإسلامية ومعرفة وروابطها، انظر: http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=337513

الفصل السادس

تطوّر البناء الهيكلي لتنظيم "الدولة الإسلامية"

الفصل السادس

تطوّر البناء الهيكلي لتنظيم "الدولة الإسلامية"

مقدّمة

أثارت القدرات، التي أظهرها تنظيم الدولة الإسلامية، بصورة خاصة منذ العام ٢٠١٤، جملة كبيرة من الأسئلة والتساؤلات عن الأسباب والعوامل، التي يعتبرها البعض أسراراً وألغازاً؛ فيما ما حققه من انتصارات عسكرية خاطفة على خصومه، سواء أكانت جيوشاً نظامية، كما هي حال الجيش العراقي الذي انهار أمامه بسهولة في مدينة الموصل ومدن عراقية أخرى، وكذلك الجيش السوري، كما حدث في مطار الطبقة العسكري والفرقة ١٧، أو حتى فصائل مسلّحة منافسة، كما هي الحال في سورية، مع جبهة النصرة والقوى الإسلامية الأخرى.

لم تقف قدرات التنظيم وكفاءته عند المجال العسكري، فحتى في الجانب الاقتصادي، أصبح يمتلك موارد مالية هائلة، تتجاوز التنظيمات الجهادية والإسلامية الأخرى قاطبة، ما يشي بأنّ هنالك جهازاً محترفاً هو الذي يدير هذا القطاع المهم والأساسي في نجاح أي عمل تنظيمي أو مؤسسي.

والحال كذلك في المجال الأمني، إذ نفّذ التنظيم عمليات تتطلب مستوىً عالٍ من الاحتراف والمعلومات الاستخبارية الدقيقة، كما حدث في الموصل، أو الاغتيالات، التي طاولت قيادات في الأطراف المتصارعة معه، أو حتى تأمين حماية قياداته العليا، في الوقت الذي تترصّدهم أهم الأجهزة

الاستخباراتية العالمية والإقليمية والأقمار الصناعية وأجهزة التصنت المتطورة تماماً.

ليس ذلك فحسب، بل في المجال الإعلامي، أيضاً، فاق التنظيم ما وصلت إليه فصائل السلفية الجهادية والعديد من الفصائل الإسلامية في القدرة على توظيف شبكة الإنترنت للتجنيد والدعاية والتعبئة والإعلام، وفي إنتاج أفلام على مستوىً عالٍ من الجودة التقنية، باللغتين العربية والإنجليزية، ومجلات متطوّرة، وأصبح إنتاجه الإعلامي موضوعاً للدراسة والبحث من قبل الاختصاصيين في هذا المجال.

يحاول هذا الفصل الوقوف عند تحولات البنية الهيكلية لتنظيم الدولة الإسلامية، منذ المرحلة المبكّرة، عندما كان يطلق عليها "جماعة التوحيد والجهاد"، مروراً بالانتماء للقاعدة، ثم الإعلان عن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق، بعد مقتل الزرقاوي، وصولاً إلى الصيغة الراهنة التي تطوّرت مع مرحلة أبي بكر البغدادي، وإعلان الخلافة.

والهدف من دراسة البناء التنظيمي الداخلي، والغوص داخل بنى التنظيم وأجهزته وأقسامه يتمثّل في استكشاف الديناميكيات والمؤسسات، التي تقف وراء هذه القدرات والمهمات، وما تتوافر عليها من كفاءات ووظائف، ما قد يمنحنا زوايا من تفسير هذا المستوى الاحترافي في عمله في مجالات متعددة.

١- بُنية جماعة التوحيد والجهاد

غداة احتلال الولايات المتحدة العراق ٢٠٠٣، عمل الزرقاوي على إعادة بناء شبكته الجهادية، بالاعتماد على نواتها الصلبة التي تشكلت في هيرات، فأحاط نفسه بمجموعةٍ من أشد المخلصين له. ومن أبرز الشخصيات التي كانت معه: أبو حمزة المهاجر، وهو مصري تولى إمارة التنظيم بعد مقتل

الزرقاوي، وأبو أنس الشامي، وهو أردني كان أول مسؤول شرعي للجماعة، ونضال محمد عربيات، وهو أردني من مدينة السلط يعتبر خبيراً بالمتفجرات، ومسؤولاً عن تفخيخ معظم السّيارات التي تبنتها الجماعة، ومصطفى رمضان درويش (أبو محمد اللبناني)، وهو لبناني الجنسية، وأوراس أبي عمر الكردي، وثامر العطروز الريشاوي، وهو ضابط عراقي سابق، وعبد الله الجبوري (أبو عزام) وهو عراقي، وعمر حديد (أبو خطاب) وهو عراقي أيضاً، ومحمد جاسم العيساوي (أبو الحارث)، وهو عراقي كذلك، وأبو ناصر الليبي، أبو أسامة التونسي، وقد قتل جميع هؤلاء عام ٢٠٠٣، باستثناء أبو عزام الذي قتل عام ٢٠٠٥. ومن الأردنيين الذين كانوا موضع ثقة الزرقاوي: موفق عدوان، وجمال العتيبي، وصلاح الدين العتيبي، ومحمد الصفدي، ومعاذ النسور، وشحادة الكيلاني، ومحمد قطيشات، ومنذر شيحة، ومنذر الطموني، وعمر العتيبي.

اعتمد الزرقاوي في بناء شبكته وتنظيمه، أيديولوجياً وفكرياً وفقهياً، على مرجعية شيخه أبي عبدالله المهاجر، فقد كان له الأثر المباشر في بناء عقيدته القتالية ونهجه الفقهي.

شهدت شبكة الزرقاوي تطوراً وازدهاراً لافتاً، من دون استخدام تسمية محددة والالتزام بهيكلية تنظيمية واضحة، وبحسب أبي أنس الشامي: كان الزرقاوي ينتظر أن تقوم جماعة عراقية بالإعلان عن نفسها ومن ثم يعمل معها ومن خلالها، الا أن الشامي اقترح تشكيل هيكلية للجماعة، باسم "التوحيد والجهاد"، وقد تردد الزرقاوي لفترة بذلك، إذ كان يعمل من خلال مجلس شورى لشبكته من المقربين إليه، ثم اقتنع بالإعلان عن الجماعة، فبدأت جميع البيانات والإصدارات المسموعة والمرئية والمقروءة تصدر باسم الجماعة.

تم تشكيل هيكلية محددة بقيادة الزرقاوي ومجلس شورى للجماعة، ولم

يكن قد عيّن في هذه الفترة أي نائب للزرقاوي، وتأسست لجانٌ عدّة أهمها اللجنة العسكرية، والإعلامية، والأمنية، والمالية، والشرعية العلمية، وقد ترأس أبو أنس الشامي اللجنة الشرعية وكان أول مسؤول شرعي للجنة، وذلك أواخر شهر أيلول/ سبتمبر عام ٢٠٠٣.

٢- الهيكل التنظيمي لقاعدة الجهاد في بلاد الرافدين

عقب ثمانية شهور من الاتصالات بين "التوحيد والجهاد"، وتنظيم القاعدة، خضع أخيراً التنظيم المركزي لشروط الزرقاوي على مضض، دون أن يتنازل الزرقاوي عن استراتيجيته ونهجه، فأعلن الزرقاوي عن بيعته لأسامة بن لادن (٨ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٤)، وإلغاء العمل باسم جماعة التوحيد والجهاد، وتأسيس "قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين".

توسع التنظيم في عهده، وتميزت هيكليته بالمرونة، فلا يوجد ثبات بالمطلق، فكان الزرقاوي يمسك جميع خيوط التنظيم بقبضة حديدية، وقد بدأ -لاحقاً- بنقل بعض صلاحياته للمحافظة على هيكلية التنظيم خشية قتله، إذ أعلن التنظيم عن اسم نائب أمير التنظيم، أبي عبد الرحمن العراقي، وسلّم قيادة التنظيم إلى العراقيين، وأصبحت هيكليته أكثر وضوحاً من السابق.

يعتبر منصب نائب الأمير، الذي تولاه أبو عبد الرحمن العراقي، حدثاً جديداً انبثق من ضرورات الواقع للحفاظ على سلامة التنظيم، إذ كان يقوم هذا النائب بكل الأعمال إلى جانب الزرقاوي، ويطلع على الأمور المتعلقة بالتنظيم وسير عمله، وقد أوكل إليه الزرقاوي مهمة الاتصال بالعراقيين بشكل مباشر، وحافظ هو على الاتصال مع المقاتلين المتطوعين من خارج العراق. كما يشرف نائب الأمير على احتياجات اللجان المنبثقة عن التنظيم.

أما الجناح العسكري فتولاه أبو أسيد العراقي، وهو المسؤول الأول عن

الكتائب والسرايا والمجموعات، العاملة والتنفيذية والمساندة، التابعة للتنظيم، وكذلك تم الإعلان عن تشكيل فيلق عمر في مواجهة فيلق بدر الشيعي.

وأصبحت التشكيلات العسكرية تتبع نهجاً محدداً في اختيار الأهداف، يجمع بين المركزية واللامركزية، ففي معظم العمليات الصغيرة لا تحتاج المجاميع المنتشرة من سرايا ومجموعات في مختلف المناطق الى أمر مباشر وهي متروكة لاجتهادات القادة الميدانيين، بالتنسيق مع قادة الكتائب وأمراء المناطق.

وانبثق عن الجناح العسكري كتائب وسرايا ومجموعات، سميت بمسميات مختلفة، بعضها حمل أسماء الخلفاء الراشدين، مثل كتيبة "أبو بكر الصديق"، وفيلق عمر، وكتيبة "ابن الخطاب"، وبعضها اسم بعض قادة القاعدة في جزيرة العرب مثل كتيبة "عبد العزيز المقرن"، أو أسماء بارزة في التنظيم مثل: "أبو أنس الشامي" و"أبو عزام العراقي" (عبد الله الجواري)، وقد أطلق على كتائب الاقتحام اسم الأخيرين.

أما الكتائب الأخرى فحملت الاسم نفسه الذي حملته قبل الانضمام لتنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين في العراق، مثل كتيبة الرجال. وكانت كتيبة الاستشهاديين تعتبر أحد أهم الكتائب في تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين؛ وهي "كتيبة البراء بن مالك" وأميرها "أبو دجانة الأنصاري"، مسؤولة عن العمليات، التي ينفذها المنتمون لهذه الكتيبة "الاستشهاديون" بشكل واسع وكبير في ضرب الأهداف الحيويّة، وضمت العدد الأكبر من المتطوعين العرب، وفي الفترة اللاحقة بدأ ينضم إليها أعضاء من العراقيين.

وهناك عدة كتائب رئيسية وعلاقتها مع القيادة العليا للتنظيم، مثل كتيبة الأمن والاستطلاع، ومهمتها فحص دقيق للأعضاء الجدد المنتسبين للتنظيم، وجمع المعلومات عن الأشخاص والأماكن والأهداف المنتخبة

للعمليات، وطرق قوات الاحتلال، والشركات المساندة لها من ناحية أمنية أو لوجستية، وتوجهات القوات الأميركية، وتكتيكاتها العسكرية، والخطط المستقبلية لها وللحكومة، والعمل على تجنيد العملاء داخل قوات الحرس الوطني والشرطة وشركات المقاولات العاملة، وشركات النقل، وغيرها من الوظائف المهمة الحساسة.

ومن أعمال جماعات الاستطلاع الانتشار بين الناس، وتسجيل انطباعاتهم وتلمس حاجاتهم، وجمع المعلومات حول الأشخاص المستهدفين بعمليات التصفية والاغتيال، سواء أكانوا من أعضاء الحكومة أو البعثات الدبلوماسية، أو قادة الجيش والشرطة وغيرهم، فضلاً عن استكشاف المناطق الحساسة والحيويّة ومعرفة نقاط الضعف للاستفادة منها، وترفع جميع التقارير وبشكل دائم ومستمر إلى قيادة التنظيم، التي تقوم بدراستها والتشاور حولها وانتقاء الأهداف وأوقات التنفيذ، وتوجيه أوامر التنفيذ إلى الجناح العسكري وتشكيلاته للتنفيذ والإعلام بالنتائج لكل عمل تقوم به تلك التشكيلات.

أمّا الهيئة الشرعية فكانت تقوم بإجراء الدراسات والأبحاث اللازمة للجماعة، والرد على كل الشبهات الشرعية التي يحتاجها التنظيم في نشر معتقداته وأفكاره وممارساته، وأصدرت مجلة خاصة بالتنظيم، اسمها "ذروة السنام"، ووظيفتها دراسة الأحكام الشرعية المتعلقة بالمسائل والقضايا التي تخدم معتقدات وأفكار التنظيم.

ومن مهمات الهيئة الرد على الادعاءات والفتاوى التي تمس الجهاد والمقاومة، وتغطية بعض أخبار الجهاد من ناحية القتال والمقاتلين والجبهات القتالية، وقد أسس هذه الهيئة أبو أنس الشامي، ولم يتم الإعلان بعد مقتله عن خليفة له في منصب رئيس الهيئة والمسؤول الشرعي، لأسباب أمنية للحفاظ على حياته، وينبثق عن هذه الهيئة الشرعية، محكمة خاصة تقوم

بالنظر في الدعاوى المتعلقة بمسألة التجسس داخل التنظيم، وتصدر أحكاماً على المختطفين والأسرى تصل إلى القتل في الغالب، وأحكامها قطعية وغير قابلة للاستئناف.

أما القسم الإعلامي فتولى رئاسته أبو ميسرة العراقي، ويقوم بإصدار البيانات والنشرات والأشرطة المرئية والمسموعة، وقد لوحظ تطوراً كبيراً على عمل هذا القسم إذ قام بإعداد عدد من الأشرطة تظهر قدراً من الاحترافية، ويتولى القسم الجانب الدعائي للتنظيم، ويعتبر مهماً في تجنيد واستقطاب أعضاء جدد في صفوف الجماعة.

تمثّل شبكة الانترنت أهم الوسائل التي يستخدمها القسم الإعلامي في نشر كل ما يصدر عنه، ويظهر التنظيم أيضاً احترافية عالية في هذا المجال، من حيث صعوبة تتبع عناوين المشرفين على مواقعه الإلكترونية، وصعوبة تتبع مستخدميها، وابتكار أساليب جديدة متطورة باستمرار لتخطي مسألة الحجب والرصد، ويولي التنظيم أهمية كبيرة في عملية تدريب أعضائه والمتعاطفين معه على كيفية استخدام الشبكة الإلكترونية، وتعتبر مواقع التنظيمات الجهادية جميعاً من أهم الوسائل بالتعريف بالتنظيمات وأنشطتها، وإصداراتها المختلفة السياسية والعسكرية والشرعية.

وتأسست لجنة مالية ومهمتها جمع الأموال اللازمة لتمويل الأنشطة المختلفة، إذ كانت تعتمد على شبكة من الناشطين المتخصصين في مجال جمع التبرعات من خلال التجار والمساجد. ولا يقتصر جمع الأموال داخل العراق، بل هناك شبكة من الأنصار في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي، فضلاً عن إدارة مصادر التمويل الخاصة بالغنائم، التي يحصل عليها من خلال الاستيلاء على المناطق المحررة، وفرض الضرائب المختلفة.

٣- الهيكلية المؤسسية لدولة العراق الإسلامية

عندما قُتل الزرقاوي في حزيران/ يونيو ٢٠٠٦، ترك لخلفائه منظمة متماسكة وقوية ونافذة، وأصبح أتباعه أكثر عزماً على إقامة دولة إسلامية على أساس الهوية السُنيّة، فقد تم الإعلان بعد فترة وجيزة عن تشكيل "حلف المطيبين"، وهو ائتلاف يضم الحركات والمنظمات والجماعات المنضوية في إطار "مجلس شورى المجاهدين"، وبعض زعماء العشائر السُنيّة في ١٢ تشرين الأول/ أكتوبر٢٠٠٦[٢٦٥]، وبعد يومين فقط، تم الإعلان عن تأسيس "دولة العراق الإسلامية" في ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦. وتضم الدولة من الناحية النظرية عدداً من المحافظات العراقية السُنيّة، وهي: الأنبار وكركوك ونينوى وديالى وصلاح الدين وبابل وواسط.

تولى أبو عمر البغدادي (حامد داود الزاوي) إمارة دولة العراق الإسلامية، وتم الإعلان عن تشكيل حكومة الدولة الأولى[٢٦٦] عن طريق المتحدث الرسمي محارب الجبوري في المرحلة الأولى، وهي تشير إلى هيمنة المكون العراقي على مفاصل التنظيم، وغياب الجهاديين العرب والأجانب باستثناء المهاجر. وفي ٢٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٩ أعلن التنظيم عن تشكيلة وزارية ثانية[٢٦٧].

عندما أعلن عن مقتل أبو عمر البغدادي في ١٩ نيسان/ أبريل ٢٠١٠، إلى جانب وزير حربه، أبي حمزه المهاجر، بادر تنظيم دولة العراق الإسلامية سريعاً إلى استبدال كبار قادته، فقد أعلن في بيان مجلس شورى

---

(٢٦٥) انظر الإعلان عن حلف المطيبين، إذ ظهر بضعة ملثمين قيل أنهم من قادة العشائر ومجلس الشورى يتعاهدون فيه على تحكيم الشريعة والانتصار للجهاد والمجاهدين في العراق على الرابط: http:// www.youtube.com/watch?v=60mgEeNc7Z8

(٢٦٦) انظر: التشكيلة الوزارية الأولى لدولة العراق الإسلامية، ١٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٧، الكتاب الجامع لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ .

(٢٦٧) انظر: إعلان التشكيلة الوزارية الثانية لدولة العراق الإسلامية، في ٢٠٠٩/٩ على الرابط: https:// nokbah.com/~w3/?p=552

المجاهدين(٢٦٨) بتاريخ ١٦ أيار/ مايو ٢٠١٠، أن "الكلمة قد اجتمعت على بيعة أبي بكر البغدادي الحسيني القرشي أميراً للمؤمنين بدولة العراق الإسلامية، وكذا على تولية أبي عبد الله الحسني القرشي وزيراً أول ونائباً له"، كما تم تعيين أبي سليمان وزيراً للحرب خلفاً للمهاجر.

٤- البناء التنظيمي للدولة الإسلامية (الخلافة)

يعتبر تنظيم الدولة الإسلامية من أكثر الحركات الجهادية العالمية تطوراً على المستوى الهيكلي التنظيمي والفعالية الإدارية، فقد تطورت أبنيته التنظيمية بالاستناد إلى المزاوجة بين الأشكال التنظيمية الإسلامية التقليدية، التي تكونت مع مؤسسة الخلافة، وتنظيرات الفقه السلطاني الذي يؤسس لمفهوم الدولة السلطانية، إذ يقوم على مبدأ الغلبة والشوكة والإمارة، إلى جانب الأشكال التنظيمية الحداثية لمفهوم الدولة الذي يستند إلى جهاز عسكري أمني وآخر إيديولوجي بيروقراطي.

أولاً- الخليفة، يقوم الهيكل التنظيمي للدولة الإسلامية على أسس فقهية شرعية وضرورات حداثية، إذ يتولى "الخليفة" الذي يجمع شروط الولاية كالعلم الشرعي والنسب القرشي وسلامة الحواس، سائر الوظائف الدينية والدنيوية المذكورة في التراث السياسي الإسلامي السُنيّ وفقه الأحكام السلطانية، كقائد ديني وسياسي له حق الطاعة بعد اختياره من قبل مجلس الشورى وأهل الحل والعقد(٢٦٩).

ويتعامل التنظيم في إدارة شؤونه وتدبير حكمه باعتباره دولة إسلامية

(٢٦٨) انظر: بيان مجلس شورى دولة العراق الإسلامية، على الرابط: http://www.muslm.org/vb/archive/index.php/t-388724.html

(٢٦٩) يستند التنظيم في بناء هيكله التنظيمي على الكتب الإسلامية التاريخية المتعلقة بالدولة والحكم والخلافة، وخصوصاً الكتب المعروفة بالأحكام السلطانية، فمنذ الإعلان عن قيام الدولة قام المسؤول الشرعي للتنظيم عثمان بن عبد الرحمن التميمي، بإصدار كتاب "إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام"، وهو يستخدم المراجع الإسلامية التقليدية المتعلقة بوجوب قيام الدولة والخلافة.

مكتملة الأركان والشروط، وكان الأمير السابق للتنظيم أبو عمر البغدادي هو من أرسى الهيكلية العامة لـ"الدولة الإسلامية"، وقد عمل الزعيم الحالي "أبو بكر البغدادي"، على تطوير البناء الهيكلي من خلال ترسيخ مبدأ البيعة والطاعة، الأمر الذي يضمن مركزية التنظيم وسيطرة الخليفة على كافة مفاصل التنظيم.

وتعتمد البنية التنظيمية لـ "الدولة" على هيكلية هرميّة يعتبر "الخليفة" رأسها، ويُشرف إشرافاً مباشراً على "المجالس"، وهي تسمية استخدمها أبو بكر البغدادي عوضاً عن تسمية الوزارات التي اعتمدها سلفه أبو عمر البغدادي، وتعتبر "المجالس" المفاصل الأساسية لتنظيم الدولة التي تشكل "القيادة المركزية"، ويتمتع البغدادي بصلاحيات واسعة في تعيين وعزل رؤساء المجالس بعد أخذ رأي "مجلس الشورى"، الذي تبدو استشارته مُعلِمة وغير مُلزمة، فالقرار الأخير والفصل النهائي بعد التداول للبغدادي، إبراهيم عواد إبراهيم البدري السامرائي، وهو عراقي الأصل، وبفضل سلطاته "الدينية" الواسعة يتحكم في سائر القضايا الاستراتيجية، فهو صاحب "الأمر والنهي" في معظم القرارات الحاسمة.

عمل أبو بكر البغدادي على الاعتماد على العنصر العراقي في معظم المفاصل الرئيسية للتنظيم، وعلى الأعضاء العرب والأجانب في إدارة الوظائف المساندة؛ كالشورى والإعلام والتجنيد وجمع التبرعات، واحتفظ بصلاحيات شبه مطلقة في إعلان الحرب وتسيير الغزوات، واعتنى بتأسيس المجلس العسكري وألغى منصب وزير الحرب، وتحكم البغدادي بالمفاصل التنظيمية الهامة من أمن واستخبارات الولايات ومتابعة التنظيم، ومجلس الشورى، والمجلس العسكري، والجهاز الإعلامي، والهيئات الشرعية، وبيت المال، ويتمتع البغدادي بسلطة تعيين قيادات وأمراء الولايات في العراق وسورية.

دخل التنظيم مع حقبة أبي بكر البغدادي في طور تنظيمي عسكري

أمني شديد السريّة والارتياب، إذ ساهم، منذ توليه إمارة التنظيم، في إعادة هيكلته، معتمداً في الجانب العسكري على ضباط عراقيين سابقين سلفيين، وفي مقدمتهم: حجي بكر وعبدالرحمن البيلاوي، فأصبح الجناح العسكري أكثر احترافاً وأشد تماسكاً على الصعيد الأمني، ومعظم قياداته من العراقيين[٢٧٠].

وفي الوقت نفسه استثمر البغدادي الجهاديين العرب والأجانب في الأجهزة الشرعية، وخصوصاً أبناء دول الخليج العربي، أمثال: أبي بكر القحطاني (عمر القحطاني)، وأبي همام الأثري، المعروف بتركي البنعلي (تركي بن مبارك بن عبد الله) من البحرين، والسعودي عثمان آل نازح العسيري، وغيرهم[٢٧١].

فيما اعتمد البغدادي على "حلقة تلعفر التركمانية" في المواقع الأمنية الأساسية، وفي مقدمتهم أبي علي الأنباري، واعتمد على العرب والأجانب في المؤسسة الإعلامية، وفي مقدمتهم السوري أبي محمد العدناني الناطق باسم الدولة الإسلامية.

ومع توسع التنظيم وإعلان الخلافة عقب السيطرة على الموصل في حزيران/ يونيو ٢٠١٤، بدأ البغدادي بدمج العرب والأجانب بصورة أكبر، إلا أن المكون العراقي لا يزال يتمتع بأرفع المناصب وأخطرها.

ثانياً- مجلس الشورى: وهو من أهم المؤسسات التابعة للتنظيم، وعلى الرغم من التطورات التي شهدها المجلس منذ إمارة الزرقاوي مروراً بأبي عمر البغدادي وصولاً إلى الزعيم الحالي أبي بكر البغدادي، إلا أن مؤسسة الشورى كانت حاضرة دوماً.

---

(٢٧٠) انظر: هيثم مناع، خلافة داعش من هجرات الوهم إلى بحيرات الدم، المعهد الاسكندنافي لحقوق الإنسان، الجزء الأول، على الرابط: http://sihr.net/wp-content/uploads/2014/07/DAEESH-first-part1.pdf

(٢٧١) انظر: صهيب عنجريني، "الدولة الإسلامية": من "البغدادي المؤسس" إلى "البغدادي الخليفة"، صحيفة الأخبار، على الرابط: http://www.al-akhbar.com/node/210299

ويترأس مجلس شورى الدولة حالياً أبو أركان العامري، ويتسع المجلس ويضيق بحسب الظروف والحاجة، كما يجتمع للنظر في القضايا المستجدة واتخاذ القرارات الهامة ورسم السياسات العامة، ويضم في عضويته عدداً من القيادات التاريخية وخصوصاً الشرعية، ولا يوجد ثبات في عدد أعضائه، وغالباً ما يضم من ٩ إلى ١١ عضواً يختارهم البغدادي بتزكية من الأمراء والولاة(٢٧٢).

ويتمتع المجلس بصلاحية عزل الأمير من الناحية النظريّة، كما يتمتع المجلس بالوظائف التقليدية التاريخية المنصوص عليها في التراث السياسي الإسلامي، إذ يقدم الرأي والمشورة للبغدادي في قرار الحرب والسلم، إلا أن مشورته مُعلِمة غير مُلزمة، ذلك أن الشورى تقتصر على الأمور التنظيمية التي لم يرد فيها نص قاطع من القرآن والسُنّة، فالقاعدة الشرعية تنص على أن لا اجتهاد ولا شورى في موطن النص، إلا إذا كان اجتهاداً في فهم النص وتفسيره، في المسائل التي تمس مصالح التنظيم والدولة وشؤون الناس العامة والخاصة وعلاقتهم مع الآخرين، ومن مهام مجلس الشورى تزكية المرشحين لمناصب الولاة، وأعضاء المجالس المختلفة.

ويتمتع المجلس الشرعي، داخل مجلس الشورى، بأهمية خاصة نظراً لطبيعة التنظيم الدينية، ويترأسه البغدادي شخصياً، ويضم في عضويته ستة أعضاء، ومن مهامه الأساسية مراقبة التزام بقية المجالس بالضوابط الشرعية، وترشيح اختيار خليفة جديد في حال موت الخليفة الحالي أو تعرضه للأسر أو عدم قدرته على إدارة التنظيم والدولة لأسباب طارئة كالمرض والعجز.

ثالثاً- أهل الحل والعقد: وهو مفهوم راسخ في الفقه السياسي

---

(٢٧٢) انظر: هشام الهاشمي، هيكلية تنظيم داعش: أخطر ١٨ إرهابياً يهددون استقرار العراق، صحيفة المدى، على الرابط: http://almadapaper.net/ar/printnews.aspx?NewsID=466428

الإسلامي، ويضم طائفة واسعة من الأعضاء والمناصرين، من أهل الشأن من الأمراء والعلماء والقادة والساسة ووجوه الناس، ولا بد أن تتوافر فيهم مجموعة من الشروط، كالعدالة الجامعة لشروطها، والعِلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة في الإمام، والرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح، وبتدبير المصالح أقوم وأعرف، ويطلق عليهم أحياناً "أهل الشورى"، وفي تنظيم الدولة الإسلامية يمثلهم طيف واسع من الأعيان والقادة والأمراء، بالإضافة لمجلس شورى الدولة، وهم من يقومون ببيعة وتنصيب الخليفة، فبحسب أبي محمد العدناني، الناطق باسم الدولة، تم اختيار البغدادي خليفةً للمسلمين بعد أن: "اجتمع مجلس شورى الدولة الإسلامية، وتباحث هذا الأمر، بعد أن باتت الدولة الإسلامية بفضل الله تمتلك كل مقوّمات الخلافة، والتي يأثم المسلمون بعدم قيامهم بها، وأنه لا يوجد مانع أو عذر شرعي لدى الدولة الإسلامية؛ يرفع عنها الإثم في حال تأخرها أو عدم قيامها بالخلافة؛ فقررت الدولة الإسلامية، ممثّلة بأهل الحل والعقد فيها؛ مِن الأعيان والقادة والأمراء ومجلس الشورى: "إعلان قيام الخلافة الإسلامية"، وتنصيب خليفة للمسلمين، ومبايعة الشيخ المجاهد، العالم العامل العابد، الإمام الهمام المجدد، سليل بيت النبوّة، عبد الله: إبراهيم بن عواد بن إبراهيم بن علي بن محمد، البدري القرشي الهاشمي الحسيني"(٢٧٣).

رابعاً- الهيئة الشرعية: تُعتبر أحد أهم مفاصل تنظيم الدولة الإسلامية نظراً لطبيعته الدينية، وكان أبو علي الأنباري يتولى مسؤولية الملف الأمني والشرعي، ويتولى منصب رئيس الهيئة حالياً أبو محمد العاني، وقد كان أبو أنس الشامي أول من تولى هذا المنصب في عهد الزرقاوي وتأسيس جماعة "التوحيد والجهاد"، وفي عهد أبي عمر البغدادي تولى المنصب عثمان بن عبد الرحمن التميمي.

---

(٢٧٣) أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان "هذا وعد الله"، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=b1qkBXKvs_A

تقوم الهيئة بإصدار الكتب والرسائل وصياغة خطابات البغدادي والبيانات والتعليق على الأفلام والأناشيد والمواد الإعلامية الخاصة بالتنظيم. وتنقسم الهيئة الشرعية إلى قسمين رئيسين، الأول: يتعلق بتنظيم المحاكم الشرعية ومؤسسة القضاء للفصل في الخصومات وفض النزاعات وإقامة الحدود، والقيام بوظيفة الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثاني: يقوم بوظيفة الوعظ والإرشاد والتجنيد والدعوة ومتابعة الإعلام.

ويعتمد التنظيم على العرب والأجانب بشكل كبير في عضوية الهيئة الشرعية، وخصوصاً المكون العربي الخليجي، كما ذكرنا سابقاً.

خامساً- الهيئة الإعلامية: يتمتع الإعلام بأهمية كبيرة داخل هيكلية تنظيم الدولة الإسلامية، وهو من أكثر التنظيمات الجهادية اهتماماً بشبكة الإنترنت والمسألة الإعلامية، فقد أدرك منذ فترة مبكرة من تأسيسه الأهمية الاستثنائية للوسائط الاتصالية في إيصال رسالته السياسية ونشر أيديولوجيته السلفية الجهادية، فأصبح مفهوم "الجهاد الإلكتروني" أحد الأركان الرئيسية في فترة مبكرة منذ تأسيس جماعة "التوحيد والجهاد"، ثم القاعدة في بلاد الرافدين.

كان أبو ميسرة العراقي يتولى رئاسة القسم الإعلامي، وفي حقبة "دولة العراق الإسلامية" عام ٢٠٠٦ تولى المنصب أبو محمد المشهداني تحت مسمى وزير الإعلام، وكان أبو عبدالله محارب عبد اللطيف الجبوري ناطقاً باسم تنظيم الدولة، وفي عام ٢٠٠٩ أصبح أحمد الطائي وزيراً للإعلام. ويقود المؤسسة الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية اليوم هيئة موسعة بقيادة أبي الأثير عمرو العبسي.

شهدت الهيئة الإعلامية لتنظيم الدولة تطوراً كبيراً بالشكل والمحتوى، وتتمتع بدعم وإسناد كبير، وتعتبر مؤسسة "الفرقان" الإعلامية الأقدم والأهم، وقد ظهرت مؤخراً مؤسسات إعلامية عديدة تتبع التنظيم، مثل:

مؤسسة "الاعتصام"، ومركز "الحياة"، ومؤسسة أعماق، ومؤسسة البتار، ومؤسسة دابق الإعلامية، ومؤسسة الخلافة، ومؤسسة أجناد للإنتاج الإعلامي، ومؤسسة الغرباء للإعلام، ومؤسسة الإسراء للإنتاج الإعلامي، ومؤسسة الصقيل، ومؤسسة الوفاء، ومؤسسة نسائم للإنتاج الصوتي، ومجموعة من الوكالات التي تتبع الولايات والمناطق التي تسيطر عليها، كوكالة أنباء "البركة" و"الخير" وغيرها.

كما صدر عدد من المجلات بالعربية والإنجليزية أمثال: "دابق" و"الشامخة"، وأنشأت الهيئة إذاعات محلية، مثل إذاعة "البيان" في مدينة الموصل في العراق، وإذاعة أخرى في مدينة الرقّة في سورية.

كما يواصل التنظيم نشاطه الإعلامي من خلال العمل في المدونات، ومن أهمها مدونات باللغتين الروسية والإنجليزية، إذ تقوم الهيئة بترجمة الإصدارات الإعلامية إلى لغات أجنبية عديدة، كالإنجليزية والفرنسية، والألمانية والإسبانية والأوردو، وغيرها.

يسيطر التنظيم على عدد كبير من المواقع والمنتديات الإلكترونية، التي تحتوي على مكتبة هائلة وواسعة تختص بالأيديولوجيا والخطاب وآليات التجنيد والتمويل والتدريب والتخفي والتكتيكات القتالية وصنع المتفجرات وكل ما يلزم "الجهاديين" في عمليات المواجهة في إطار حرب العصابات وسياسات الاستنزاف.

تؤكد الأشرطة والمواد الدعائية التي تصدرها المؤسسات الإعلامية التابعة للتنظيم كمؤسستي "الفرقان" و"الاعتصام"، على التحوّل الكبير في بنيته وقدراته الفائقة، وتكتيكاته العنيفة، واستراتيجيته القتالية المرعبة، فقد أصدر سلسلة من الأفلام المتقنة، أطلق عليها "صليل الصوارم"، بدءاً من صليل الصوارم (١) في تموز/ يوليو ٢٠١٢، وصليل الصوارم (٢) في آب/ أغسطس ٢٠١٢، وصليل الصوارم (٣) في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢، ثم صليل الصوارم (٤) في أيار/ مايو ٢٠١٤ .

وبعد سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية على الموصل في ١٠ حزيران/ يونيو ٢٠١٤، قام بنشر سلسلة من الأشرطة الترهيبية تختص بعمليات "قطع الرؤوس"، بدأها بشريط مصور بعنوان "رسالة إلى أمريكا"، يقوم فيه عضو ينتمي إلى التنظيم بقطع رأس رهينة أميركي يُدعى جيمس فولي، ثم قام التنظيم بعد أيام قليلة في ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤، بنشر شريط آخر يحمل العنوان نفسه يتضمن قطع رأس رهينة أميركي ثانٍ يدعى ستيفن سوتلوف، وكلا الرهينتين صحفيان أميريكيان، ثم بث التنظيم شريطاً مصوراً آخر بعنون "رسالة إلى حلفاء أمريكا" في ١٤ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤، يقوم فيه أعضاؤه بقطع رأس رهينة بريطاني لدى التنظيم، يدعى ديفيد هينز، وفي ٣ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٤ بث التنظيم شريطاً يقوم فيه بقطع رأس رهينة بريطاني آخر يدعى ألن هينينغ، ويهدد فيه بقطع رأس رهينة أميركي يدعى بيتر كاسيغ.

ومن أهم الإصدارات التي كان لها وقع كبير على موقع "يوتيوب": إصدار "كسر الحدود" بتاريخ ٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٤، و"خطبة البغدادي في الموصل" بتاريخ ٥ تموز/ يوليو ٢٠١٤، وسلسلة إصدارات بعنوان: "رسائل من أرض الملاحم" وهي سلسلة توثق انجازات وعمليات التنظيم تصدر تباعاً بلغت حتى الآن (٥٠) إصداراً، وكذلك سلسلة إصدارات بعنوان: "فشرد بهم من خلفهم"، ويغطي الجزء الأول معركة تحرير اللواء ٩٣ في ولاية الرقّة السوريّة بتاريخ ٢٣ آب/ أغسطس ٢٠١٤، والجزء الثاني يغطي معركة تحرير مطار الطبقة في ولاية الرقّة السوريّة بتاريخ ٧ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤ وهنالك إصدار "على منهاج النبوة"، بتاريخ ٢٨ تموز/ يوليو ٢٠١٤ .

يعتبر فلم "لهيب الحرب"، من أضخم الإصدارات والأكثر دقة ورعباً، ويتضمن تغطية لمعارك عديدة لتنظيم الدولة ورسالة موجهة لدول التحالف المشاركة في الحملة على التنظيم، وقد أصدره الجناح الإعلامي التابع للتنظيم الخاص باللغة الإنجليزية "مركز الحياة"، بتاريخ ١٧ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤ .

سادساً- بيت المال: يُعدّ التنظيم الأغنى في تاريخ الحركات الجهادية، وقد تفوّق على تنظيم القاعدة المركزي والفروع الإقليمية للقاعدة، فتمكن منذ عهد الزرقاوي من بناء شبكات تمويل ممتدة، ونوّع في مصادره التمويلية، فقد أنشأ لجنة مالية فعّالة منذ تأسيس جماعة "التوحيد والجهاد"، تقوم بجمع الأموال اللازمة لتمويل الأنشطة المختلفة، تعتمد على شبكة من الناشطين المتخصصين في مجال جمع التبرعات من خلال التجار والمساجد، وخصوصاً الدول الخليجية الغنية وأوروبا، فضلاً عن عمليات جمع الأموال داخل العراق، ومصادر التمويل الخاصة بالغنائم التي يحصل عليها من خلال الاستيلاء على المناطق المحررة، وفرض الضرائب المختلفة.

ومع تنامي نفوذ التنظيم والإعلان عن تأسيس "دولة العراق الإسلامية" أعلن في تشكيلته الوزارية الأولى عام ٢٠٠٦، عن وزارات عديدة تختص بالموارد النفطية والثروات الطبيعية، وفي عام ٢٠٠٩، سمّى في تشكيلته الوزارية الثانية يونس الحمداني وزيراً للمالية.

يشرف البغدادي اليوم على إدارة "بيت المال"، وهي التسمية الإسلامية التاريخية للمؤسسة المالية، ويتولى المسؤولية الرئيسة فيها موفق مصطفى الكرموش.

لقد تضخمت مالية تنظيم "الدولة الإسلامية" منذ سيطرته على الموصل في حزيران/ يونيو ٢٠٠٤، وسيطرته على مساحات واسعة في العراق وسورية، وتُقدِّر بعض الدراسات رأس مال التنظيم بحوالي ٢ مليار دولار، وباتت مصادر تمويله متعددة وواسعة، ومن أهم المصادر[٢٧٤]:

(٢٧٤) انظر: أحمد محمد أبو زيد، من التبرعات إلى النفط:كيف تحول "داعش" إلى أغنى تنظيم إرهابي في العالم ؟، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، على الرابط: http://www.rcssmideast.org/Article/2668/%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A3%D8%BA%D9%86%D9%89-%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-%D8%A5%D8%B1%D9%87%D8%A7%D8%A8%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-#.VFguPfmUckY

١- التبرعات والهبات: رصد تقرير صادر عن وزارة الخارجية الأميركية في شهر حزيران/ يونيو ٢٠١٤ وجود عدد كبير من الأثرياء والشخصيات الخليجية التي دعمت وموّلت التنظيم في كلٍّ من العراق وسورية، ووفقاً للتقرير هناك (٢٨) شخصية سعودية، و(١٢) عراقية، و(٥) من الكويت، إلى جانب عدد آخر من قطر والإمارات والبحرين، بالإضافة إلى الهبات التي دخلت خزينة التنظيم بعد السيطرة على الموصل من بعض الأثرياء العراقيين.

٢- أموال الصدقات والتبرعات والزكاة: حيث عملت المنابر والقنوات الإسلامية خلال عامي ٢٠١١/٢٠١٢ على تشجيع المسلمين على توجيه أموال الزكاة والتبرعات والصدقات لتأييد الجهاد والمقاومة في سورية، وهي الأموال التي وجدت طريقها بصورة مباشرة إلى كلٍّ من تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة وغيرهما.

٣- عوائد تحرير الأجانب المختطفين: فقد دأب التنظيم على اختطاف المواطنين الأجانب، والموظفين الدوليين، والصحفيين الغربيين، ومساومة ذويهم ودولهم على الإفراج عنهم مقابل ملايين الدولارات كفِدية.

٤- الاستيلاء على الموارد والسلع من الأماكن التي يسيطر عليها التنظيم: من مستشفيات، ومراكز تسوق، ومطاعم، ومرافق الكهرباء والمياه في هذه المناطق، وهي المرافق التي توفر لها عوائد تُقدر بالملايين شهرياً.

٥ - عوائد الثروات الطبيعية والمعادن: من النفط والغاز، التي استولى عليها التنظيم في العراق وسورية، إذ يسيطر التنظيم على أكثر من ٨٠ حقل نفطي صغير، ويقوم ببيعها محلياً، أو خارجياً عن طريق التجار، وتقدر إيرادات التنظيم من هذا المصدر بنحو ٢ مليون دولاراً شهرياً، فضلاً عن سيطرته على مناجم الذهب في الموصل.

٦ - فرض الضرائب والرسوم: وهي أحد المصادر المهمة التي تفرض على

التجار والمزارعين والصناعيين، وعلى المواطنين الأثرياء في المناطق التي يسيطر عليها التنظيم، وكذلك فرض الجزية على غير المسلمين، وهناك ضرائب شهرية على الشركات والمؤسسات المحلية تقدر بحوالي ٦ ملايين دولار شهرياً.

٧ - الأموال الحكومية: فقد تمكن التنظيم من الاستيلاء على كميات من الأموال التي كانت موجودة في المصارف والمؤسسات الحكومية، بعد سيطرته على الموصل، تقدر بعشرات الملايين من الدولارات.

٨ - عائدات الزراعة والغلال والحبوب: يسيطر التنظيم على حقول واسعة في العراق وسورية، إذ يستحوذ على حوالي ثلث إنتاج العراق من القمح.

سابعاً- المجلس العسكري: يعتبر المجلس العسكري الأهم داخل تنظيم الدولة الإسلامية، نظراً لطبيعة التنظيم العسكرية، ولا يوجد عدد محدد لأعضائه بحسب قوته وتوسعه وقوته وضعفه ومساحة نفوذه وسيطرته، ويتكون تاريخياً من ٩ أعضاء إلى ١٣ عضواً[(٢٧٥)]، وقد بدأ استخدام تسمية الجهاز بالمجلس العسكري عقب مقتل نعمان منصور الزيدي، المعروف بأبي سليمان الناصر لدين الله، الذي شغل منصب وزير الحرب في أيار/ مايو ٢٠١١ .

ويشغل قائد المجلس العسكري منصب نائب البغدادي، وكان الزرقاوي يحتفظ بالمنصبين، ثم تولى منصب القائد العسكري أبو حمزة المهاجر كوزير للحرب في حقبة دولة العراق الإسلامية وإمارة أبي عمر البغدادي، وفي ولاية الأمير الحالي أبو بكر البغدادي تولى منصب القائد العسكري حجي بكر، وهو سمير عبد محمد الخليفاوي، ثم شغل المنصب بعد مقتله في سورية في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤ أبو عبدالرحمن البيلاوي، وهو عدنان إسماعيل البيلاوي، الذي قتل في حزيران/ يونيو ٢٠١٤، حيث تولى رئاسة المجلس العسكري الحالي أبو مسلم التركماني، وهو فاضل الحيالي.

---

(٢٧٥) انظر: هشام الهاشمي، هيكلية تنظيم داعش، مرجع سابق.

ويتكون المجلس العسكري من قادة القواطع، وكل قاطع يتكون من ثلاث كتائب، وكل كتيبة تضم ٣٠٠ - ٣٥٠ مقاتلاً، وتنقسم الكتيبة إلى عدد من السرايا تضم كل سرية ٥٠ - ٦٠ مقاتلاً.

وينقسم المجلس إلى هيئة الأركان وقوات الاقتحام، والاستشهاديين، وقوات الدعم اللوجستي، وقوات القنص، وقوات التفخيخ، ومن قيادات المجلس العسكري أبو أحمد العلواني (وليد جاسم)، وكذلك عمر الشيشاني، ويقوم المجلس بكافة الوظائف والمهمات العسكرية، كالتخطيط الاستراتيجي، وإدارة المعارك، وتجهيز الغزوات، وعمليات الإشراف والمراقبة والتقويم لعمل الأمراء العسكريين، بالإضافة إلى تولي وإدارة شؤون التسليح والغنائم العسكرية.

ثامناً- المجلس الأمني: وهو أحد أهم المجالس في تنظيم الدولة الإسلامية وأخطرها، إذ يقوم بوظيفة الأمن والاستخبارات[٢٧٦]، ويتولى رئاسته أبو علي الأنباري، وهو ضابط استخبارات سابق في الجيش العراقي، ولديه مجموعة من النواب والمساعدين، ويتولى المجلس الشؤون الأمنية للتنظيم، وكل ما يتعلق بالأمن الشخصي لـ"الخليفة"، وتأمين أماكن إقامة البغدادي ومواعيده وتنقلاته، ومتابعة القرارات التي يقرها البغدادي ومدى جدية الولاة في تنفيذها، ويقوم بمراقبة عمل الأمراء الأمنيين في الولايات والقواطع والمدن، كما يشرف على تنفيذ أحكام القضاء وإقامة الحدود، واختراق التنظيمات المعادية، وحماية التنظيم من الاختراق، كما يقوم بالإشراف على الوحدات الخاصة كوحدة الاستشهاديين والانغماسيين بالتنسيق مع المجلس العسكري.

ويشرف المجلس على صيانة التنظيم من الاختراق، ولديه مفارز في كل ولاية تقوم بنقل البريد وتنسيق التواصل بين مفاصل التنظيم في جميع

(٢٧٦) انظر: خليفة "داعش" وأعضاء حكومته، صحيفة التلغراف، العربية نت، على الرابط: http://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/iraq/2014/07/10/%D8%AE%D9%84%D9%8A%D9%81%D8%A9-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D9%88%D8%A3%D8%B9%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D8%AD%D9%83%D9%88%D9%85%D8%AA%D9%87.html

قواطع الولاية، كما أن لديه مفارز خاصة للاغتيالات السياسية النوعية والخطف وجمع الأموال.

تاسعاً- التقسيم الإداري: يقسّم تنظيم الدولة مناطق نفوذه إلى وحداتٍ إدارية يطلق عليها اسم "ولايات"، وهي التسمية الإسلامية التاريخية للجغرافيا السكانية، ويتولى مسؤولية "الولايات" مجموعة من الأمراء، وهي التسمية المتداولة في التراث السياسي الإسلامي التاريخي.

يبلغ عدد الولايات التي تقع ضمن دائرة سيطرة التنظيم أو نفوذه ١٦ ولاية، نصفها في العراق، وهي: ولاية ديالى، ولاية الجنوب، ولاية صلاح الدين، ولاية الأنبار، ولاية كركوك، ولاية نينوى، ولاية شمال بغداد، ولاية بغداد، ونصفها الآخر في سورية، وهي: ولاية حمص، ولاية حلب، ولاية الخير (دير الزور)، ولاية البركة (الحسكة)، ولاية البادية، ولاية الرقّة. ولاية حماة، وولاية دمشق[٢٧٧].

وتقسّم "الولايات" إلى "قواطع"، وتضم المدن، وفق تسمياتها المعتمدة قبل سيطرة التنظيم عليها، فولاية حلب على سبيل المثال تنقسم إلى "قاطعين" هما: "قاطع منبج" وتتبع له مدن منبج وجرابلس ومسكنة، و"قاطع الباب" وتتبع له مدينتا الباب ودير حافر، ويمثل السلطة العليا في كل "ولاية" مسؤول معيّن من قبل تنظيم الدولة يحمل لقب "والي"، ويعاونه مجموعة من المسؤولين يحملون صفة "أمير"، أمثال: "الأمير العسكري"، و"الأمير الشرعي"، الذي يرأس "الهيئة الشرعية"، والأمير الأمني"، فيما يُعتبر "أمير القاطع" السلطة الأعلى في كل "قاطع"، ويعاونه كذلك مجموعة من الأمراء في المجال "العسكري والشرعي والأمني"، الأمر الذي يسري ويتبع في المدن كافّة، ويُشرف "الولاة" ومعاونوهم من "الأمراء" على "أمراء القواطع" ومعاونيهم، ويُشرف هؤلاء بدورهم على "أمراء المدن" ومعاونيهم.

---

(٢٧٧) انظر: صهيب عنجريني، "الدولة الإسلامية": من "البغدادي المؤسس" إلى "البغدادي الخليفة"، مرجع سابق.

٥- القيادات الحالية البارزة

على صعيد الأسماء البارزة في التنظيم، في إطار الهيكل العام، نجد عدداً من القيادات، في مقدمتها: قائد التنظيم بصفة الخليفة، أبو بكر البغدادي، إبراهيم عواد إبراهيم البدري السامرائي، ونائب أمير الدولة الإسلامية، منسق شؤون ولايات إمارة العراق، فاضل أحمد عبد الله الحيالي، المعروف باسم "أبو معتز"، و"أبو مسلم التركماني العفري"، الذي يتواجد في ولاية نينوى، وهو رئيس المجلس العسكري العام، ثم والي الأنبار، وعضو المجلس العسكري للتنظيم، عدنان لطيف حميد السويداوي، المعروف بـ "أبي مهند السويداوي"، أو "أبي عبد السلام".

ثم يأتي والي ولاية الجنوب والفرات الأوسط، أحمد محسن خلف الجحيشي، المعروف بـ "أبي فاطمة"، ثم مسؤول المالية العام موفق مصطفى محمد الكرموش، وكنيته "أبو صلاح"، والمنسق العام لبريد الولايات محمد حميد الدليمي، وكنيته "أبو هاجر العسافي"، ثم المنسق العام لشؤون الكفالات ومتابعة شؤون الأرامل وعوائل الشهداء والأسرى عوف عبد الرحمن العفري، وكنيته "أبو سجى".

ومن الشخصيات التنظيمية: منسق البريد الخاص ومسؤول المخازن فارس رياض النعيمي، وكنيته "أبو شيماء"، وكذلك مسؤول العبوات والتفخيخ، خيري عبد محمود الطائي، وكنيته "أبو كفاح"، ومسؤول الإدارة العام شوكت حازم كلاش الفرحات، وكنيته "أبو عبد القادر".

وهناك مسؤول المضافات الخاصة بالمهاجرين العرب، وناقل الاستشهاديين عبد الله أحمد المشهداني، وكنيته "أبو قاسم"، والمسؤول عن متابعة الأسرى في السجون، بشار إسماعيل الحمداني، وكنيته "أبو محمد"، ثم المسؤول الأمني العام عبد الواحد خضير أحمد، وكنيته "أبو لؤي" و"أبو علي".

ومن هذه الشخصيات: والي ولاية كركوك، نعمة عبد نايف الجبوري، وكنيته "أبو فاطمة"، ووالي ولاية الحدود، رضوان طالب حسين إسماعيل الحمدوني، وكنيته "أبو جرناس"، ووالي ولاية صلاح الدين، وسام عبد زيد الزبيدي، وكنيته "أبو نبيل"، ووالي ولاية بغداد، أحمد عبد القادر الجزاع، وكنيته "أبو ميسرة"، و"أبو عبد الحميد"[٢٧٨].

٦- الخاتمة

من الواضح أنّ هنالك مساراً بيانياً تصاعدياً في البنية الهيكلية الداخلية لتنظيم الدولة الإسلامية، فقد بدأ بصورة بسيطة عنقودية شبيهة بالجماعات الإسلامية الجهادية المحلية، خلال الأشهر الأولى، ثم بدأ يتطوّر مع تأسيس جماعة التوحيد والجهاد، بإضافة مؤسسات وهيئات متخصصة، ووصل إلى مرحلة أكثر تطوّراً مع انضمامه إلى القاعدة المركزية بعد أن أصبح اسمه "قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين".

انتقل التنظيم نحو الصيغة المؤسسية التي تحاكي ما جاء في كتب التراث الإسلامي، مع الإعلان عن إقامة الدولة الإسلامية في بلاد الرافدين، بعد مقتل الزرقاوي، عبر الإعلان عن تشكيل وزارات وتعيين ولاة على المناطق التي يسيطر عليها التنظيم، في محاولة للانتقال من صيغة التنظيم إلى بُنيَة الدولة، إلاّ أنّ الطفرة الحقيقية حدثت، لاحقاً، مع تولّي أبي بكر البغدادي، إذ تمّ تطوير عمل الأجهزة المختلفة وتأطيرها مؤسسياً ومنحها مهمات محددة ودقيقة تجمع ما بين طبيعة المؤسسات في الدولة المعاصرة وأدوارها الوظيفية من جهة، وطبيعة التنظيم وظروف عمله، التي

(٢٧٨) انظر: خليفة "داعش" وأعضاء حكومته، صحيفة التلغراف، العربية نت، على الرابط: http://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/iraq/2014/07/10/%D8%AE%D9%84%D9%8A%D9%81%D8%A9-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D9%88%D8%A3%D8%B9%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D8%AD%D9%83%D9%88%D9%85%D8%AA%D9%87.html

تمتاز بدرجة أكبر من التعقيد والغموض، وهو ما جعلنا أمام حالة هجينة وخاصة، تزاوج بين صورة الدولة والتنظيمات السريّة في الوقت نفسه.

لم يحدث التطوّر على الصعيد المؤسسي والوظيفي فقط، بل تواكب مع إعادة هيكلة القيادة، وتصعيد القيادات المحترفة المحلية، على أكثر من صعيد، بخاصة عسكرياً وأمنياً واقتصادياً، فنجد أسماءً رئيسة لعبت دوراً حيوياً في الوصول إلى هذا المستوى من الاحتراف، مثل حجّي بكر وأبي عبد الرحمن البيلاوي وأبي علي الأنباري وأبي أيمن العراقي.

الملحوظة الأخرى اللافتة هي قدرة التنظيم على توزيع المهمات وتقسيم الأدوار بين العنصر المحلي والقادمين من الخارج "المهاجرين العرب والمسلمين"، فبالرغم من هذه "الازدواجية التنظيمية"، وبالرغم من سيطرة العراقيين في الآونة الأخيرة على المفاصل الرئيسة في قيادة التنظيم، إلاّ أنّه استطاع أن يدمج العنصر الخارجي، ويحدد له أدواراً ومهمات، ويضعه في إطار يجمع الطرفين، يزاوج بين الطابع المحلي (العراقي) "والإقليمي"، وحتى "العالمي"؛ ألا وهو مظلة "الخلافة الإسلامية"، وربما ذلك يفسّر لنا أحد أهم الأسباب التي تقف وراء إعلان الخلافة، أي الحفاظ على التماسك الداخلي للتنظيم وقدرته على استيعاب هذا التنوع الكبير في الداخل، بين العراقيين والسوريين والعرب والآسيويين وحتى الأوروبيين، طالما أنّ هنالك منصباً دينياً يؤطر الجميع، ويذكّر بـ"الخلافة العباسية" التي كانت في بغداد، ولعلّ ذلك، أيضاً، يفسّر ارتداء البغدادي في خطبة الجمعة المصوّرة اللباس الأسود، وهو اللون الذي ارتبط بالخلافة العبّاسية تاريخياً.

من الضروري، هنا، الإشارة إلى تقديرات غربية تذهب إلى أنّ أعداد الذين ينتمون إلى التنظيم ارتفعت بصورة مضاعفة، بعد السيطرة على الموصل وإعلان الخلافة، وهو أمر طبيعي، مرتبط بعامل القوة والهيمنة والنفوذ، فمن المعروف أنّ التنظيم عندما يسيطر على أيّ محافظة أو ناحية

يطلب من الأهالي مبايعة الخليفة، ويقوم بحملة تجنيد ودعاية مكثّفة، ويدخل في أجهزته المختلفة، التعليمية والإعلامية والدعوية والقضائية، ما يجعل نسبة كبيرة من أهالي تلك المناطق يدخلون في التنظيم، إمّا خوفاً من عقوبات شديدة لمن يرفض ذلك، أو التحاقاً بالطرف القوي المسيطر.

بالرغم مما أظهره التنظيم من عمل مؤسسي وتنظيمي معقّد ومتطوّر، ومن كفاءة كبيرة في التجنيد والدعاية، وفي العمل الاحترافي، وحماية التماسك الداخلي؛ إلاّ أنّ ذلك لا يعني -بالضرورة- أنّه لا يواجه تحديات حقيقية، فما يزال التوسع الكبير في عمله ومهماته والمناطق التي يسيطر عليها يحمل في ثناياه مخاطر حقيقية على قدرة التنظيم على التماسك والتوسع في حال تعرّض لضربات عسكرية وأمنية كبيرة، أو في حال نجحت الضغوط الأميركية في حصاره اقتصادياً وجغرافياً واستنزافه وتبديد جاذبية القوة التي حصل عليها بصورة كبيرة خلال الفترة الأخيرة، وربما هذا الجزء المهم المرتبط بالآفاق المستقبلية هو ما سنناقشه تالياً في خاتمة هذه الدراسة.

خاتمة الكتاب

اليوم التالي: الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية

خاتمة الكتاب

اليوم التالي: الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية

في اليوم التالي لسقوط مدينة الموصل وتمدد تنظيم الدولة السريع، بدأت الولايات المتحدة وحلفاؤها بتغيير مقاربتهم تجاه الأوضاع في كل من سورية والعراق، إذ لم يعد تنظيم الدولة الإسلامية بنظرهم مجرد تنظيم عراقي محلي يعاني من أزمة بنيوية تتمثل بعدم تقبل المجتمع السُنّيّ للتعايش مع أيديولوجيته الدينية المتشددة، ويواجه صحوات عشائرية سُنيّة، كما كانت عليه الحال في العام ٢٠٠٨، بل أصبح، الآن، لاعباً إقليمياً عابراً للحدود يسيطر على مساحة واسعة من الأراضي ويهدم الحدود لوصل المناطق التي يسيطر عليها بين سورية والعراق، ويمتلك ترسانة عسكرية ضخمة، جاء أغلبها عبر ما حصل عليه من معاركه مع الجيشين العراقي والسوري، ويمتلك خبرة قتالية عالية وكفاءة عسكرية وجهازاً يدير المعارك على مستوى محترف، وتتوفر له مصادر للثروة من حقول النفط التي يسيطر عليها ويتقن التعامل مع "السوق السوداء" للهروب من العقوبات الشديدة، وفضلاً عن ذلك والأهم، قدرته العالية على قراءة الواقع الجيوسياسي المحلي والإقليمي والدولي وتوظيف الصراع الإقليمي وتضارب مصالح الدول في المنطقة والعالم بما يخدم مصالحه، ويحظى بغطاء مجتمعي ناجم عن تفشي الطائفية وحالة الفوضى والفراغ السياسي الكبير في المنظومة الرسمية العربية.

في تلك اللحظة فقط، تحرّكت الولايات المتحدة الأميركية وحشدت

معها دولاً غربية وعربية عبر تحالف عسكري هدفه الرئيس تقليم أظافر تنظيم الدولة الإسلامية. وبعد أعوام من إنكار المشكلة الجوهرية التي أدت إلى صعود هذا التنظيم؛ بدأ الحديث يأخذ طابعاً أكثر عمقاً في إدراكها، إذ اعترفت الإدارة الأميركية بوجود أزمة سُنيّة في المنطقة أدت إلى صعود هذا التنظيم، فوصلت عبر تفاهمات إقليمية (مع دول المنطقة بخاصة كل من إيران والسعودية) إلى "صفقة" التخلص من رئيس الوزراء العراقي السابق، نوري المالكي، بدعوى أنّ سياساته أدت إلى تعزيز الروح الطائفية في العراق، وأضعفت من شرعية مؤسسات النظام السياسي الجديد هناك، لكن هذا الحل كان أقرب إلى تسطيح الأزمة واختزالها والتغاضي عن الدور الإيراني الذي ما يزال فاعلاً في بناء شبكة كبيرة لتجذير نفوذه ليس في العراق وحدها، بل في المنطقة العربية، مروراً بسورية ودعم نظام الرئيس بشار الأسد، ودفع حزب الله والميليشيات الشيعية إلى آتون الصراع الأهلي هناك لإنقاذ النظام من الغرق.

تكمن المفارقة في أنّ التحالف قرر ضرب التنظيم في العراق وسورية معاً، متجاهلاً الشروط المؤسسة له ولصعوده هناك، التي تتمثّل في سياسات النظام السوري وقمعه للاحتجاجات السلمية واستمراره خلال ٣ أعوام في استخدام الأسلحة المختلفة لضرب المعارضة، ما أدى أولاً إلى عسكرة الانتفاضة السلمية، وثانياً إلى بروز القاعدة ثم انشطارها بين تنظيم الدولة الإسلامية والنصرة هناك، وأخيراً إلى تعزيز نفوذ هذا التنظيم الذي أتقن فنّ اللعبة الطائفية ووظّفها بدوره في مواجهة الطرف الآخر، معتمداً على خطاب هوياتي صلب وسافر، في تجنيد الشريحة السُنيّة الكبيرة، التي كانت تشعر بحالة من اليأس والإحباط الشديد من أي أفق سياسي سلمي للتغيير، ومن تخاذل المجتمع الدولي في وضع حدّ للمأساة التي عايشتها هذه الشريحة، فأدت إلى هجرة الملايين وقتل مئات الآلاف، وتعرّضت إلى جملة من المجازر والكوارث التي حلّت بها.

مع صعود النزعات الطائفية المتبادلة وجنوح القوى السياسية الشيعية نحو طهران، بوصفها مركز الثقل الإقليمي لها، وضعف الوسط السياسي الرسمي السُنّي عموماً، وشعور المجتمعات السُنيّة في ثلاثة مجتمعات رئيسة؛ العراق وسورية ولبنان، بحالة من الفراغ السياسي يمثل تهديداً عميقاً لهوياتها ومصالحها، فلم يعد صعود هذا التنظيم أمراً يستعصي على الفهم والإدراك والتحليل، فهو وإن لم يكن، بالضرورة، خياراً ثقافياً حضارياً طبيعياً، إلا أنه، وضمن الظروف الاستثنائية وحالة الفوضى والصراع الداخلي بات لدى فئات من المجتمع السُنيّ أداة للدفاع عن النفس، سواء أقبلوا بها أو رفضوها لكنهم لم يجدوا مساراً بديلاً لمقاومة فعّالة لها(٢٧٩).

لذلك؛ تبقى الأزمة السُنيّة هي نقطة الضعف الجوهرية في استراتيجية إدارة الرئيس أوباما في مواجهة التنظيم، مع عدم استعداد السُنّة للرهان على حلول جزئية قاصرة، قد تؤدي إلى مزيد من الضعف والفشل في حال تمّ إضعاف هذا التنظيم، الذي لا يعبّر عن خيارات سُنيّة طبيعية اختيارية، بقدر ما يعكس الشعور بالقلق والرعب من الظروف الراهنة.

ولإدراك الإدارة الأميركية أنّ الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية معقّدة، إذ أنّ الأبعاد العسكرية فيها متشابكة مع السياسية، فإنّها وضعت تصوراً بعيد المدى، يربط التقدم العسكري بشرط جوهري، يتمثّل بفك الاشتباك بين تنظيم الدولة والحاضنة السُنيّة في كل من العراق وسورية، وتعتمد في ترجمة نتائج القصف الجوي لمكاسب عسكرية بالإضافة للقوات الكردية والجيش العراقي على السُنّة العراقيين والسوريين، الذين تريد

(٢٧٩) ذلك لا يعني، بأيّ حال من الأحوال، قبولاً سُنيّاً بهذا التنظيم وخطابه وسلوكه، ومن الواضح أنّ المعارك التي تحدث في سورية والعراق بين الفصائل الوطنية والإسلامية الأخرى ضد نفوذه بمثابة دليل على وجود مقاومة وممانعة داخلية، وشعور بخطورته، سياسياً وثقافياً، على مصائر المجتمع السُنيّ ومصالحه، لكن الأحداث والتطورات تبرهن على أنّ المسار الراهن يخدمه أكثر مما يخدم خصومه من المجتمع السُنيّ الذي يقع بين فكّي الكماشة؛ القلق على الهوية السُنيّة من التهديد الطائفي السياسي من جهة، ونمو هذا التيار وما يحمله من أخطار على ثقافة المجتمع السلمي ونمط حياته ومصالحه من جهة ثانية.

الولايات المتحدة وحلفاؤها تدريبهم لمواجهة القاعدة، لذلك جرى التفكير في إنشـاء "الحـرس الوطني" في العـراق، لتـدريب السُنّة من أبناء العـشـائر وإدماجهم فيه، وكذلك الأمر تدريب الجيش الحرّ في سورية(٢٨٠).

ربما هذا وذاك يقودنا إلى السؤال الجوهري في الحديث عن المرحلة القادمة ومستقبل المنطقة العربية، ويتمثّل في سيناريوهات اليوم التالي للحرب الراهنة على تنظيم الدولة الإسلامية.

ينبثق عن هذا السؤال أسئلة متعددة؛ فيما إذا كانت الولايات المتحدة ستتمكن مع حلفائها من القضاء عسكرياً على هذا التنظيم وإنهاء دولته التي أعلن عنها ممتدة بين الأراضي السورية والعراقية؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما هو مصير الأوضاع في العراق وسورية في حال لم تحلّ المشكلة السياسية السُنيّة في سورية، وفشلت جهود احتواء السُنّة العراقيين؟ وهل إنهاء "داعش" سيؤدي إلى عودة الاستقرار الإقليمي؟

قبل الولوج إلى محاولة التساؤل الرئيس السابق وما ينجم عنه من أسئلة متعددة، فمن الضروري أن نذكّر بأربع خلاصات رئيسة وصلنا إليها عبر الفصول السابقة من الكتاب:

يرتبط صعود تنظيم الدولة الإسلامية بوصفه فاعلاً إقليمياً، عابراً للدول والمجتمعات، بعاملين رئيسين؛ الأول يتمثل بالنزعة الطائفية في المنطقة الناجمة عن النفوذ الإقليمي الإيراني، والفراغ السياسي السُنيّ، وانفجار الصراعات الداخلية على أسس طائفية ودينية وعرقية في كل من العراق وسورية، والثاني ينبثق من سياسات الأنظمة السلطوية وقمع الاحتجاجات السلمية وحالة الانسداد السياسي، والانقلاب على مخرجات الربيع العربي؛ أي أنّه مركّب على أزمة سياسية عربية.

(280) David Ignatius, Obama faces growing pressure to escalate in Iraq and Syria, The Washington Post, 14 October, 2014, available at: http://www.washingtonpost.com/opinions/david-ignatius-obama-faces-growing-pressure-to-escalate-in-iraq/2014/10/14/28b2ae56-53e1-11e4-809b-8cc0a295c773_story.html

يمثّل تنظيم الدولة أنموذجاً من نماذج متعددة عابرة للمجتمعات، تتمثل بالجماعات الدينية والطائفية التي أصبحت فاعلاً رئيساً في ظل حالة الفوضى السياسية والأمنية، فالجماعات الشيعية العراقية وحزب الله والقوى الكردية والحركات السلفية الجهادية وفروع القاعدة والحوثيون تتوافر على الشروط السياسية والمجتمعية نفسها التي أدت إلى صعود ذلك التنظيم.

يتأسس هذا الدور السياسي والأمني والعسكري لهذه التنظيمات والجماعات على فشل الدولة الوطنية العربية في الإدماج السياسي وحماية قيم المواطنة والقانون وسيادة حالة من الفوضى الأمنية والفراغ السياسي.

في الخلاصة؛ صعود هذا التنظيم، محلياً وإقليمياً، ليس طارئاً وهزيمته تتجاوز الجانب العسكري والأمني، إلى مواجهة الشروط الموضوعية السياسية التي تقف وراءه ووراء التنظيمات والنماذج الشبيهة.

من هذه الخلاصات يمكن استنطاق نتيجتين مهمتين، أيضاً:

الأولى- أنّ النجاح الفعلي، طويل المدى، للحرب الراهنة، لن يتحقّق إلاّ بشرط رئيس وهو فكّ الاشتباك بين تنظيم الدولة الإسلامية والمجتمع السُنّي، ومدى قناعة المجتمع السُنّي بالانقلاب مرّة أخرى على التنظيم، كما حدث في العام ٢٠٠٧ مع تجربة الصحوات.

والثانية- أنّ المنطقة بأسرها تمرّ بمرحلة انتقالية تشهد انهياراً للدولة القُطرية ومنظومتها السياسية، وهي حالة تتجاوز العراق وسورية إلى أغلب دول المنطقة، إذ نجد حالة الفوضى وعدم الاستقرار تسود في اليمن وليبيا ولبنان وصحراء سيناء في مصر، في مقابل حالة صعود للميليشيات العسكرية ذات الطابع الطائفي أو الديني أو العرقي.

في ضوء هذه الخلاصات والنتائج، وبالعودة إلى سؤال اليوم التالي للحرب الراهنة على تنظيم الدولة الإسلامية، فيمكن الحديث عن المؤشرات التالية:

١- على صعيد التحالف الدولي والإقليمي:

يعاني التحالف من غموض السيناريوهات والمراحل التالية، ويقع في معضلات جوهرية؛

أولاً- تدرك الإدارة الأميركية بأنّ القضاء على التنظيم أو إضعافه من دون دحرجة الأهداف لتصل إلى النظام السوري، لن يحلّ المشكلة، ولن يقلب موقف المجتمع السُنّي ليكون مشاركاً فاعلاً في القضاء على التنظيم، فطالما أنّ الرئيس أوباما لم ينطق بكلمة السرّ، وتتمثل بمدّ الأهداف لتصل إلى قوات النظام السوري أو إجباره على قبول التنحّي، فإنّ المجتمع السُنّي السوري لا يرى ضوءاً في نهاية النفق، وستبقى شروط صعود هذا التنظيم قوية، وهي مقاربة تؤكد عليها تركيا كشرط للانخراط الكامل في مواجهة التنظيم وتؤيدها فرنسا.

لكن، في المقابل، فإنّ إعلان الإدارة الأميركية بأنّ الحرب تستهدف نظام بشار الأسد، سيجرّها إلى صراع مزدوج، مع النفوذ الإيراني وتنظيم الدولة في الوقت نفسه، وربما يؤدي إلى انقلاب الأصدقاء في الحكومة العراقية، عملياً، عليها.

ثانياً- في الوقت الذي تعمل فيه الولايات المتحدة على إضعاف تنظيم الدولة وضربه، فإنّها تتحالف مع الحكومة العراقية، التي تدعم الميليشيات العراقية التي تتبنى نهجاً طائفياً مقابلاً لهذا التنظيم، وترتكب انتهاكات شبيهة به، وهي التي تتحالف مع نظام بشار الأسد وحزب الله في سورية في مواجهة تنظيم الدولة الإسلامية. فمثل هذا التعاون المباشر، أو غير المباشر، في تحقيق هدف مشترك بين الإدارة الأميركية وهذه الفصائل لن يساعد على طمأنة المجتمع السُنّي ومنحه شعوراً بإمكانية الخروج من الوضع الراهن، الذي يشعر فيه بتهديد وجودي يطال هويته في هذه المجتمعات.

ثالثاً- كيف يمكن أن تقنع الإدارة الأميركية المجتمع السُنّي، في ظل تباطؤ وتأخر الحل السياسي، بأنّ هذه الحرب هي لصالحه ولا تخدم

خصومه، بينما يجد هذا المجتمع -على النقيض من ذلك- بأنّ المستفيد الأول من الضربات التي توجّه لهذا التنظيم هما النظامان العراقي والسوري، وفي حال نجح كلّ منهما في القضاء على تنظيم الدولة الإسلامية، فما الضامن للسُنّة بألا ينقلبا عليهم، كما حدث سابقاً، بعد النجاح في إضعاف التنظيم عبر الصحوات السُنيّة التي تجري إعادة استنساخها باسم "الحرس الوطني"، ويكون قد خسر طرفاً قوياً استطاع إعادة بناء موازين القوى، بالرغم من عدم قبول المجتمع السُنيّ بالضرورة له ولأجندته الدينية والسياسية.

رابعاً- ما تزال هنالك شكوك كبيرة في صلابة التحالف الدولي الإقليمي ضد تنظيم "الدولة"؛ فبالرغم من أنّ هنالك عشرات الدول التي تشارك في الضربات الجوية، إلاّ أنّ هنالك تبايناً في رؤية هذه الدول لمصالحها، بخاصة في المنطقة، فتركيا لم تقبل بالتدخل البري لإنقاذ مدينة كوباني الكردية، ولم تسمح خلال الفترة الأولى من الحرب الجوية باستخدام قواعدها، لأنّها تطالب بمقاربة لا تهدف فقط إلى التخلص من تنظيم الدولة، بل حتى من الرئيس السوري الأسد، والدول العربية، بخاصة السعودية تشعر بقلق من النفوذ الإيراني ومن علاقة النظام العراقي الجديد بطهران، وتأخذ موقفاً متشدداً من نظام الأسد، وبالرغم من أنّها تنظر إلى تنظيم الدولة بوصفه مصدر تهديد رئيس لأمنها الوطني والاستقرار الإقليمي، إلاّ أنّها تنظر إلى طهران، كذلك، كمصدر تهديد حقيقي لها، ما يخلق شقوقاً في التحالف الدولي في حال استمرت الحرب لمدة طويلة، كما تصرّح الإدارة الأميركية.

خامساً- بالرغم من أهمية الضربات الجوية وتأثيرها على المدى البعيد، إلاّ أنّها لن تكون حاسمة تماماً من دون القوات البرية في القضاء على التنظيم، ومعضلة التحالف تكمن في أنّ الحديث عن تدريب السُنّة في العراق وسورية لمواجهة تنظيم الدولة ما يزال يواجه صعوبات وتعقيدات

سياسية وفنية، فالحرس الوطني العراقي المزمع تأسيسه وتطويره يحتاج لأعوام كي يكون قادراً على المواجهة، والجيش السوري الحرّ ما يزال ضعيفاً وغير قادر على الاستفادة من إضعاف التنظيم وحصاره عسكرياً وجغرافياً، وليس واضحاً بعد كيف ستتدحرج الحرب وتتطور أهدافها ومساراتها في حال لم تنجح الجهود السياسية في التخفيف من وطأة الأزمة السُنيّة في كلا البلدين.

٢- تنظيم الدولة الإسلامية

تمكن التنظيم من تحجيم آثار الضربة العسكرية الأولى، والتخفيف من حجم الأضرار التي تسببت بها الضربات الجوية إلى الآن، لكنه يواجه مشكلة حقيقية في المرحلة المقبلة، فبالرغم من الصلابة التي أبداها مقاتلوه في محافظة الأنبار ومدينة كوباني، إلاّ أنّه عجز عن تحقيق انتصارات خاطفة سهلة، كتلك التي وقعت في البداية، مع سيطرته على مدينة الموصل وتكريت وجزء كبير من الأراضي السُنيّة، فهو اليوم محاصر من الجهات المختلفة، ويقاتل على جبهات عديدة ما قد يستنزف التنظيم على المدى البعيد، ويحدّ من قدراته المالية واللوجستية والتعبوية، في حال استمر التحالف الدولي والإقليمي بهذا الزخم في دعم الأطراف الأخرى.

وبالرغم، كذلك، من أنّ التنظيم حافظ على صلابة تماسكه، والتزام أعضائه مع القيادة، إلاّ أنّ التوسع الكبير للتنظيم في الآونة الأخيرة قد يكون له نتائج معاكسة تماماً على الحالة الداخلية، فوفقاً للتقارير الغربية فإنّ أعداداً كبيرة انضمت إليه في العراق وسورية، بعد الانتصارات العسكرية وإعلان الخلافة، ما يخلق حالة من التفاوت في التزام الأعضاء في الداخل، ويؤدي إلى مساحات هشّة واسعة، وفي حال تعرّض لهزائم وخسائر عسكرية كبيرة، وتراجع نفوذه في المرحلة القادمة، فإنّ احتمال فقدانه لأعداد كبيرة من الأعضاء والعشائر الذين بايعوا، لأسباب واقعية، لا

أيديولوجية، سيكون كبيراً ومؤثراً، وهو ما حصل في مرحلة الصحوات في العام ٢٠٠٧، إذ تراجع نفوذ التنظيم وانكمش وانسحب جزء كبير من الأتباع.

تبقى نقطة ضعف التنظيم، وربما مقتله الحقيقي، في علاقته بالمجتمع السُنّي، فإذا حدث وانقلبت شريحة واسعة عليه، لأسباب سياسية أو لعدم قبول ما يفرضه من تصورات دينية ونظام حياة على المجتمع، فإنّ شرط الصعود سيتحول إلى سبب للتراجع والانكماش.

ولأنّ التنظيم يدرك تماماً أهمية "الحاضنة السُنيّة"، وحجم الضربة القاصمة التي تلقّاها على يد الصحوات السُنيّة سابقاً، فقد حرص على تطهير المناطق الجغرافية التي يسيطر عليها، عبر فرض نفوذه وإلغاء القوى الأخرى، ومطالبتها بالانضواء تحت رايته وبيعته، وجعل من صراعه مع الفصائل السُنيّة المنافسة أولوية في استراتيجيته القتالية (انعكس ذلك في المراجعة التي أجراها، والتي وضع فيها قاعدة "تسع رصاصات في رؤوس المرتدين وواحدة في رؤوس الصليبيين"). إلاّ أنّ هذه المقاربة نفسها تحمل بذور الفشل والانهيار، لأنّها تقوم على عامل الخوف والقوة، لا القناعة والتوافق، وهي تجعل من علاقته بالمجتمع السُنّي مؤقتة، اضطرارية، ليست مبنية على خيار استراتيجي وثقافي عميق.

٣- سيسيولوجيا العنف: تنظيم الدولة بوصفه "نموذجاً"

يقع الباحثون والسياسيون في خطأ فادح عندما يقرؤون صعود تنظيم الدولة الإسلامية إقليمياً بمعزل عن السياق السياسي العام في المنطقة، فعنف التنظيم وسلوكه الحاد ليس نشازاً، بل هو جزء من "العنف البنيوي" الراهن، الذي يجتاح العديد من الدول والمجتمعات العربية[٢٨١].

من الضروري أن تتم قراءة هذا الفاعل السياسي الجديد في إطار

(281) Aaron David Miller, Middle East Meltdown, Foreign Policy, October 30, 2014, available at: http://foreignpolicy.com/2014/10/30/middle-east-meltdown/

العنف السلطوي، سواء أكان ذا طابع طائفي، مثل العراق وسورية، أو استبدادي، كما هي الحال في مصر والجزائر والدول العربية الأخرى، وفي إطار الأزمات البنيوية التي تعاني منها الدول العربية، وتخلق مشاعر شعبية جامحة ضد التهميش والإقصاء وغياب الأفق السلمي والظروف الاقتصادية والاجتماعية الطاحنة.

ومن الضروري، كذلك، النظر إلى صعود تنظيم الدولة في سياق الفوضى الطاحنة في ليبيا، والفراغ السياسي ونمو الجماعات المرتبطة بالسلفية الجهادية هناك، وفي صحراء سيناء، وفي اليمن مع سيطرة الحوثيين على صنعاء، ومع الأزمة البحرينية والأزمات الداخلية العربية، فهنالك اليوم حالة جديدة متنامية من تفكيك المجتمعات وانهيار السلطة الأخلاقية للدولة، والعودة إلى الأشكال الأولية من التعبير عن الهوية.

مثل هذه المناخات تخلق جاذبية لنموذج الدولة الإسلامية وقابلية لاستنساخه وتطبيقه في العديد من المجتمعات، طالما أنّ المسارات البديلة مغلقة إلى الآن، فليست خطورة هذا التنظيم أنّه اجتاز الحدود وأقام كياناً عابراً لها، ومتوحشاً في سلوكه مع الخصوم، بل أنّه أصبح نموذجاً للوعي الشقي السلبي ولحالة المجتمعات العربية والمسلمة.

هذا التنظيم أصبح "نموذجاً"، وقد وجدنا كيف سعت جماعات أخرى في ليبيا واليمن إلى استنساخه، فطالما أنّ الأزمة السياسية السُنيّة لم تُحلّ، والأزمة السلطوية العربية قائمة، فإنّ هذا التيار والتيارات الأخرى، سواء كانت شيعية أو عرقية أو غيرها ستجد فرصةً للنمو والصعود والتكيّف مع الضغوط والظروف المختلفة، وإذا تراجعت في مكان ستنتشر في مكان آخر.

في الحرب الأفغانية (٢٠٠٢) استطاعت الولايات المتحدة الأميركية مع حلفائها القضاء على حكم حركة طالبان الأفغانية، وتدمير مركز القاعدة وتشتيت قيادته، لكن المشكلة عادت للظهور سريعاً بعد أعوامٍ قليلة، واليوم

تعترف أوساط أميركية متعددة بأنّ العملية السياسية لم تستطع أن تخلق حالة من الاستقرار لذلك البلد، وأنّ القاعدة، بنسخها المتعددة، وآخرها تنظيم الدولة الإسلامية (الذي انشقّ عنها) أصبحت أكثر انتشاراً وحضوراً وقوّة، بالرغم من كل الجهود الأمنية والعسكرية والاقتصادية لضربها وحصارها.

خاتمة القول وجملته؛ القضاء على تنظيم الدولة الإسلامية عسكرياً لن يخلق حالة من الاستقرار الإقليمي ولن ينقذ الدولة القُطرية العربية، إذ تؤشّر المعطيات الواقعية أنّنا أمام مرحلة انهيار للتوازنات القديمة من دون خلق آفاق سلمية بديلة، وهي التي كان يمكن أن توفّرها الثورات الديمقراطية العربية، لكن الطريق أمامها أصبحت متعرجة ومعقدة، ما يجعل من سيناريو الفوضى والعنف والتفتيت السياسي والجغرافي على أسس بدائية هو السيناريو المتوقع في المدى المنظور، طالما أنّ البديل الديمقراطي الوطني التوافقي ليس ناجزاً بعد في كثير من الدول والمجتمعات العربية؛ وذلك يعني أنّنا ندور في حلقة مفرغة من الصراعات والأزمات الداخلية والإقليمية الطاحنة.

الملاحـــق

ملحق (١)

نبذة عن أبرز قيادات تنظيم الدولة الإسلامية

أولاً- أبو مصعب الزرقاوي: أحمد فضيل نزّال الخلايلة، من مواليد مدينة الزرقاء في الأردن، بتاريخ ٢٠ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٦، ينتمي إلى عشيرة الخلايلة، وهي إحدى عشائر قبيلة "بني حسن"، انقطع عن الدّراسة في آخر مراحل الثانوية، وعمل موظفا في بلدية الزّرقاء عام ١٩٨٣. وفي عام ١٩٨٤ دخل الجيش الأردني بحسب نظام التّجنيد الإجباري لمدة عامين، ودخل في هذه المرحلة بمرحلةٍ من عدم الاتزان والطّيش دخل بعدها في مرحلة الالتزام الدينيّ، وفي عام ١٩٨٩ غادر إلى أفغانستان عن طريق بيشاور في باكستان، إلا أنه لم يشارك في الجهاد ضدّ السوفييتيين الذين غادروها قبل وصول الزرقاوي. وفي بيشاور، تعرَّف الزرقاوي على أبي محمد المقدسي، وعمل لفترةٍ في مجلة "البنيان المرصوص"، وتلقى في أفغانستان تدريباتٍ عسكريّةٍ في عدَّة معسكرات، وخاصة معسكر "صدى".

عاد الزرقاوي إلى الأردن في مطلع عام ١٩٩٣، حيث التقى بالمقدسي، وعملا معًا في نشر الدّعوة السلفية الجهادية، واعتقل على خلفية الانتماء إلى تنظيم "بيعة الإمام"، وحكم عليه خمسة عشر عاماً. وفي هذه المرحلة أثناء وجوده في السجن برز الزرقاوي كقائدٍ ميدانيٍّ، وأصبح أميراً للمجموعة السلفية داخل السجن، خلفًا للمقدسيّ، وفي عام ١٩٩٩ خرج بعفوٍ ملكيٍّ، وغادر في صيف ذلك العام إلى باكستان ثم أفغانستان.

وفي بداية عام ٢٠٠٠ استقر الزرقاوي في "هيرات"، وأسس بها معسكراً تدريبيّاً للأردنيين والفلسطينيين بصورة أساسية، وقد استقطب

عدداً من الجهاديين من جنسياتٍ مختلفة. وعقب هجمات الحادي عشر أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، تنقَّل الزرقاوي بين إيران والعراق وسورية، وفي عام ٢٠٠٢ كان قد أنشأ شبكته الجهاديّة الخاصة، وأشرف على عملية اغتيال دبلوماسي أميركي في عمّان وبالتّنسيق مع عدد من أنصاره، وفي هذه المرحلة سطَع نجم الزَّرقاوي.

وبعد الاحتلال الأميركيّ للعراق في آذار/ مارس ٢٠٠٣، بدأ الزرقاوي من خلال شبكته بتنفيذ حرب عصابات واسعة، واعتمد على تبني تكتيكاتٍ قتاليّةٍ عنيفةٍ، وانضم إليه عددٌ من المقاتلين العرب والأجانب بالإضافة إلى العراقيّين. وكان التحاق أبي أنس الشامي بالزرقاوي حدثاً فارقاً حيث تطوَّرت الشّبكة إلى تنظيم "التَّوحيد والجهاد" في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣، وكان الشامي أول مسؤول شّرعي للجماعة. وقد انضم الزرقاوي وتنظيمه "التوحيد والجهاد" إلى تنظيم القاعدة في ٨ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٤.

تمَّ الإعلان عن مقتل الزرقاوي في التَّاسع من حزيران/ يونيو ٢٠٠٦، وذلك عن طريق غارةٍ جوية أميركية.

ثانياً- أبو حمزة المهاجر: عبدالمنعم عز الدين علي البدوي، ويلقب أيضاً بأبي أيوب المصري، ولد عام ١٩٦٨ في مصر بمحافظة سوهاج، وانضم لجماعة الجهاد المصرية التي أسسها أيمن الظواهري عام ١٩٨٢م، وعمل كمساعد شخصي للظواهري، وتنقل بين أفغانستان واليمن، وقد تخصص بصناعة المتفجرات. وتزوج من يمنية عام ١٩٩٨، ودخل العراق مع أسرته عام ٢٠٠٢، وشارك في بناء تنظيم القاعدة في العراق بعد احتلال بغداد والتحق بشبكة الزرقاوي وكان مساعداً له.

عقب مقتل أبي مصعب الزرقاوي عام ٢٠٠٦، أصبح أبو حمزة المهاجر زعيم تنظيم القاعدة في العراق، وقد تم اختياره لاحقاً وزيراً للحرب في تنظيم دولة العراق الإسلامية، ونائباً أول لأبي عمر البغدادي أمير دولة العراق الإسلامية.

رصد برنامج مكافآت العدل التابع لوزارة الخارجية الأميركية عام ٢٠٠٦ خمسة ملايين دولار لإلقاء القبض عليه، وقد قُتل في قصف مروحيات أميركية استهدف اجتماعاً للبغدادي والمهاجر مع جماعة جيش أبي بكر السلفي لضمها للدولة في بلدة الثرثار (جنوبي غرب تكريت) في ١٩ نيسان/ أبريل ٢٠١٠ .

ثالثاً- أبو عمر البغدادي: حامد داوود محمد خليل الزاوي من مواليد عام ١٩٥٨، في قرية الزاوية التابعة لمدينة حديثة في ولاية الأنبار، تخرج من كلية الشرطة في بغداد، وكانت بداية عمله ضابطاً في الشرطة العراقية، وقد كان معروفاً في حديثة بالتزامه الديني.

بدأت نزعته السلفية تظهر بعد حرب الخليج الثانية في بداية تسعينيات القرن الماضي، حيث تعرّض لمضايقات كثيرة من أجهزة النظام، ونظراً لعمله في جهاز أمني قررت فصله دون اعتقاله بتهمة الانتماء للوهابية عام ١٩٩٣.

عمل بعدها في محل لتصليح الأجهزة الكهربائية بالقرب من منزله، وكان كثير التردد إلى جامع العساف المجاور لمنزله، وكان يؤم المصلين فيه، وكان يعطي دروساً في العقيدة السلفية خلال عقد التسعينيات، لكنه لم يكن سلفياً جهادياً، إذ كان أقرب إلى السلفية العلمية التي تسعى إلى نشر الدعوة، وتولي اهتماماتها بإصلاح المجتمع من خلال تنقية العقيدة، وتصفية السُنّة النبوية ونشرها.

غداة الاحتلال الأميركي للعراق عام ٢٠٠٣، بدأت اهتماماته الجهادية بالظهور، وباشر التدريب مع عدد من أصدقائه في حديثة، وأسس مع مجموعة من المقاتلين جماعة جهادية، ثم أخذ بالتواصل مع جماعة أبي مصعب الزرقاوي، أمثال: أبي محمد اللبناني، وأبي أنس الشامي، وقد انضم من خلالهما إلى جماعة "التوحيد والجهاد" التي تشكلت في أيلول/ سبتمبر

٢٠٠٣، ثم تسلم مهاماً عدة وتنقل بين الولايات في المحافظات العراقية، إذ أصبح مسؤولاً عاماً عن تنظيمها، وكان دقيقاً في انتقاء الأعضاء، فبحسب أبي أسامة العراقي "كان لا يقبل انضمام أي جندي للتنظيم إلا بعد معرفة عقيدته واختباره، فكان رحمه الله يرفض انضمام من يحمل فكراً وطنياً يقاتل من أجل الديموقراطية ".

بعد مقتل الزرقاوي في ٧ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦، تم الإعلان عن تشكيل "حلف المطيبين" في ١٢ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦، وبعد يومين فقط، تم الإعلان عن تأسيس "دولة العراق الإسلامية" في ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦، ومبايعة أبي عمر البغدادي أميراً للدولة، الذي تمت تزكيته لابن لادن من طرف الزرقاوي سابقاً، وأبي حمزة المهاجر لاحقاً، رغم عدم معرفة بن لادن به حرصاً على السِّريّة.

وفي ٣٠ كانون الثاني/ ديسمبر ٢٠٠٧ دعا أسامة بن لادن إلى مبايعة أبي عمر البغدادي أميراً لـ"دولة العراق الإسلامية"، وفي ١٩ نيسان/ أبريل ٢٠١٠ أعلنت القوات الأميركية عن مقتل أبي عمر البغدادي، وأبي حمزة المصري في منطقة الثرثار بعد مواجهات مسلحة.

رابعاً- أبو بكر البغدادي: إبراهيم بن عواد بن إبراهيم البدري السامرائي، من مواليد عام ١٩٧١، في الجلام من أعمال سامراء العراقية، ينحدر من عائلة متدينة تتبع المنهج السلفي في فهم العقيدة الإسلامية، من عشيرة البوبدري العراقية، وهو خريج الجامعة الإسلامية في بغداد درس فيها البكالوريوس، والماجستير وأعد أطروحة دكتوراه حول التجويد.

ثم عمل أستاذاً ومعلماً وداعية، في زمن النظام العراقي السابق، وكان إماماً وواعظاً في جامع أحمد بن حنبل في سامراء، ثم جامع الكبيسي في منطقة الطوبجي في بغداد، ولأحد المساجد في الفلوجة عام ٢٠٠٣. أسس غداة الاحتلال الأميركي تنظيماً سلفياً جهادياً باسم "جيش أهل السُنّة

والجـمـاعـة"، مع عـدد مـن الجـهـاديين، ونشط التنظيم فـي بغـداد وسـامـراء وديالـى، وبعض المناطق السُنيّـة الأخـرى. لكن اعـتـقلتـه قـوات التـحـالف في شبـاط/فبراير حتى ٤ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤، ثم أطلقت سراحه لأنها لم تعتبره تهديداً رفيع المستوى.

انضم مع تنظيمه الى "مجلس شورى المجاهدين" عام ٢٠٠٦، وعمل على تشكيل وتنظيم الهيئات الشرعية في المجلس، كما شغل منصب عضو في مجلس شورى "دولة العراق الإسلامية"، وجمعته بأبي عمر البغدادي علاقة وثيقة، إذ كان يُعتبر ساعده الأيمن، وأصبح الرجل الثالث في التنظيم.

شغل منصب والي الولاة، والمشـرف العـام على الولايات، والمشـرف على إدارة العمليات عـام ٢٠٠٨، وعمل كعضو بمنصب الأمير الشرعي للأنبار، وأميراً للفلوجة، وأميراً لديالى، ثم تولى ولاية بغداد القاطع الشمالي، ولاحقاً شغل منصب الأمير الشرعي لسامراء، وبهذا فقد عمل أبو بكر البغدادي في أنحاء غرب ووسط العراق كافة.

قُتلت زوجته على يد عشائر الفلوجة من عشائر البوفراج، وقد أوصى أبو عمر البغدادي قبل مقتله بأن يكون أبو بكر البغدادي خليفته في زعامة "دولة العراق الإسلامية"، وهذا ما حدث في السادس من أيار/ مايو ٢٠١٠، حين نصب أميراً لتنظيم الدولة.

مع الإعـلان عن قيـام دولة "الخـلافـة"، تمّ تنصيب أبـي بكر البـغـدادي خليفة للمسلمين، وبعدها بخمسة أيام ظهر "البغدادي" خطيباً للجمعة في مسجد الموصل الكبير في السادس من رمضان في عام ٢٠١٤ .

خامساً- أبو عبد الرحمن البيلاوي: عدنان إسماعيل نجم، ويلقب أيضاً بأبي أسـامـة البـيـلاوي، وأبي البـراء، من مـواليـد عـام ١٩٧١، في مـحـافظة الأنبار، تخرج في الكلية العسكرية الدورة ٧٧، وانضم إلى صفوف الحرس الجـمـهـوري، وتدرج في السلك العـسكري وحـصل على رتبـة مـقـدم. كـان

البيلاوي مقرباً من أبي مصعب الزرقاوي، إذ لازمه ثلاث سنوات، وكان ساعده الأيمن، وساهم في تأسيس جماعة "التوحيد والجهاد"، وقد تولى منصب رئيس المجلس العسكري، وكان عضواً في مجلس الشورى.

اعتقل عام ٢٠٠٧ في مدينة البصرة، وأودع في سجن بوكا، الذي كان يديره الجيش الأميركي، وكان خلال سجنه أميراً ومسؤولاً عن إدارة سجناء التنظيم، وبعد خمسة أعوام تم تسليمه للسلطات العراقية، التي أودعته في سجن أبو غريب الواقع في العاصمة العراقية بغداد، وفي تموز/ يوليو ٢٠١٣ استطاع الهرب من السجن، بعد هجوم تنظيم القاعدة على السجن وتهريبه السجناء.

غادر بعد ذلك مباشرة إلى الأراضي السوريّة، وتولى قيادة عمليات تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام ضد القوات السوريّة النظامية، ثم إلى العراق بعد شن الجيش العراقي عملياته العسكرية في محافظة الأنبار، غرب العراق، ضد مسلحي تنظيم الدولة.

أقام لاحقاً في مدينة الموصل باسم مزوّر، وتزوج فيها ثانية لتغطية تحركاته ومتابعة نشاطه كرئيس للمجلس العسكري العام لتنظيم الدولة، وتولى منصب القائد الثاني في التنظيم بعد مقتل حجي بكر.

أعلن الجيش العراقي عن مقتله في ٥ حزيران/ يونيو ٢٠١٤، في محافظة نينوى بحزام ناسف إثر مداهمة منزله واعتقال سائقه، وقد نعاه الناطق باسم الدولة الإسلامية أبو محمد العدناني بكلمة صوتية، مشيراً إلى دوره الرئيس في اقتحام الموصل "كان بفضل الله المخطط والقائد للمعارك الأخيرة في الأنبار ونينوى وصلاح الدين، والعقل المدبر لهذه الفتوحات والانتصارات الأخيرة".

تؤكد مصادر عديدة بأنه مهندس فكرة السيطرة على مدينة الموصل،

وقد أطلق تنظيم الدولة اسمه على عملية اجتياح الموصل والمدن العراقية، بعنوان "غزوة أسد الله البيلاوي أبي عبد الرحمن".

سادساً- حجي بكر: سمير عبد محمد نايل الخليفاوي العبيدي الدليمي، وعُرف بأسماء حركية كثيرة مثل أبي بلال المشهداني وحجي بكر، وكان اليد اليمنى لأبي بكر البغدادي حتى مقتله في سورية في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤ .

وُلد في الخالدية في محافظة الأنبار، بداية الستينيات من القرن الماضي، وترعرع ونشأ فيها حتى أكمل الدراسة الإعدادية، والتحق بالكلية العسكرية وتخرج ضابطاً، وقد تدرج بالرتب حتى وصل لمرتبة عقيد قبيل الاحتلال الأميركي.

كان أحد مؤسسي جماعة "التوحيد والجهاد"، وقد بايع أبو مصعب الزرقاوي مع عدد من الضباط السابقين، واحتفظ بعلاقة جيدة مع جماعة "الجيش الإسلامي" في العراق، وكان يساعدهم بخبرته العسكرية،.

اعتُقل في سجن بوكا الشهير، وقد كُلِّف مبكراً بمتابعة إنتاج السلاح الكيماوي وتطوير الأسلحة في تنظيم الدولة، وتسلم مسؤولية المجلس العسكري للتنظيم، كما تسلم عام ٢٠١٢ وزارة التصنيع العسكري للتنظيم، وتولى إدارة العمليات العسكرية وإدارة المعسكرات في الشام.

قُتل في سورية في شهر كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤ خلال مواجهات بين جبهة النصرة في مدينة الأتارب شمال حلب.

تميّز داخل التنظيم بالكفاءة في مجال التخطيط العسكري والاشراف والحضور الميداني، وقد شكلت خسارته ضربة قاسية للتنظيم، إذ كان له دور كبير في انتساب واندماج عدد كبير من الضباط البعثيين في صفوف تنظيم الدولة. ويعتبر المشرف على تكوين وتطوير الهيكل العسكري، بالتعاون مع البيلاوي، وهو الجهاز الذي يشكل النواة الصلبة للتنظيم.

سابعاً- أبو أيمن العراقي: أو أبو مهند السويداوي، من أهم مسؤولي

التنظيم في سورية، ومن منتسبي الجيش في عهد الرئيس السابق صدام حسين، إذ كان ضابطاً برتبة مقدم، وهو عضو أول مجلس عسكري لتنظيم الدولة، المكون من ثلاثة أشخاص.

كانت كنيته في العراق أبا مهند السويداوي، من مواليد ١٩٦٥، عمل والياً للأنبار وتولى إدارة قاطع الكره الشمالي، اعتُقل من قبل القوات الأميركية في عام ٢٠٠٧، ثم أُطلق سراحه من سجن بوكا عام ٢٠١٠ . تولى مسؤولية الأمن داخل التنظيم، ثم أرسل كداعية للبغدادي إلى مدينة دير الزور في سورية في عامي ٢٠١١-٢٠١٢ .

أصبح المسؤول العسكري الأول في مدينة إدلب وجبل اللاذقية وريف حلب، وبحسب إعلام تنظيم الدولة استطاع خلال تواجده في سورية تجنيد أكثر من ألف مقاتل، وكان لهؤلاء دورٌ أساسي في بناء التنظيم في سورية، وقد نجح في التأثير على عدد من الجماعات غير السورية وجذبها لخط التنظيم. وفق شهادات مقاتلين من كتيبة المعز بن عبدالسلام.

كان تحت تصرف أبو أيمن العراقي إمكانيات مالية كبيرة. وبحسب بعض الروايات قتل بنفسه عدداً من المقاتلين والشرعيين المعارضين أمثال: أبي بصير الطرطوسي (كمال حمامي)، وجلال بايرلي، ويوسف عشاوي. وبحسب شهادة لإسلامي قابل أبا أيمن مرات عدّة، كتب يقول" اعتبر أبو أيمن كل من يتعامل مع الائتلاف والجيش الحر أو المعارضة العلمانية أو يرفض مبايعة داعش أو يتلقى التمويل والسلاح من الإقليم أو الغرب كافراً" .

أُعلِن عن مقتله أكثر من مرة، فقد أعلن الجيش السوري خبر قتله مع أبي حمزة السعودي وآَخرين في ٢٠١٣/١٠/٤، وفي ٢٠١٤/٤/٢٤ أعلن مصدر في جبهة النصرة خبر قتله في الحسكة، وفي ٢٠١٤/٦/١٧ أعلن مصدر أمني عراقي عن مقتله في الموصل، إلا أن ذلك لم يثبت، وعلى الأغلب أنّه لايزال حياً.

ثامناً- أبو علي الأنباري: هو مسؤول المجلس الأمني، من أهم قيادات التنظيم، اسمه علي قرداش التركماني، ولد في تلعفر من أسرة تركمانية، استخدم ألقاباً عدة: أبا جاسم العراقي، وأبا عمر قرداش، وأبا علي الأنباري، وكان مدرساً لمادة الفيزياء، وفي الوقت نفسه ناشطاً بعثياً ومسؤول فرقة حزبية أيام النظام السابق.

مع الاحتلال الأميركي التحق بجماعة أنصار الإسلام، وبعد فترة قصيرة انفصل عن التنظيم، ثم انضم لقاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، وبعد ثلاثة أشهر عُين كمندوب تنسيق بين المجموعات، ثم عُزل بعد أقل من عام، وقد التحق بتنظيم دولة العراق الإسلامية، وبدأ نجمه في الصعود، منذ تولي أبي بكر البغدادي إمارة التنظيم.

تولى منصب المسؤول الشرعي في التنظيم، وكان متواجداً في مدينة الرقّة، ويقوم بإعطاء دروس دين في جامع الإمام النووي بين صلاتي المغرب والعشاء. ويعدّ من كبار قادة التنظيم ومقرباً من البغدادي، بخاصة بعد مقتل القيادي الآخر في التنظيم العقيد حجي بكر.

أُعتُبِر عين البغدادي المخلصة داخل جبهة النصرة قبل انفجار الخلافات، إذ كان يرفع التقارير لزعيمه البغدادي بخصوص تصرفات الجولاني وجبهة النصرة، وحال دون قتل الجولاني على يد أبي أيمن العراقي بدعوى أن الأوضاع لا تتحمل ذلك.

تسلم مهمات أساسية في الرقّة بخاصة بعد التذمر العام من سلوك أبي لقمان، الذي تولى أمر الرقّة لزمن طويل، ويُنسب له التخطيط لعملية اغتيال محمد سعيد رمضان البوطي ومحاولة اغتيال رياض الأسعد.

قاد نقاشات مع جبهة النصرة بحضور أبي فراس السوري وأبي حسن تفتناز وأبي عبيدة التونسي وأبي همام الشامي انتهت بالفشل. ويمثل أبو علي الشخصية الأمنية الأولى في التنظيم بامتياز.

تاسعاً- أبو محمد العدناني: طه صبحي فلاحة، من قرية "بنش" في ريف إدلب، ومن مواليد عام ١٩٧٧، تأثر بالسلفية الجهادية، وذهب للقتال في العراق بعد دخول الولايات المتحدة وقوات التحالف، فالتحق بشبكة الزرقاوي هناك.

تشير سيرته الذاتية (المنشورة من قبل تنظيم الدولة) إلى تلقيه علماً شرعياً موازياً على يد عدد من الشيوخ الجهاديين كأبي أنس الشامي وميسرة الغريب، والخليفة أبي بكر البغدادي، وتؤكد السيرة المنشورة على شغفه بالقراءة في مجالات عديدة كالتفسير واللغة والأدب والتاريخ، وقد ألف عدداً من الرسائل والقصائد الجهادية.

وبحسب سيرته أيضاً؛ بايع العدناني الزرقاوي، قبل دخول الاحتلال الأميركي، ثم نشط في ولاية حديثة وعينه الزرقاوي أميراً عليها، كما عمل مدرباً في معسكر الجزيرة، وشرعياً في القاطع الغربي في الأنبار، ثم تولى منصب المتحدث الرسمي لدولة العراق الإسلامية، إلى جانب محارب عبدالله الجبوري، الذي قُتل عام ٢٠٠٧.

اُعتقل العدناني في ٣١ أيار/ مايو ٢٠٠٥ في محافظة الأنبار العراقية من قِبل قوات التحالف الدولي في العراق، وكان يستخدم اسما مزوراً، هو "ياسر خلف حسين نزال الراوي". أُفرج عنه في عام ٢٠١٠ . ويحمل ألقاباً عدة: أبا محمد العدناني، طه البنشي، وجابر طه فلاح، وأبا صادق الراوي.

برز العدناني بصورة لافتة منذ بدء الثورة السورية، بعد إرسال أبي محمد الجولاني ومجموعة من المقاتلين لتشكيل تنظيم هناك، وكان نائباً للجولاني، وبعد الخلاف بين الدولة والنصرة أصبحت خطاباته أكثر تشدداً وعدائية تجاه تنظيم القاعدة وجبهة النصرة، وعُرف في المنتديات الإعلامية والأوساط السياسية كناطق باسم الدولة الإسلامية.

عاشراً- عمر الشيشاني: طرخان باترشفيلي، ولد في عام ١٩٨٦ في

قرية بيركياني في وادي بنكيسي في جورجيا، وخدم في الجيش الجورجي الخدمة الإلزامية بين ٢٠٠٦ و٢٠٠٧. وفي عام ٢٠٠٨ تعاقد مع الجيش لينضم لكتيبة الرماة، وقد شارك في المعارك مع الجيش الجورجي ضد روسيا ٢٠٠٨.

أُصيب بمرض السل في عام ٢٠١٠، وسُرِّح من الخدمة، وفي أيلول/ سبتمبر ٢٠١٠ سجن بتهمة شراء أسلحة وحُكم ثلاث سنوات، لكن أطلق سراحه مبكراً لتدهور حالته الصحية.

دخل سورية أوائل العام ٢٠١٢، بعد أن قضى ١٦ شهراً من عقوبة مدتها ثلاث سنوات في السجن، وانضم إلى المجموعات المسلحة التي تقاتل ضد الحكومة السورية. فقاد مجموعة "جيش المهاجرين والأنصار"، التي تتألف إلى حد كبير من المقاتلين الشيشان، وفي آب/ أغسطس ٢٠١٣، قاد مجموعة من المسلحين ليكونوا جزءاً محورياً في الاستيلاء على قاعدة منغ الجوية، في شمال سورية.

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣، أعلن الولاء لزعيم الدولة الإسلامية، أبي بكر البغدادي،

وفي العام ٢٠١٤، قاد هجوم التنظيم ضد الجماعات المسلحة المتنافسة الأخرى في شرق محافظة دير الزور السورية، ليصبح قائداً عسكرياً رئيسياً لقوات تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، بعد مقتل أبي عبد الرحمن البيلاوي، وأصبح أحد أعضاء المجلس العسكري لتنظيم الدولة الإسلامية.

حادي عشر- أبو لقمان: علي الحمود الشواخ أمير الدولة الإسلامية في مدينة الرقّة السورية، يوصف بأنه رجل التنظيم الأول في سورية، بعد البغدادي، من مواليد عام ١٩٧٣، وهو من عشيرة العجيل (فخذ الكبيسات)، وينحدر من قرية السحل الواقعة غرب مدينة الرقّة.

تخرج الحمود من جامعة حلب عام ١٩٩٩ حائزاً على شهادة في

الحقوق، وعمل بمهنة التدريس ثلاث سنوات (بريف الرقّة) وكان من الذين توجهوا لمشاركة العراقيين في حربهم ضد القوات الأميركية، كما لوحق من قبل فروع الأمن السورية بسبب تدينه.

اعتُقل في سورية عام ٢٠٠٤ بعد مضايقات وملاحقات انتهت بالقبض عليه من قبل أحد الفروع الأمنية، وتنقل في العديد من السجون، قبل أن يستقر في سجن صيدنايا. ثم أُفرج عنه في أيار/ مايو ٢٠١١، فكان من ضمن من شملهم العفو، أمثال قادة جيش الإسلام وصقور الشام وأحرار الشام (زهران علوش وعيسى الشيخ وحسان عبود).

يعتبر أبو لقمان، وفق نشطاء محليين، هو المسؤول عن إعلان العمليات العسكرية، وتعيين أمراء المناطق، وتوزيع المقاتلين على الجبهات، وهو على اتصال مباشر بأبي بكر البغدادي، وقد تسلم إمارة الدولة الإسلامية في الرقّة بعد السيطرة عليها، قبل أن يصبح الرجل الأول للتنظيم في المنطقة.

أُعلن عن مقتله في ٧ كانون الثاني/ يناير٢٠١٤ من قبل جماعات جهادية منافسة، ولم يثبت ذلك، وتُحمّله جبهة النصرة وفصائل جهادية أخرى المسؤولية عن عمليات الإعدام التي جرت في الرقّة، وأهمها إعدام أبي سعد الحضرمي، أمير جبهة النصرة هناك.

ثاني عشر- أبو مصعب الحلوس: خلف الذياب الحلوس، ويعرف بين أقاربه بلقب "أبو ذياب"، من مواليد قرية كنيطرة إحدى قرى بلدة سلوك، كان له دور ملموس في توطين التنظيم في مدينة الرقّة، وهو من أوائل من بايع التنظيم آنذاك، إذ استقبلهم في منزله، وتمت المبايعة لأبي عبدالله سابقاً، ثم أبي لقمان.

ثالث عشر- أبو عمر الملاكم: عراقي الجنسية، هرب من سجن تسفيرات في تكريت، فدخل الأراضي السوريّة بطلب من البغدادي ليكون المراقب الأول على جبهة النصرة آنذاك، يفتقد لأحد قدميه ويستعمل قدماً اصطناعية، محكوم عليه بالإعدام في تونس، واختصاصه التفجير عن بعد من خلال الأجهزة الإلكترونية والتحكم عن بعد.

رابع عشر- محمود الخضر: كنيته داخل التنظيم "أبو ناصر الأمني"، أحد الأمنيين في الرقّة، ويعمل خلف الكواليس، ولديه الوثائق المتعلقة بالاغتيالات والمعلومات الأمنية.

يلبس قناعاً، وعلى القناع قناعٌ آخر شفاف كي لا يُعرف من عيونه، دائم الحرص على عدم التكلّم لكي لا يُعرف من صوته، ويرتدي قفازات لكي لا يُعرف من لون بشرته.

خامس عشر- أبو عبدالرحمن الأمني: سوري يُدعى "علي السهو"، طالب هندسة زراعية من دير الزور، وهو من قرية الجايف التابعة لمدينة الرقّة، وقد أعلنت المعارضة السورية المسلحة عن مقتله في ٣٠ نيسان/ أبريل ٢٠١٤، في المواجهات بين فصائل الجيش الحر المعارض وجبهة النصرة مع داعش، ولم يتأكد ذلك.

سادس عشر- أبو علي الشرعي: فواز محمد الحسن العلي، من أبناء ناحية الكرامة في ريف الرقّة الشرقي، سُجن لسنوات في صيدنايا، خلال تسعينات القرن الماضي، ثم خرج بعدها ليعمل في المملكة العربية السعودية، ثم ليعود إلى سورية عاملاً عادياً.

لم يُعرف له أي نشاط عسكري أو مدني في الحراك الشعبي، قبل أن يبرز بعد إعلان تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، وانشقاقه عن جبهة النصرة، وذلك بعد سيطرة مجموعات إسلامية على مدينة الرقّة.

بالإضافة لغموضه وغرابة تسميته قاضياً شرعياً، عُرف أبو علي بدمويته الشديدة، ويشتهر ابنه بحمله سيفاً لأبيه يقوم به بتنفيذ أحكام الإعدام، كما يُعرف أبو علي بتعصّبه الشديد لعشيرته، وقد شملته التغييرات التي حدثت في آذار/ مارس ونيسان/ أبريل ٢٠١٤، إذ أُقيل وسُلّمت مهامه للعراقي "أبي علي الأنباري".

ملحق (٢)

نبذة عن أبرز قيادات جبهة النصرة

أولاً- أبو محمد الجولاني: لا تزال شخصيته الحقيقية غير مؤكدة، فالأجهزة الاستخبارية العراقية ترجح أن يكون اسمه عدنان الحاج علي، أما المصادر السورية فتؤكد أنه أسامة الحداوي، من بلدة الشحيل بريف دير الزور.

في بداية الأربعين من العمر، ويعد المؤسس الأول والفعلي لجبهة النصرة، ويلقب بـ"الفاتح"، ويتولى موقع المسؤول العام لجبهة النصرة، وتعود بدايات الجولاني إلى مرتفعات الجولان التي ينسب إليها عندما كان معلماً للغة العربية، التحق بتنظيم القاعدة في العراق إبان قيادة الزرقاوي، لكن القوات الأميركية اعتقلته واحتجز في معسكر بوكا، على الحدود العراقية مع الكويت، وبعد إطلاق سراحه من السجن عام ٢٠٠٨ استأنف الجولاني نشاطه الجهادي، وهذه المرة كانت إلى جانب أبو بكر البغدادي، زعيم الدولة الإسلامية في العراق، وسرعان ما ترقى في المناصب القيادية ليشغل منصب رئيس عمليات محافظة الموصل.

بعد فترة وجيزة من قيام الثورة السوريّة، قدم مشروعاً للبغدادي، لبدء القتال في سورية، وبعد الموافقة تم انتدابه مسؤولاً في سورية برفقة عدد من المقاتلين، حيث انتقل الجولاني إلى المناطق السوريّة في آب/ أغسطس ٢٠١١، وحظي بدعم كامل من البغدادي، وشكل جبهة النصرة التي أعلن عن إنشائها في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢، ثم أعلن عن انشقاقه عن الفرع

العـراقي، وقـدم بيعتـه لزعـيم القـاعدة أيمن الظواهري في نيسـان/ أبريل ٢٠١٣، وأصبحت جبهة النصرة تتبع تنظيم القاعدة المركزي مباشرة، وممثلا للتنظيم في بلاد الشام.

ثانيا- أبو همام الشامي (أو السوري): يعرف باسم فاروق السوري، تسلم منصب القائد العسكري العام في "جبهة النصرة"، وكان يشغل منصب القائد العسكري العام لجبهة النصرة، أبو سمير الأردني. سافر أبو همام السوري إلى أفغانستـان أواخر تسعينيات القرن الماضي بين العامين ١٩٩٨-١٩٩٩، فالتحق بمعسكر الغرباء التابع لأبي مصعب السوري لمدة عام، ثم انتقل بعدها إلى معسكر الفاروق ومن ثم معسكر المطار لتدريب القوات الخاصة.

بايع السوري أسامة بن لادن مصافحةً، الأمر الذي يعتبر من المآثر ودليل ثقة بالشخص الذي يرشح لنيل هذه الحظوة، وعيّن مسؤولاً عن السوريين في أفغانستان، وشارك في معظم معارك تنظيم "القاعدة" في تلك المرحلة، وبعد احتلال أفغانستان من قبل الولايات المتحدة وحلفائها، كلّفه مصطفى أبو اليزيد بالعمل في العراق قبيل سقوط بغداد، حيث مكث فيها لمدة أربعة أشهر بتكليف رسمي من قيادة تنظيم "القاعدة" في خراسان، والتقى خلال هذه الفترة بكل من أبي حمزة المهاجر وأبي مصعب الزرقاوي.

وبحسب السيرة التي نشرتها جبهة النصرة، فقد اعتقل أبو همام في لبنان لمدة خمس سنوات، وبعد الإفراج عنه التحق بتنظيم "القاعدة في بلاد الشام"، وأصبح المسؤول العسكري العام لـ"جبهة النصرة".

ثالثاً- أبو فراس السوري: رضوان نموس، المتحدث الرسمي باسم جبهة النصرة، من مواليد عام ١٩٥٠ في مضايا في ريف دمشق، التحق بالكلية الحربية وتخرج برتبة ملازم، وسُرّح إثر حادثة المدفعية عام ١٩٧٩ بسبب توجهه الإسلامي، وكان مدرباً في تنظيم "الطليعة المقاتلة" في الفترة ما بين ١٩٧٧- ١٩٨٠.

قام بعدة عمليات ضد نظام الأسد، ثم هاجر إلى الأردن عام ١٩٨٠، وذهب بعدها إلى أفغانستان عام ١٩٨١، وقام بتدريب الأفغان والعرب القادمين إلى الجهاد هناك، والتقى بعبد الله عزام وأسامة بن لادن عام ١٩٨٣، وشارك بتأسيس جماعة "لشكر طيبة" الباكستانية، التي تم تدريبها بإشرافه وتمويل أسامة بن لادن وقيادة زكي الرحمن.

قام أثناء الحرب الأميركية على أفغانستان ٢٠٠١ بعملية تأمين عائلات المجاهدين في باكستان، ثم هاجر إلى اليمن عام ٢٠٠٣، وبقى هناك حتى عودته الى سورية مطلع عام ٢٠١٣، إثر نشوب الخلاف بين الجبهة والدولة، فحاول بالاشتراك مع أبي خالد السوري رأب الصدع والإصلاح، ثم التحق بفرع تنظيم القاعدة في بلاد الشام ممثلاً بجبهة النصرة.

رابعاً- أبو مصعب السوري: مصطفى بن عبد القادر بن مصطفى بن حسين بن الشيخ أحمد المُزَيِّكَ الجاكيري الرفاعي، ويعرف أيضاً بعمر عبد الحكيم، ولد في مدينة حلب عام ١٩٥٨، وتُعرف أسرته اليوم بكنية (ست مريم) نسبة إلى جدة الأسرة.

درس في كلية الهندسة الميكانيكية في جامعة حلب خلال (١٩٧٦-١٩٨٠)، التحق عام ١٩٨٠ بتنظيم الطليعة المقاتلة، الذي أسسه مروان حديد في سورية، ثم هاجر إلى الأردن أثر المواجهات بين جماعة الإخوان والنظام في سورية، وعمل مدرباً في الجهاز العسكري للتنظيم في قواعده في الأردن، وفي معسكراته في بغداد (١٩٨٠- ١٩٨٢)، وعرف أيامها باسم (أبو العبد)، وتلقى عدداً من الدورات العسكرية بإشراف ضباط فارين من الجيش السوري في الأردن، كما تلقى تدريباً لدى الجيش العراقي في بغداد، والنظام المصري في القاهرة، وتخصص في علم هندسة المتفجرات وحرب عصابات المدن والعمليات الخاصة.

أثناء معارك حماة سنة ١٩٨٢، عينته قيادة تنظيم الإخوان المسلمين

المقيمة في بغداد عضواً في القيادة العسكرية العليا بإمارة سعيد حوى، ونائباً للمسؤول عن منطقة شمال غرب سورية لكفاءاته العسكرية، إثر دمار مدينة حماة وانهيار برنامج المواجهة مع النظام السوري.

ثم أعلن أبو مصعب انفصاله عن "الإخوان"، احتجاجاً على إبرامهم "التحالف الوطني" مع الأحزاب العلمانية والشيوعية والفرع العراقي لحزب البعث، لأسباب عقدية منهجية، واحتجاجاً على الفساد وسوء الإدارة لدى الإخوان، في رأيه، واعتبرهم مسؤولين عن دمار حماة وفشل وإجهاض مشروع الثورة الإسلامية هناك، وقد سجل فيما بعد تفاصيل ذلك في كتابه المشهور، الذي أرَّخ فيه لتاريخ تلك التجربة السورية ودروسها.

تنقل في مهاجر عديدة، واستقر في فرنسا محاولاً إتمام دراسته هناك بين سنوات ١٩٨٣- ١٩٨٥، لكنه ما لبث أن قطع دراسته ليشارك في محاولة عدنان عقلة إعادة بناء الجهاد في سورية، وإثر فشل تلك المحاولة واعتقال عدنان عقلة ومعظم من تبقى من الطليعة، تفرغ لمحاولة تشكيل تنظيم جهادي سوري جديد سنة ١٩٨٥، ثم هاجر إلى إسبانيا واستقر فيها، وتزوج من امرأة إسبانية اعتنقت الإسلام، وقد قادته تلك المحاولة إلى أفغانستان سنة ١٩٨٧ بحثاً عن ساحة للإعداد ولجمع المعونات لتلك المحاولة التي لم يكتب لها النجاح.

تعرف أبو مصعب في بيشاور على عبد الله عزام، الذي أقنعه بالانضمام إلى الجمع العربي والجهاد الأفغاني، ليضع خبرته في مجال تدريب الجمع الناشئ، فهاجر إلى هناك، وعمل في الجهاد العربي الأفغاني في مجالات التدريب المختلفة، بخاصة في مجال هندسة المتفجرات والرماية والقتال القريب، إذ تحصل على درجة الحزام الأسود في رياضة الجودو في فرنسا سنة ١٩٨٤ أثناء دراسته فيها، كما عمل محاضراً في الفكر الجهادي ومدرساً لمادة حرب العصابات في معسكرات المجاهدين العرب، وشارك في الجهاد الأفغاني ضد الروس والشيوعيين خلال أعوام ١٩٨٧-١٩٩١.

خلال تلك المدة تعرف أبو مصعب السوري على أسامة بن لادن، والتحق بتنظيم القاعدة في بداية تأسيسه سنة ١٩٨٨، وكان أحد المقربين من بن لادن، خلال مرحلة "الجهاد الأفغاني" (١٩٨٨- ١٩٩١)، وتأثر بكتابات سيد قطب وعبد الله عزام، وأثناء وجوده في باكستان وأفغانستان درس في جامعة بيروت العربية في قسم التاريخ -بالمراسلة- وتحصل على شهادة (ليسانس) سنة ١٩٩١ من فرع الجامعة في عمان-الأردن.

عاد إلى إسبانيا سنة ١٩٩١، ثم ما لبث أن هاجر إلى بريطانيا لمساعدة الجزائريين بناء على دعوة اقاري سعيد الجزائري، الذي عاد من أفغانستان إلى الجزائر ليشارك في تأسيس الجماعة الإسلامية المسلحة، فمكث في لندن خلال (١٩٩٤- ١٩٩٧)، وعمل مع الخلية الإعلامية الداعمة للجهاديين في الجزائر.

شارك في تحرير نشرة "الأنصار" الجزائرية وغيرها من نشرات الجماعات الجهادية التي كانت تصدر من أوروبا خلال تلك الفترة بخاصة نشرة "الفجر" الليبية ونشرة "المجاهدون" المصرية. لكنه أعلن براءته من قيادة الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر لما اعتبره "انحرافاتها"، وقرر التفرغ للعمل الأدبي والصحفي المستقل، فأسس في لندن (سنة ١٩٩٦) "مكتب دراسات صراعات العالم الإسلامي"، وتعرض لضغوط من أجهزة الأمن البريطانية، وكان هذا أحد أسباب هجرته إلى أفغانستان عام ١٩٩٧ إثر نجاح طالبان في إقامة الإمارة الإسلامية، فبقي فيها حتى سقوطها في كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠١.

أسس في أفغانستان خلال الفترة (١٩٩٧- ٢٠٠١) معسكر الغرباء في قاعدة قرغة العسكرية الشهيرة في كابل بتعاون مع وزارة دفاع الطالبان، وبايع الملا محمد عمر في قندهار عام ٢٠٠٠، وشكل مجموعة جهادية عملت ميدانيا مع طالبان، كما عمل مع وزارة الإعلام، وكتب في جريدة الشريعة الناطقة الرسمية باسم الإمارة، وشارك في إعداد برامج إذاعة كابل العربية، وأسس خلال تلك الفترة "مركز الغرباء للدراسات الإسلامية والإعلام"، وأصدر مجلة (قضايا الظاهرين على الحق).

بعد سقوط إمارة طالبان اعتزل وتفرغ على مدى السنوات الثلاثة التالية لصياغة نظريات ورسائل لما أسماها "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية"، وعدد من الأبحاث الأخرى، وأعلن في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤ إنهاء عزلته الفكرية ليستأنف نشاطه الفكري والميداني، لمتابعة نشر وبناء دعوة المقاومة الإسلامية. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤ وضعت الولايات المتحدة مكافأة ٥ ملايين دولار لمن يرشد عنه، وقد اعتُقل في عاصمه بلوشستان الباكستانية عام ٢٠٠٥ وسُلِّم إلى سورية، ولايزال قيد الاعتقال.

له عدد من الكتب والدراسات، ومن أهمها: "الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا"، ويتكون من جزأين الأول بعنوان: التجربة والعبرة (آلام وآمال)، والثاني بعنوان: الفكر والمنهج (أبحاث وأساسيات على طريق جهادي).

خامساً- سامي محمود العريدي: وكنيته "ابو محمود الشامي"، يتولى منصب المفتي الشرعي العام لجبهة النصرة، أردني الجنسية، يعتبر المرجعية الشرعية لجبهة النصرة حتى قبل تعيينه في منصبه الجديد، كما أنه يعد من واضعي منهج وعقيدة الجبهة.

ولد في عمان سنة ١٩٧٣، ونال الدرجة الجامعية الأولى في علوم الشريعة من الجامعة الأردنية. وفي سنة ١٩٩٤ واصل دراسته في الجامعة ذاتها لنيل درجة الماجستير في الحديث، التي حصل عليها فعلاً سنة ١٩٩٧، وفي سنة ٢٠٠١ نال درجة الدكتوراه في الحديث، وله مؤلفات حول ابن تيمية، ونصح الجولاني في مقابلة مع قناة الجزيرة القطرية، بمتابعة كلام العريدي.

جاء تعيينه بمنصب الشرعي العام، بعد عزل أبي مارية القحطاني، في ٣٠ تموز/ يوليو ٢٠١٤، إذ نشرت مؤسسة البصيرة الإعلامية التابعة لجبهة النصرة فيديو خطبة وصلاة عيد الفطر له تحت عنوان الدكتور سامي العريدي "الشرعي العام في جبهة النصرة"، لتحسم الجدل حول ترتيبات

النصرة ومناصبها القيادية في مرحلتها الجديدة بعد خسارة دير الزور، كما تمثل في إعلان مشروع الإمارة وبدء ما أسمته حملة "ردع المفسدين" لمواجهة الكتائب المتهمة بتجاوزات في القرى الحدودية مع تركيا بريف حلب وإدلب، واستكمال اعتقال عناصر وقيادات في الجيش الحر بدرعا.

سادساً- أبو مارية القحطاني: ميسرة علي بن موسى بن عبدالله الجبوري، "المفتي العام لجبهة النصرة وأمير المنطقة الشرقية" سابقاً، درس في جامعة الموصل، وحصل على دبلوم إدارة، وعمل فترة من الزمن شرطياً، ترك عمله كشرطي وانتسب إلى صفوف "الجهاديين" في العراق، لكنه سرعان ما قُبض عليه واعتقل عام ٢٠٠٤ لسنوات عدة قبل أن يفرج عنه، ثم جرى تعيينه من قبل تنظيم "دولة العراق الإسلامية" شرعياً في مدينة الموصل، ومن بعدها انتقل للعمل في الحسبة والعلاقات مع العشائر، حيث جرى القبض عليه للمرة الثانية، ثم أفرج عنه.

كان من أبرز المتحمسين لرفض قرار الاندماج الذي أعلنه البغدادي، ولعب دوراً أساسياً في إقناع الجولاني بعدم القبول به، ومن ثم مبايعة الظواهري، وقد أخذ علومه الشرعية من مشايخ كانوا معتقلين معه، وعلى رأسهم شيخه "المياحي"، ويشار إلى أن وزارة المالية الأميركية أصدرت في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢ قراراً يقضي بفرض عقوبات على بعض قيادات "النصرة"، وشمل القرار شخصين اثنين هما ميسرة الجبوري وأنس حسن خطاب (أبا عبد العزيز القطري)، "لعملهما نيابة عن تنظيم القاعدة في العراق"، وبحسب ما جاء في القرار الأميركي فقد "انتقل ميسر علي موسى عبد الله الجبوري من الموصل في العراق إلى سورية، في أواخر العام ٢٠١١ لاستغلال البيئة الأمنية السورية السانحة لنقل أيديولوجية تنظيم القاعدة إلى سورية وتشكيل مجموعات إرهابية ذات تفكير مماثل. واعتبارًا من منتصف العام ٢٠١٢، أصبح الجبوري القائد الديني والعسكري لجبهة النصرة في شرق سورية، كما تولى إدارة معسكر تدريب لأفراد الشبكة، ويشتبه بأن الجبوري شارك بهجوم في العام ٢٠٠٤ ضد نقطة تفتيش لقوات التحالف في محافظة نينوى".

المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

١. أبو أنس الشامي، الشيعة، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:
http://www.tawhed.ws/f?text=%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%B9%D8%A9&in=title&author=&category=&submit=%

٢. أبو الحسن الأزدي، موجبات الانضمام للدولة الاسلامية في العراق والشام، على الرابط: http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=329431

٣. أبو حمزة البغدادي، لماذا نقاتل؟ ومن نقاتل؟ منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.tawhed.ws/r1?i=4342&x=juzn3cys

٤. أبو عبادة الأنصاري، مفهوم الحاكمية في فكر الشهيد عبد الله عزام، مركز الشهيد عبد الله عزام الإعلامي، بيشاور، باكستان.

٥. أبو عبدالله المهاجر، مسائل من فقه الجهاد، على الرابط:
http://ia601203.us.archive.org/19/items/kotobjehad/masael.pdf

٦. أبو مارية القرشي، نور اليقين: شرح عقيدة تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:
http://up1430.com/central-guide/pencil/gimf/dar/old/Nor-ALyaqen/index.html

٧. أبو محمد المقدسي، ملة إبراهيم: ودعوة الأنبياء والمرسلين، وأساليب الطغاة في تمييعها وصرف الدعاة عنها، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:
http://www.tawhed.ws/r?i=iti4u3zp

٨. أبو مصعب السوري، الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا: التجربة والعبرة (آلام وآمال).

٩. أبو مصعب السوري، الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا: الفكر والمنهج (أبحاث وأساسيات على طريق جهادي ثوري مسلح).

١٠. أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، طبعة ذي القعدة ١٤٢٥هـ/ ديسمبر ٢٠٠٤م، على الرابط:
http://www.tawhed.ws/a?a=hqkfgsb

١١. أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري، مد الأيادي لبيعة البغدادي، على الرابط: http://www.gulfup.com/?82PVS5

١٢. أيمن الظواهري، فرسان تحت راية النبي، على الرابط:
https://azelin.files.wordpress.com/2010/11/ayman-al-zawahiri-knights-under-the-prophets-banner-first-edition.pdf

١٣. بوب ودورد، خطة الهجوم، تعريب فاضل جتكر، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ .

١٤. جان شارل بربزار، وداميا مارتينز، أبو مصعب الزرقاوي الوجه الآخر لتنظيم القاعدة، ترجمة هالة صلاح الدين لولو، الدار العربية للعلوم، بيروت، ودار الشروق، رام الله، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ .

١٥. جيل كيبل، جهاد: انتشار وانحسار الإسلام السِّياسي، ترجمة نبيل سعد، دار العالم الثالث، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ .

١٦. جيل كيبيل، الفتنة: حروب في ديار المسلمين، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ .

١٧. راي تاكيه ونيكولاس عفولايف، نشوء الإسلام السِّياسي الراديكالي وانهياره، ترجمة حسان بستاني، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.

١٨. روبرت تابر، حرب المستضعفين: دراسة كلاسيكية في حرب العصابات، تعليق الشيخ أبي مصعب السوري، على الرابط:
http://alplatformmedia.com/vb/showthread.php?t=20998

١٩. سيد قطب، ثلاث رسائل في الجهاد، دار عمار، عمان، ١٩٩١ .

٢٠. سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق.

٢١. صالح سرية، رسالة الإيمان، اتحاد طلاب كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٧ .

٢٢. عبد الباري عطوان، القاعدة: التنظيم السري، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ .

٢٣. عبد الله عزام، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، مركز الشهيد عبد الله عزام الإعلامي، بيشاور، باكستان.

٢٤. عثمان بن عبد الرحمن التميمي، إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي، على الرابط:
http://www.jihadica.com/wp-content/uploads/2014/08/ilam-al-anam.pdf

٢٥. غيدوشتاينبيرغ، السلفية الجهادية والشيعة: ملاحظات حول الجذور الفكرية لمناهضة التشيع، ضمن كتاب السلفية العالمية: الحركات السلفية المعاصرة في عالم متغير، تحرير: رول ميير، ترجمة محمد محمود التوبة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٤ .

٢٦. رانسوا بورغا: الإسلام السياسي في زمن القاعدة، ترجمة سحر سعيد، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ .

٢٧. كميل الطويل، القاعدة وأخواتها: قصة الجهاديين العرب، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ .

٢٨. محمد أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة في سورية، مؤسسة فريدريش أيبرت، عمان، ط١، ٢٠١٣ .

٢٩. محمد أبو رمان، أنا سلفي: بحث في الهوية الواقعية والمتخيلة لدى السلفيين، مؤسسة فريدريش أيبرت، عمان، ٢٠١٤ .

٣٠. محمد أبو رمان، وحسن أبو هنيّة، السلفية الجهادية في الأردن بعد مقتل الزرقاوي، مقاربة الهوية ـ أزمة القيادة ـ ضبابية الرؤية، مؤسسة فريدريش أيبرت، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ .

٣١. محمد أحمد خلف الله، الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، ندوة، مقالة: الصحوة الإسلامية في مصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ .

٣٢. محمد عبدالسلام فرج، الجهاد: الفريضة الغائبة، على الرابط:
http://alkalema.net/algehad.htm

٣٣. ميسرة الغريب، مقاتلة الشيعة في العراق: الحكم والحكمة،، الجزء الأول، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي.

٣٤. ميسرة الغريب، من خفايا التاريخ: الزرقاوي كما عرفته، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، الجزء الثاني.

٣٥. هيثم مناع، خلافة داعش من هجرات الوهم إلى بحيرات الدم، المعهد الاسكندنافي لحقوق الإنسان، الجزء الأول، على الرابط:
http://sihr.net/wp-content/uploads/2014/07/DAEESH-first-part1.pdf

٣٦. وليد الراوي، دولة العراق الإسلامية، دار آمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢ .

المراجع باللغة الإنجليزية:

1. David Ignatius, Obama faces growing pressure to escalate in Iraq and Syria, The Washington Post, 14 October, 2014, available at: http://www.washingtonpost.com/opinions/david-ignatius-obama-faces-growing-pressure-to-escalate-in-iraq/2014/10/14/28b2ae56-53e1-11e4-809b-8cc0a295c773_story.html

2. Aaron David Miller, Middle East Meltdown, Foreign Policy, October 30, 2014, available at: http://foreignpolicy.com/2014/10/30/middle-east-meltdown/

الدوريات:

١. آدام روبرتس، نهاية الاحتلال في العراق، المستقبل العربي، بيروت، عدد ٣٠٧ .

٢. أنتوني كوردسمان، العراق ما العمل، المستقبل العربي، بيروت، عدد ٣٠٤ .

٣. توماس بيكرينج وجيمس شليزنجر وأريك شوارتز، العراق بعد عام واحد، المستقبل العربي بيروت، العدد ٣٠٢ .

٤. فيليس بينيس، انتقال فاشل للسلطة، النفقات المتصاعدة لحرب العراق، المستقبل العربي، بيروت، عدد ٣٠ .

٥. مجموعة الازمات الدولية: ماذا بإمكان الولايات المتحدة أن تفعل في العراق: المستقبل العربي، بيروت، عدد ٣١٢ .

٦. محمد أبو رمان، من "السلفية الجهادية" إلى "أنصار الشريعة": التكيف مع حقبة الثورات الديمقراطية العربية والدور السياسي الجديد، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلد ٤٢ .

٧. نعومي كلاي، السنة الصفر؛ نهب العراق سعياً إلى "يوتوبيا" للمحافظين الجدد، مجلة المستقبل العربي، ع (٣٠٨)، أكتوبر ٢٠٠٤.

٨. وليم بولك: الواقع والخيارات في حرب العراق، المستقبل العربي، بيروت، عدد ٣١١ .

التقارير:

١. أنتوني كوردسمان، النتائج الحقيقية من الحرب على العراق: المنافسة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وإيران، تقرير صادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الأميركي CSIS، ترجمة دار بابل للدراسات والاعلام، على الرابط: http://www.darbabl.net/show_tarjama.php?id=251

٢. تشارلز ليستر، الأزمة مستمرة، تحليل المشهد العسكري في سوريا، مركز بروكنجز الدوحة، موجز السياسة، مايو ٢٠١٤، ص ٢، على الرابط:
http://www.brookings.edu/~/media/research/files/papers/2014/05/19%20syria%20military%20landscape%20lister/syria%20military%20landscape%20arabic.pdf

٣. خليفة "داعش" وأعضاء حكومته، صحيفة التلغراف، العربية نت، على الرابط:
http://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/iraq/2014/07/10/%D8%AE%D9%84%D9%8A%D9%81%D8%A9-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D9%88%D8%A3%D8%B9%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D8%AD%D9%83%D9%88%D9%85%D8%AA%D9%87.html

٤. ديفيد جارتينستين روس وكايل دابروزي، هل لا تزال القيادة المركزية للقاعدة مترابطة؟، ترجمة صادق أبو السعود، مركز القدس للدراسات السياسية، على الرابط:
http://alqudscenter.org/arabic/pages.php?local_type=128&local_details=2&id1=706&menu_id=10&cat_id=10

٥. فليكس لغراند، استراتيجية داعش الاستعمارية في سوريا، على الرابط:
http://www.arab-reform.net/sites/default/files/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%A9%20%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9.pdf

٦. عمر عاشور، القاعدة في العراق: القضاء على القادة لن يقطع بالضرورة شرايين الحياة، على الرابط:
http://carnegieendowment.org/2010/06/30/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D9%84%D9%86-%D9%8A%D9%82%D8%B7%D8%B9-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%B4%D8%B1%D8%A7%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9/gbol?reloadFlag=1

٧. غـريغـوري غـوس، مـا وراء الطـائفيــة: الحــرب البــاردة الجـديدة في الشــرق الأوسط، دراسـة تحليلية صادرة عن مـركـز بروكنجـز، الـدوحـة، رقم ١١، يوليـو ٢٠١٤ .

٨. مجموعة الأزمات الدولية، الحرب العراقية المقبلة: الطائفية والصراع الأهلي، تقرير الشرق الأوسط رقم 52 ـ 27 شباط/ فبراير 2006، على الرابط:
http://www.crisisgroup.org/~/media/Files/Middle%20East%20North%20Africa/Iraq%20Syria%20Lebanon/Iraq/Arabic%20translations/The%20Next%20Iraqi%20War%20Arabic.pdf

٩. مجموعة الأزمات الدولية، سنة العراق والدولة: فرصة كبرى أو خسارة فادحة، تقرير الشرق الأوسط، رقم ١٤٤، آب/ أغسطس ٢٠١٣، على الرابط:
http://www.crisisgroup.org/~/media/Files/Middle%20East%20North%20Africa/Iraq%20Syria%20Lebanon/Iraq/Arabic%20translations/144-make-or-break-iraq-s-sunnis-and-the-state-arabic.pdf

١٠. مجموعة الأزمات الدولية، العراق بعد الحشد العسكري ١: المشهد السني الجديد، تقرير الشرق الأوسط رقم ٧٤، ٣٠ نيسان/ أبريل ٢٠٠٨، على الرابط:
http://www.crisisgroup.org/~/media/Files/Middle%20East%20North%20Africa/Iraq%20Syria%20Lebanon/Iraq/Arabic%20translations/Iraq%20after%20the%20Surge%201%20The%20New%20Sunni%20Landscape%20Arabic.pdf

١١. مجموعة الأزمات الدولية، هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سوريا، تقرير الشرق الأوسط رقم ١٣١ ـ ١٢ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٢، على الرابط:
http://www.crisisgroup.org/~/media/Files/Middle%20East%20North%20Africa/Iraq%20Syria%20Lebanon/Syria/Arabic%20translations/131-tentative-jihad-syrias-fundamentalist-opposition-arabic.pdf

١٢. معارضة سوريا تنتقد وصم "النصرة" بالإرهاب، الجزيرة نت، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/news/arabic/2012/12/13/%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D8%B6%D8%A9-

١٣. منظمة الشفافية الدولية، مؤشر مدركات الفساد ٢٠١١، على الرابط
http://cpi.transparency.org/cpi2011/results.

١٤. نيد باركر وايزابيل كولز ورحيم سلمان، كيف سقطت الموصل؟ ضابط عراقي كبير يشكك في رواية بغداد، تقرير خاص، رويترز، على الرابط:
http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKCN0I412C20141015?sp=true

المقالات:

١. أحمد محمد أبو زيد، من التبرعات إلى النفط: كيف تحول "داعش" إلى أغنى تنظيم إرهابي في العالم ؟ المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، على الرابط:
http://www.rcssmideast.org/Article/2668/%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84-

٢. أحمد هاشم الحبوبي، غزوة "قهر الطواغيت".. خاتمة خطة "هدم الأسوار"، على الرابط:
http://www.kitabat.com/ar/page/02/09/2013/16209/%D8%BA%D8%B2%D9%88%D8%A9- B1raquo.html

٣. أكرم حجازي، الثورة السورية ومسارات التدويل (٦)، خريطة القوى المسلحة، على الرابط:
http://www.almoraqeb.net/main/articles-action-show-id-350.htm

٤. أكرم حجازي، الدورة التاريخية: العراق ما بين البغدادي الأول والبغدادي الثاني (٤)، على الرابط:
http://www.almoraqeb.net/main/articles-action-show-id-239.htm

٥. إلي كارمون، القاعدة والحرب على الإرهابِ بعد الحربِ في العراق، ترجمة مركز القدس، على الرابط:
http://www.alqudscenter.org/arabic/pages.php?local_type=128&local_details=2&id1=663&menu_id=10&cat_id=10

٦. أندرو غافن مارشال، الإمبراطورية في عهد أوباما: مكافحة التمرد وفرق الموت، واستهداف الشعوب، الجزء الرابع، على الرابط:
http://www.islamdaily.org/ar/democracy/11690.article.htm

٧. أوليفر بلشر، ما بعد الاستعمار: العلوم الاجتماعية العسكرية وصنع عقيدة مكافحة التمرد الأمريكية، على الرابط:
http://www.inbaa.com/%D9%85%D8%A7-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-

٨. باسل الجنيدي، قصّة "أصدقاء صيدنايا": أقوى ثلاثة رجال في سوريا اليوم!، على الرابط: http://aljumhuriya.net/19328

٩. بيتر نيومان، الجهاديون في سوريا: لا يلومن الأسد إلا نفسه، ترجمة ياسر الزيات، على الرابط: http://aljumhuriya.net/26403

١٠. تامر الصمادي، تنظيم الدولة قبلة الجهاديين الأردنيين، الجزيرة نت، الرابط التالي:
http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2014/10/25/%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-

١١. توبي دودج، الدولة والمجتمع في العراق بعد عشر سنوات من تغيير النظام: صعود السلطوية من جديد، ترجمة: شادي عبد الوهاب، على الرابط:
http://www.baghdadcenter.net/print-149.html

١٢. حازم الأمين، وثيقة عن "الحرب المرغوبة" بين "داعش" والنظام، صحيفة الحياة، 9 تشرين الثاني/ نوفمبر 2013.

١٣. حسن أبو هنيّة، رجال بن لادن والظواهري في إيران، على الرابط:
http://arabi21.com/Story/750932

١٤. حسن أبو هنيّة، القاعدة واندماج الأبعاد: ولادة ثالثة ونشأة مستأنفة، الجزيرة نت، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2013/8/24/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9-

١٥. حسن أبو هنيّة، ظاهرة أنصار الشريعة، على الرابط:
http://islamion.com/kotap/13407/sec.php?sec=9

١٦. حسن أبو هنيّة، القاعدة وإيران، انتهت المتعة والطلاق بائن، على الرابط:
http://arabi21.starware.net/Story/714567

١٧. رافائيل لوفيفر، الكفاح المسلح لجماعة الإخوان السورية، على الرابط:
http://carnegie-mec.org/publications/?fa=50428

١٨. ستيف دوبرانسكي، لماذا فشلت الولايات المتحدة في العراق؟، على الرابط:
http://www.darbabl.net/show_tarjama.php?id=327

١٩. سعود بن صالح السرحان، قاعدة اليمن.. بوادر تصدّع والبغدادي يتقدم، صحيفة الشرق الأوسط، 13 أكتوبر 2014، على الرابط:
http://www.aawsat.com/home/article/199751

٢٠. صهيب عنجريني، "الدولة الإسلامية": من "البغدادي المؤسس" إلى "البغدادي الخليفة"، صحيفة الأخبار، على الرابط:

http://www.al-akhbar.com/node/210299

٢١. عبد الله سليمان علي، داعش في درنة الليبية: محكمة شرعية واستمالة ضباط، السفير البيروتية، ٢٠١٤/١٠/٢٢

٢٢. مجاهد ديرانية، خرائط متحركة: القوى العسكرية في الثورة السورية، مركز الجزيرة للدراسات، على الرابط:
http://studies.aljazeera.net/reports/2013/12/20131223111212549392.htm

٢٣. محمد أبو رمان، قراءة في أبعاد الخلاف بين الظواهري والبغدادي، الجزيرة نت، 22–5–2014، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec-47d5-b7c4-3aa56fb899e2/3bb731af-a559-441d-8d56-c76d09bed3a4

٢٤. محمد حبش، أبو القعقاع.. ذكريات.. الطريق إلى داعش، مدونة جدران، ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٤، على الرابط التالي:
http://www.judran.net/?p=2831

٢٥. هارون ي. زيلين، صعود تنظيم القاعدة في سوريا، معهد واشنطن، على الرابط: http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-rise-of-al-qaeda-in-syria

٢٦. هشام الهاشمي، صحوات الفصائل السنية، على الرابط:
http://www.ynewsiq.com/?aa=news&id22=3155&iraq=%D5%CD%E6%C7%CA%20%C7%E1%DD%D5%C7%C6%E1%20%C7%E1%D3%E4%ED%C9

٢٧. هشام الهاشمي، هيكلية تنظيم داعش: أخطر ١٨ أرهابياً يهددون استقرار العراق، صحيفة المدى، على الرابط:
http://almadapaper.net/ar/printnews.aspx?NewsID=466428

٢٨. هيثم مناع، سجن صيدنايا: بين الحقيقة والتوظيف، الجزيرة نت، على الرابط: http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2008/7/17/%D8%B3%D8%AC%D9%86-

٢٩. وليد رمزي، انقسام القاعدة في المغرب الإسلامي حول دولة الخلافة، موقع مغاربية الإلكتروني، ٢٠١٤/٧/١٨، الرابط التالي:
http://magharebia.com/ar/articles/awi/features/2014/07/18/feature-01

الوثائق والكلمات والبيانات:

١. أبو أنس الشامي، الرد على شبهات حول الجهاد في العراق، على الرابط:

http://www.muslm.org/vb/showthread.php?369064-%D8%B3%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%A9-

٢. أبو أنس الشامي، يوميات مجاهد، منتدى شبكة الصافنات الإسلامية، www.al-saf.net

٣. أبو بكر البغدادي، باقية في العراق والشام، كلمة صوتية، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط: http://justpaste.it/gtch

٤. أبو بكر البغدادي، خطبة وصلاة الجمعة في الجامع الكبير بمدينة الموصل لمولانا أمير المؤمنين حفظه الله، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=itu6NhED9Yk

٥. أبو بكر البغدادي، رسالة إلى المجاهدين والأمة الإسلامية في شهر رمضان، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط:
https://www.alplatformmedia.com/vb/showthread.php?p=277917

٦. أبو بكر البغدادي، وبشر المؤمنين، كلمة صوتية، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط
https://www.youtube.com/watch?v=6MuZrcxvL_w

٧. أبو بكر البغدادي، ويأبى الله إلا أن يتمَّ نوره، كلمة صوتية، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، رمضان ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢/٧، على الرابط:

٨. http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=1533209.

٩. أبو بكر ناجي: إدارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمة، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.tawhed.ws/c?i=62

١٠. أبو حمزة المهاجر، إن الحكم إلا لله، كلمة صوتية على الرابط:
https://nokbah.com/~w3/?p=511.

١١. أبو حمزة المهاجر، سيهزم الجمع ويولون الدبر، كلمة صوتية في ٢٠٠٦/٦/١٣ على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=1284

١٢. أبو سعد العاملي، تنبيه الأنام لما في التفرقة من آثام وأهمية التوحد في دولة الإسلام، على الرابط: https://archive.org/details/bayan_2013

١٣. أبو سفيان السلمي تركي البنعلي في مجموعة من إصداراته في أرض الجهاد، على الرابط: http://www.halgan.net/kutub/Abu_Mundir.pdf

١٤. أبو عمر البغدادي، إني على بينة من ربي، بتاريخ ١٣ آذار/ مارس٢٠٠٧، المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ .

١٥. أبو عمر البغدادي، حصاد الخير، كلمة صوتية، بتاريخ ٢٠٠٩/٣/١١، على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=1245

١٦. أبو عمر البغدادي، عملاء كذابون، بتاريخ ٢٠٠٩/٥/١٣، الكتاب الجامع لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية، مؤسسة الفرقان، الطبعة الأولى ٢٠١٠

١٧. أبو عمر البغدادي، فأما الزبد فيذهب جفاء، كلمة صوتية، بتاريخ /٢٠٠٧/١٢/ ٤ على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=479

١٨. أبو عمر البغدادي، وإن تنتهوا فهو خير لكم، المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية، الطبعة الأولى، 2010.

١٩. أبو عمر البغدادي، وقل جاء الحق وزهق الباطل، كلمة صوتية، بتاريخ /٢٠٠٦/ ١٢/٢٢ على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=493

٢٠. أبو قتادة الفلسطيني، بيان مناصرة للمجاهدين المرابطين في أكناف بيت المقدس، بدون ناشر أو تاريخ.

٢١. أبو قتادة الفلسطيني، (عمر محمود أبو عمر)، ثياب الخليفة، على الرابط:
http://eldorar.net/sites/default/files/klefha.pdf

٢٢. أبو قتادة الفلسطيني، رسالة لأهل الجهاد في الشام، على الرابط:
http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=335311

٢٣. أبو مارية القحطاني، أيها المتردد، كلمة صوتية، على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=bzFhOXwWsdU

٢٤. أبو مارية القحطاني، تغريدات جمعها الثبات، على الرابط:
http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=368821

٢٥. أبو مارية القحطاني، هلا تركتم لنا أمراءنا، على الرابط:
http://justpaste.it/fj1b

٢٦. أبو محمد الأزدي، أحوال المعارضين لدولة المسلمين، على الرابط:
https://www.dropbox.com/s/ozx8fflcxc4uki2/%D8%A3%D8%AD%D9%88%D8%A7%D9%84%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D8%B6%D9%8A%D9%86.pdf

٢٧. أبو محمد الجولاني، إعلان البيعة لتنظيم القاعدة وبيعة الظواهري، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=_eB3AfI3hgA

٢٨. أبو محمد الجولاني، أمير جبهة النصرة الفاتح أبو محمد الجولاني يبشّر بقيام إمارة اسلامية في الشام، على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=ASrci6pH00s

٢٩. أبو محمد الجولاني، أهل الشام فديناكم بأرواحنا، كلمة صوتية مفرغة، على الرابط: http://alplatformmedia.com/vb/showthread.php?t=17501

٣٠. أبو محمد الجولاني، لقاء اليوم: النصرة ومستقبل سوريا، قناة الجزيرة، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/programs/today-interview/2013/12/19/%D8%A3%D8%A8%D9%88-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5%D8%B1%D8%A9-%D9%88%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7

٣١. أبو محمد الجولاني، ليتك رثيتني، تسجيل صوتي، مؤسسة المنارة البيضاء، على الرابط: http://bab-ul-islam.net/showthread.php?t=24119

٣٢. أبو محمد الجولاني، وقابل الأيام خير من ماضيها، كلمة صوتية مفرغة، مؤسسة المنارة البيضاء للإنتاج الإعلامي، على الرابط:
https://www.alplatformmedia.com/vb/showthread.php?t=26070

٣٣. أبو محمد العدناني، الاقتحامات أفجع، كلمة صوتية بتاريخ ٢٠١٢/٧/٢٣، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=FdsJp1Rjcjg

٣٤. أبو محمد العدناني، السلمية دين من؟، كلمة صوتية، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط: http://bab-ul-islam.net/showthread.php?t=20110

٣٥. أبو محمد العدناني، عذرا أمير القاعدة، كلمة صوتية مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=lrwvi5vqC_w

٣٦. أبو محمد العدناني، فذرهم وما يفترون، كلمة صوتية، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=BK1XShwkPhw

٣٧. أبو محمد العدناني، لن يضروكم إلا أذى، كلمة صوتية مفرغة، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط:
http://bab-ul-islam.net/showthread.php?p=44980&langid=8

٣٨. أبو محمد العدناني، ما أصابك من حسنة فمن الله، كلمة صوتية، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=Zpjlj5jqbt4

٣٩. أبو محمد العدناني، ما كان هذا منهجنا ولن يكون، كلمة صوتية مفرغة،

مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط:
http://alplatformmedia.com/vb/showthread.php?t=44901

٤٠. أبو محمد العدناني، هذا وعد الله، كلمة صوتية، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=b1qkBXKvs_A

٤١. أبو محمد المقدسي، الزرقاوي؛ مناصرة ومناصحة: آمال وآلام، منبر التوحيد والجهاد،. على الرابط: http://www.tawhed.ws/r?i=dtwiam56

٤٢. أبو محمد المقدسي، ليس كمن ترضى بشق ابنها، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.tawhed.ws/r?i=17111301

٤٣. أبو محمد المقدسي، هذا بعض ما عندي وليس كله، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:http://www.tawhed.ws/r?i=01071401

٤٤. أبو مصعب الزرقاوي، أين أهل المروءات، مجموع رسائل أبو مصعب الزرقاوي، من إصدارات تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين.

٤٥. أبو مصعب الزرقاوي، إفادة أسير: يا قوم مالي أدعوكم إلى الجنة وتدعونني إلى النار، "الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أسد الإسلام الشيخ أبو مصعب الزرقاوي".

٤٦. أبو مصعب الزرقاوي، أمتي الغالية، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أسد الإسلام الشيخ أبو مصعب الزرقاوي.

٤٧. أبو مصعب الزرقاوي، أينقص الدّين وأنا حي، مجموع رسائل أبو مصعب الزرقاوي، من إصدارات تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين.

٤٨. أبو مصعب الزرقاوي، بيان وتوضيح لما أثاره الشيخ المقدسي في لقائه مع قناة الجزيرة، بتاريخ ١٢ تموز/ يوليو ٢٠٠٥، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أبو مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية.

٤٩. أبو مصعب الزرقاوي، رسالة من أبي مصعب الزرقاوي إلى الشيخ أسامة بن لادن (حفظه الله)، بتاريخ 15 شباط/ فبراير ٢٠٠٤.

٥٠. أبو مصعب الزرقاوي، هل أتاك حديث الرافضة، ١ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أبو مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية.

٥١. أبو مصعب الزرقاوي، وعاد أحفاد ابن العلقمي، بتاريخ ١٨ أيار/ مايو ٢٠٠٥، سلسلة محاضرات، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أبو مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية.

٥٢. أبو مصعب الزرقاوي، يبشر بقيام إمارة إسلامية في العراق، على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=93oHYWxxi_Q53

٥٣. أبو المنذر الشنقيطي، نصرة لإعلان دولة الإسلام متى يفقهون معنى الطاعة، على الرابط: http://justpaste.it/2dmr

٥٤. أبو يوسف البشير، البيعة ثم البيعة ثم البيعة، على الرابط:
http://thabat111.wordpress.com/2013/10/21/%D9%85%D8%AE%D8%AA%D8%B5%D8%B1-

٥٥. الإعلان عن تأسيس جبهة النصرة، مؤسسة المنارة البيضاء للإنتاج الإعلامي، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=Fuh1cI9vlR0

٥٦. الإعلان عن تأسيس "حلف المطيبين"، على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=60mgEeNc7Z8

٥٧. أيمن الظواهري، إبطال الدمج وفصل الولاية المكانية، كلمة صوتية، مؤسسة السحاب، على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=Cax1C6ETCp0

٥٨. أيمن الظواهري، إلى الأمام يا أسود الشام، شريط مصور، مؤسسة السحاب، بتاريخ ١٢ شباط/ فبراير ٢٠١٢، على الرابط:
https://nokbah.com/~w3/?p=2429

٥٩. أيمن الظواهري، توجيهات عامة للعمل الجهادي، مؤسسة السحاب، على الرابط: http://ia601006.us.archive.org/8/items/tawakkalo-00/ar.pdf

٦٠. أيمن الظواهري: رثاء شهيد الفتنة الشيخ أبي خالد السوري رحمه الله، كلمة صوتية، مؤسسة السحاب، على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=M0zk6OsjjdI

٦١. أيمن الظواهري، رسالة إلى الزرقاوي بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٦، على الرابط:
http://www.muslm.org/vb/showthread.php?407450-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%

٦٢. أيمن الظواهري، شهادة لحقن الدماء، كلمة صوتية، مؤسسة السحاب، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=rfvgCLq-BBY

٦٣. أيمن الظواهري، عز الشرق أوله دمشق، كلمة مرئية بتاريخ ٢٠١١/٧/٢٨، مؤسسة السحاب، على الرابط:
http://www.shabakataljahad.info/vb/showthread.php?t=8431

٦٤. أيمن الظواهري، نسخة مصورة من رسالة الظواهري للبغدادي والجولاني، على الرابط:
http://twecontent.org/amazing/box/oBCex6K5LR0/%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9-

%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-
%D8%A7%D9%84%D8%B8%D9%88.html

٦٥. أيمن الظواهري، الواقع بين الألم والأمل، لقاء صوتي مفرغ أجرته مؤسسة السحاب السابع، في أيار/ مايو ٢٠١٤، على الرابط:
https://nokbah.com/~w3/?p=4630

٦٦. بيان: إعلان تأسيس دولة العراق الإسلامية، على الرابط:
https://nokbah.com/~w3/?p=536

٦٧. بيان: إعلان التشكيلة الوزارية الأولى لدولة العراق الإسلامية، 19 نيسان/ أبريل 2007، الكتاب الجامع لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية، الطبعة الأولى، 2010.

٦٨. بيان: إعلان الحرب على أمريكا، صادر عن تنظيم القاعدة، أفغانستان، ١٩٩٨

٦٩. بيان: إعلان "ميثاق شرف ثوري للكتائب المقاتلة"، صادر عن الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، وفيلق الشام، وجيش المجاهدين، وألوية الفرقان، والجبهة الإسلامية. على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=6xPyM3bjgGw

٧٠. بيان: الائتلاف الوطني المعارض باعتبار "داعش" تنظيم إرهابي، في ١ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤ سيريا نيوز، على الرابط:
http://www.syrianews.com/readnews.php?sy_seq=166221

٧١. بيان: بشأن علاقة جماعة قاعدة الجهاد بجماعة "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، تنظيم قاعدة الجهاد القيادة العامة، على الرابط:
http://justpaste.it/ea9k

٧٢. بيان: بيعة جماعة التوحيد والجهاد لتنظيم قاعدة الجهاد، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.tawhed.ws/r?i=dwww5009

٧٣. بيان: تأسيس مجلس شورى المجاهدين، على الرابط:
http://www.tawhed.ws/r?i=5cqkqf0o

٧٤. بيان توضيحي حول ما أشيع عن إعلان جبهة النصرة لإمارة إسلامية، مؤسسة المنارة البيضاء للإنتاج الإعلامي، ٢٠١٤/٧/٢١، على الرابط:
http://justpaste.it/g7bl

٧٥. بيان: جبهة النصرة، "فتبينوا" رداً على بيان جماعة "الدولة" المسمى "هذا بيانٌ للناس"، على الرابط: http://justpaste.it/ed7l

٧٦. بيان: حقيقة علاقة البغدادي بأميرنا الزرقاوي، على الرابط:
http://www.sunnti.com/vb/showthread.php?t=15452

٧٧. بيان: الشيخ القائد أبو خالد السوري في تحول بعض المجاهدين لقطاع طرق صحوجية مخترقين ونصحه لهم، على الرابط:
http://www.muslm.org/vb/showthread.php?526745-

٧٨. بيان عن غزوة "العشر الأواخر"، ردا على حملات تهجير أهل السنة، مُؤسَّسةُ الاعتصام للإنتَاج الإعلامِي وزارة الإعلام - الدّولة الإسلاميّة في العراق والشّام، على الرابط:
http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=324265

٧٩. بيانٌ عن غزوة "قهر الطّواغيت" في سجني أبي غريب والتاجي، مؤسسة الاعتصام، على الرابط: http://daawla.tumblr.com/page/18

٨٠. بيان: "لا تسُبوا أهل الشام ولكن سُبوا ظَلَمَتهم"، مجلس شورى المجاهدين - أكناف بيت المقدس -، ٢ شباط/ فبراير ٢٠١٤

٨١. بيان: "المناصرة الخراسانية للدولة الإسلامية"، شباط/ فبراير ٢٠١٤، ١٨ شباط/ فبراير ٢٠١٤

٨٢. بيان: نداء من الدولة الإسلامية في العراق والشام، على الرابط:
http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=344788

٨٣. بيان: هذا بيان للناس، الدولة الإسلامية في العراق والشام، ولاية البركة، على الرابط: http://justpaste.it/ecx3

٨٤. بيان: "الهيئات الإسلامية بسوريا: سلوك -داعش- يدعو للفتنة والشر"، العربية نت، ٢٠١٣/١٢/٢٣، على الرابط: http://goo.gl/m9Ok4P

٨٥. بيان: وقد أعذر من أنذر، جبهة النصرة، على الرابط:
https://justpaste.it/ec4z

٨٦. خطة استراتيجية لتعزيز الموقف السياسي لدولة العراق الإسلامية، على الرابط: http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=158433

٨٧. سامي العريدي، خطبة عيد الفطر المبارك 1435هـ للدكتور سامي العريدي حفظه الله، مؤسسة البصيرة الإعلامية، على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=IChOHMGpOB0

٨٨. سامي العريدي، منهجنا وعقيدتنا، مقابلة مع مؤسسة المنارة البيضاء للإنتاج الإعلامي، على الرابط:
http://www.shabakataljahad.com/vb/showthread.php?p=87159

٨٩. عاني العلم، رد الشبهات عن الدولة الإسلامية ـ شرعية الدولة وصحتها، على الرابط:
http://thabat111.wordpress.com/2013/07/01/

%D8%B1%D8%AF%D9%91%D9%8F-

٩٠. كافة إصدارات تنظيم الدولة الإسلامية، على الرابط:
http://dawla-is.appspot.com

٩١. الكتاب الجامع لجميع بيانات جبهة النصرة لأهل الشام: من البيان رقم ١ إلى البيان رقم ١٩٩

٩٢. مبادرة الأمة، عبد الله المحيسني، على الرابط:
http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=348225

٩٣. الملف الجامع لجمعة كلنا جبهة النصرة، على الرابط:
http://shame210.wordpress.com/2012/12/21/
%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D9%81-

٩٤. نسخة مصورة من رسالة الظواهري للبغدادي والجولاني، على الرابط:
http://twecontent.org/amazing/box/oBCex6K5LR0/
%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-
%D8%A7%D9%84%D8%B8%D9%88.html

٩٥. هذه عقيدتنا ومنهجنا، تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، اللجنة الشرعية، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.tawhed.ws/r?i=ygz0yz64

٩٦. وثائق أبوت أباد، مركز مكافحة الإرهاب الأميركي، على الرابط التالي:
https://www.ctc.usma.edu/posts/letters-from-abbottabad-bin-ladin-sidelined

الأفلام المرئية:

١. حملة فأس الخليل، سلسلة من الأشرطة المصورة للعمليات العسكرية، مؤسسة الفرقان على الرابط:
http://3raq2589.blogspot.com/2010_04_01_archive.html

٢. رسالة إلى أمريكا، في ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤، على الرابط:
http://dawla-is.appspot.com

٣. رسالة إلى حلفاء أمريكا، في ١٣ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤، على الرابط:
http://dawla-is.appspot.com

٤. رسائل من أرض الملاحم، وهي سلسلة توثق انجازات وعمليات التنظيم تصدر تباعا بلغت حتى الآن (٥٠) إصداراً، على الرابط:
http://dawla-is.appspot.com

٥. صليل الصوارم سلسلة من أربعة أجزاء، على الرابط:
http://ansarkhelafa.weebly.com/15871604158716041577-1589160416101604-15751604158916081575 15851605.html

٦. صيادو الصحوات، سلسلة من الأشرطة المصورة مؤسسة الفرقان، على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=eMW4dNqkizM

٧. على منهاج النبوة، بتاريخ ٢٨ تموز/ يوليو ٢٠١٤، على الرابط:
http://dawla-is.appspot.com

٨. غزوة الأسير (١)، على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=_RQsq00ieeU

٩. غزوة الأسير (٢) على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=ugrw1rFzonQ

١٠. غزوة الأسير (٣)، على الرابط:
http://www.dailymotion.com/video/xepk29_%D8%A5%D8%B5%D8%AF%D8%A7%D8%B1-

١١. غزوة الأسير (٤)، على الرابط:
http://www.dailymotion.com/video/xepk2w_%D8%A5%D8%B5%D8%AF%D8%A7%D8%B1-

١٢. غزوة الأسير (٥)، على الرابط:
http://www.dailymotion.com/video/xepk32_%D8%A5%D8%B5%D8%AF%D8%A7%D8%B1-

١٣. فشرد بهم من خلفهم، ويغطي الجزء الأول معركة تحرير اللواء ٩٣ في ولاية الرقة السورية بتاريخ ٢٣ آب/ أغسطس ٢٠١٤، والجزء الثاني يغطي معركة تحرير مطار الطبقة في ولاية الرقة السورية بتاريخ ٧ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤، على الرابط: http://dawla-is.appspot.com

١٤. كسر الحدود، الدولة الإسلامية، مؤسسة الاعتصام، على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=yst8UgICCvc

١٥. لهيب الحرب، مركز الحياة، بتاريخ ١٧ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤، على الرابط:
http://dawla-is.appspot.com

هذا الكتاب

يسعى هذا الكتاب إلى الإجابة عن جملة من الأسئلة والإشكالات والتساؤلات المثارة حول تنظيم "الدولة الإسلامية" من جهة، وعلاقته بتنظيم القاعدة وجبهة النصرة من جهة أخرى، ومن أبرز هذه الأسئلة:

- **ما هي المعالم الرئيسة لأيديولوجيا هذا التنظيم؟**
- **كيف نفسّر صعوده السريع وتحقيقه انتصارات عسكرية سريعة في كل من العراق وسورية قبل أن يتشكّل التحالف الدولي والإقليمي لمواجهته؟**
- **هل لصعود التنظيم علاقة بشبكة علاقاته، وما يتوارى خلف المشهد من مصالح إقليمية، أم أن صعوده جاء حصيلة عوامل ذاتية، أم نتيجة لظروف واقعية موضوعية أخرى، أم لأسباب مركّبة ومتعددة؟**
- **هل للخلافات بين تنظيم الدولة والقاعدة المركزية صلة بالصراع على النفوذ والقوة والسيطرة؟ أم أنّها ناجمة عن اختلافات أيديولوجية وسياسية جوهرية بين التنظيمين؟**
- **ما هي طبيعة التركيبة الداخلية لتنظيم "الدولة الإسلامية"؟ وما مدى خبرته العسكرية والإدارية في التعامل مع التحديات الكبيرة التي تواجهه؟ وهل يمكن تقدير حجم التنظيم بشكل تقريبيّ؟**
- **ماذا تخبرنا الاحتمالات والمؤشرات الحالية حول مستقبل التنظيم وخياراته في المرحلة المقبلة في ظل التحالف الدولي والإقليمي ضده؟**

للإجابة على هذه التساؤلات وتبديد هالة الغموض، ومواجهة القراءات المتضاربة حول تنظيم "الدولة الإسلامية"، يتناول الباحثان بالرصد والتحليل مسار تطور تنظيم "الدولة الإسلامية" والمراحل والتحولات التي مرّ بها، والمساحات المشتركة والخلافات الحقيقية والمفترضة بينه وبين تنظيم القاعدة المركزية، والأسباب التي أدت إلى انشطار القاعدة والصراع بين التيارين. والبنية الداخلية والهيكلية لتنظيم "الدولة الإسلامية"، وكيف تطوّر التنظيم عبر الأعوام الماضية من جماعة بسيطة إلى بنية تحاكي نظام الدولة المعاصرة، ومقاربة ذلك مع الميراث الفقهي الإسلامي. كما يتناول الباحثان جبهة النصرة، في سياق المشهد السوري، والخلافات الداخلية بينها وبين تنظيم "الدولة الإسلامية"، والبناء الأيديولوجي لتنظيم الدولة مقارنة بجبهة النصرة وبالسلفية الجهادية عموماً.

كما يحاول الباحثان تقديم مقاربة منهجية لطبيعة المرحلة القادمة، على صعيد التحالف الدولي والإقليمي والحرب الراهنة، وعلى صعيد تنظيم "الدولة الإسلامية". وكذا مستقبل الخلافات في أروقة القاعدة وداخل التيار السلفي الجهادي عموماً.

ISBN 9957484508
9789957484507

مؤسسة فريدرش إيبرت (مكتب عمان)
ص . ب ٩٤١٨٦ عمان ١١١٩٤ الأردن

www.fes-jordan.org
fes@fes-jordan.org

FRIEDRICH EBERT STIFTUNG